الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا

اللَّوَّاح الخَرُوصي
سالم بن غسّان
حياتُـــــهُ و شعـــــرُهُ
(٨٩٥ - ٩٨١ هـ)

إعداد

راشد بن حمد بن هاشل الحسيني

إشراف

الاستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، بكلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية.

١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

كانون الأول

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ

١١ من رجب ١٤١٥هـ، الموافق١٤/ ١٢/ ١٩٩٤م

وأجيزت

أعضاء لجنة المناقشة:

التوقيـــــع

١- الأستاذ الدكتور/عبد الجليل عبد المهدي / رئيساً ....

٢-الأستاذ الدكتور/عبد الكريم خليفة / عضوا ....

٣- الأستاذ الدكتور/محمود ابراهيم /عضواً ....

الإهـــــداء

إلى والدي

الذي تجرع غصص الثكل ومرارة البعد على شيخوخته.

وإلـــى قُرّتـيْ العـــين

حاتــــم وحفـــص

أهدي باكورة عملي وينعَ جهدي

الفهرس

سالم بن غسان اللواح الخَرُوصي

حياته وشعره

(٨٩٥-٩٨١)

رسالة ماجستير

إعداد: راشد بن حمد هاشل الحسيني

إشراف الأستاذ الدكتور: عبد الجليل عبد المهدي

الملخص باللغة العربية

يتناول هذا البحث شاعراً عُمانياً، يدرس حياته وشعره وهو سالم بن غسان اللواح الخروصي، وهذا الشاعر عاش في نهاية القرن التاسع الهجري وامتدت به الحياة إلى العقد الثامن من القرن العاشر الهجري.

وقد قسم الباحث البحث على تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، فتحدث في التمهيد عن الحياة السياسية في ظل الإمامة، ثم في ظل حكومة بني نبهان، وتحدث عن الحياة الاجتماعية ثم الحياة العلمية.

وفي الفصل الأول تحدث الباحث عن سيرة الشاعر؛ اسمه ولقبه ونسبه وأسرته ونشأته، ثم صفاته وثقافته، وأخيراً تحدث عن علاقاته مع الآخرين.

وجرى الحديث في الفصل الثاني عن الديوان ومحتواه وما في التحقيق من ملاحظات وأغلاط. فنقدته وأبنْتُ ملاحظاتي عليه، ثم تحدثت عن اتجاهات الشعر عند ابن اللواح؛ التقليدية منها وغير التقليدية، واستخرجت كل موضوع وخصائصه.

أما في الفصل الثالث والأخير فقد تحدثت فيه عن بنية القصيدة عند الشاعر وعن الأسلوب واللغة في شعره وعن المعارضات والمسمّطات والصورة الشعرية في شعره.

وقد خرج هذا البحث بنتائج متعددة منها؛ وجود حياة اجتماعية حضرية تمثلت في مدن

عُمان المهمة مثل نَزوى وصُحار وبُهلى وصور، ومنها وجود حياة علمية زاخرة بعلماء الفقه والطب والأدب فكانت بيوت توارثت العلم كابراً عن كابر من آباء إلى أبناء إلى أحفاد.

كما تبين لي أن الشاعر ابن اللواح لم يولد سنة ٨٦٢ ولم يتوف سنة ٩٢٠هـ- كما ذكر محقق الديوان- وإنما قربت ولادته إلى سنة ٨٩٥هـ وقدّرتُ وفاته كذلك بعد سنة ٩٨١هـ.

ومن النتائج المهمة التي خرجت بها هذه الدراسة، وجود جزء كبير من ديوان الشاعر يربو عدد أبياته على ألف وخمس مئة بيت غير مطبوع، ربما اشتبه فيه المحقق، وقد أثبتُّ أنه له، وأرجو أن يوفقني الله لتحقيقه ونشره.

كما خرج هذا البحث بالكشف عن قصيدة هائية طويلة تربو على مئة بيت، وجهها الشاعر تحية إلى إباضية أهل المغرب، ثم بعد ذلك عثرت على شرح لهذه الهائية.

وتوصل البحث إلى كثرة تصحيف وتحريف في نصوص الديوان المطبوع، وإلى وجود أخطاء منهجية في التحقيق، أثبت الباحث الأهم منها وناقشها بالتفصيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

المقدمة

الحمدلله الذي فجر ينابيع الحكمة من قلوب العارفين، وقذف الشعر في ربع المرهفين، وجعل التجربة إحساسات تعتور في ذهن أولئك المبدعين، فتتمخض عنها بنات أفكار أولئك المتأدبين، فيسبكونها سبك العفوية أو التأنق، حتى تلقى في روع الجادين، فتتلقفها أرواح الصيارفة المتفحصين، لتشم منها عبق العاطفة في تألقها أو فتورها.

والصلاة والسلام على من قال:«إن من الشعر لحكمة»(١) وعلى آله وأصحابه الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد :

فإن أهمية بحثي هذا تأتي في النتائج التي توصلت إليها؛ لإبراز شيء من تراث عمان الحضاري، الذي خلفه لنا أجدادنا عبر حقب من الزمان مختلفة؛ لأن هذا التراث ظل رهيناً لم يكتب له أن يرى النور؛ فتعرف به حضارة عُمان وسالفها العريق.

فجئت وكنت وئيد الخطى وأنا بين إقدام وإحجام، علّي أستطيع أن أسلط النور على الضباب الذي بقي معتماً على الأدب العُماني، فإن الأدب بصفة عامة والشعر منه بصفة خاصة ما يزال حبيس عُمان، ولم يحظ بنصيب وافر من الدراسات الأكاديمية.

لذلك ارتأيت أن أساهم في الكشف عن هذا الأدب في هذا القطر من خلال دراسة سيرة سالم بن غسان اللواح الخروصي، ثمَّ دراسة شعره.

والذي جعلني أختار هذا الموضع لرسالتي- كما قلت سابقاً- قلة الدراسات الأكاديمية للأدب العُماني. فما كتب من تلك الدراسات- حسب علمي- دراستان إحداهما في الأدب العُماني الحديث، خصائصه واتجاهاته الفنية والأخرى في شعر النبهاني سليمان بن سليمان.

ودراسة (الشعر العُماني- اتجاهاته وخصائصه الفنية) تتسم في الأغلب بسمة التعميم . إذ اهتم الباحث في معظمها برصد الظواهر الغالبة والصفات العامة في أدب طائفة من الأدباء.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٧٣، وابن ماجه في سننه ٢/ ١٢٣٥

وإن دراسة كل أديب على حدة دراسة شاملة، مرحلة يجب أن تسبق مرحلة رصد الخصائص الغالبة والصفات العامة في أدب أمة ما، كي لا تقتصر الدراسة على فئة من الأدباء دون فئة، وحتى تكون الدراسة التي تعنى برصد الظواهر العامة أكثر دقة، وأصح إحكاماً، وأكثر شمولاً.

ومن الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع، أن سالم بن غسان اللواح عاش في فترة ضعف الحكم في عُمان فهو بين حكم الإمامة وبين حكم ملوك بني نبهان، وهي فترة جديرة بأن تدرس، علنا نجد في انتاج الشاعر ما يكشف لنا عن جوانب من النشاط الفكري والأدبي في ذلك العصر.

أما المنهج الذي اتبعته في كتابة هذا البحث، فقد استفدت من ثلاثة مناهج هي المنهج التاريخي والمنهج التحليلي والمنهج الاستقرائي: فاستفدت من المنهج التاريخي في بيان الحقبة التاريخية التي عاش فيها الشاعر وفي تتبع الاحداث في ذلك العصر. واستفدت من المنهج التحليلي في تحليل النصوص ونقدها وبيان ما فيها من معان وقيم جمالية، في حين جاءت الاستفادة من المنهج الاستقرائي في إستقراء تلك الحوادث التاريخية وما نتج عنها من انعكاسات على شعر الشاعر.

وقد أقمت البحث على تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، فتحدثت في التمهيد عن الحياة السياسية في ظل الإمامة ثم في ظل حكومة بني نبهان، وتحدثت عن الحياة الاجتماعية ثم الحياة العلمية.

وفي الفصل الأول: تحدثت عن سيرة الشاعر؛ اسمه ولقبه ونسبه وأسرته ونشأته، ثم صفاته وثقافته وأخيراً تحدثت عن علاقاته مع الآخرين.

وجرى الحديث في الفصل الثاني عن الديوان ومحتواه وما في التحقيق من ملاحظات وأغلاط. فنقدته وأبنت ملاحظاتي عليه، ثم تحدثت عن اتجاهات الشعر عند ابن اللواح؛ التقليدية منها وغير التقليدية، واستخرجت كل موضوع وخصائصه.

أما في الفصل الثالث والأخير فقد تحدثت فيه عن بنية القصيدة عند الشاعر وعن الأسلوب واللغة في شعره وعن المعارضات والمسمطات والصورة الشعرية في شعره.

أما عن المصادر والمراجع، فقد تعددت واختلفت؛ إذ رجعت إلى مصادر متعددة ومختلفة قديمها وحديثها مخطوطها ومطبوعها. فمن المصادر القديمة التي أفدت منها: كتاب الصحيفة القحطانية، لحميد بن محمد بن رزيق، أفدت منه في ضبط صحة اسم الشاعر، وأهمية شعره، حيث عدَّ شعر ابن اللواح مصدراً رُجع إليه في معرفة أئمة بني خروص، وفي فضل ابن اللواح

على غيره من شعراء عصره. وأفادتني الصحيفة بقصيدة كانت مفقودة، وجهها الشاعر إلى إباضية أهل المغرب، أفدت منها في دراستي على الرغم من صعوبة قراءتها من المخطوط، واستفدت من شرح البُهلوي على هائية ابن اللواح: في ضبط اسم الشاعر. إذ كان صديقاً له فهو على علم باسمه ونسبه ولقبه، كما أعانني هذا الشرح في فك رموز المعاني المستغلقة لألفاظ القصيدة، واستفدت في مقابلة نص القصيدة بما جاء في الصحيفة القحطانية، حتى استقام النص بحمد الله.

وكان هذا الشرح بالخط المغربي، صعب القراءة مطموس الكلمات والأحرف، وأحياناً يشمل هذا الطمس فقرات وأسطرا.

وقد أفدت من القسم المخطوط من ديوان الشاعر في تتبع علاقات الشاعر مع أهل عصره، وفي كشف جزء كبير من شعره لم يكن منشوراً، أدخلته مع الدراسة.

واستعنت بالمعاجم اللغوية: كتاج العروس، ولسان العرب، والمخصص، وترتيب القاموس المحيط؛ في معرفة ألفاظ الشاعر وعباراته في قصائده.

واستفدت من تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمة، لسرحان بن سعيد الازكوي، في تتبع التواريخ والأحداث في عصر الشاعر وفي ذكر أسماء بعض ملوك بني نبهان.

واستفدت من طبقات المشايخ بالمغرب للدَّرْجيني في تتبع بعض الأحداث، في ترجمة بعض الأعلام.

أما المراجع الحديثة فمنها: «إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان»، للشيخ سيف بن حمود البطاشي، وخصوصاً الجزء الثاني منه الذي صدر مؤخراً، فقد عرفنا الشيخ البطاشي شخصيات كنا نجهلها في عصر الشاعر، من علماء وفقهاء وأطباء وشعراء، كانت لهم علاقات صداقة مع ابن اللواح، فمنهم من كاتبهم بقصائد، وبادلهم التهاني، ومنهم من عاتبهم، ومنهم من رثاهم، مما جعل الباحث يجزم بوجود حركة علمية أدبية في العصر الذي عاش فيه ابن اللواح.

واستفدت من دليل أعلام عمان الذي ألفته هيئة من الأساتذة بإشراف جامعة السلطان قابوس في ترجمة الشخصيات التي احتجت إلى ترجمتها.

واستفدت من معجم النقد العربي القديم للدكتور أحمد مطلوب، في الكشف عن بعض المصطلحات النقدية.ومن «الصورة الفنية معياراً نقدياً» للدكتور عبد الإله الصائغ، في الكشف

عن ماهية الصورة وعن المنهجية في الكشف عن الصورة وكذلك من كتاب «الأسلوب» للدكتور أحمد الشايب في تباين الأغراض الشعرية عند الشاعر وماهية الأسلوب.

هذا والحمدلله أولاً وأخيراً على ما أسبغ عليّ من نعم، وعلى توفيقه تعالى لإتمام هذا البحث، وذلك بحلم شيخي وصبره وسعة صدر الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي جزاه الله خيراً.

راشد بن حمد هاشل الحسيني

تمهيد
الحياة السياسية

للحكم في عُمان في عصر الشاعر نظامان؛ نظام الإمامة، ونظام الملكية.

ظهرت الإمامة لأول مرة في عُمان سنة ١٣٢هـ، وقد بويع بها الإمام الجُلَنْدى بن مسعود بن جَيْفَر بن جُلَندى من بَني الجُلَنْدى من مَعْولة بن شمس.

واستمرت الإمامة إلى أكثر من ألف ومئتي سنة، تخبو حيناً وتتألق أحياناً. وآخر إمام عُقدت له الإمامة في عُمان سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م(١)

وقد عاصر شاعرنا ابن المَلْوّح من الأئمة الإمامين محمد بن اسماعيل الحاضري وولده الإمام بركات بن محمد. إذ أن وفاة الإمام محمد بن اسماعيل الحاضري سنة ٩٤٢هـ، وبويع ابنه بركات بالإمامة في اليوم الذي مات فيه أبوه.(٢)

ولابن اللواح قصيدة عاتب فيها الإمام بركات، سنتناولها بالدراسة في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

وفي عهد الأمام محمد بن اسماعيل «ظهرت فئة اتخذت من الربا وظلم الناس ديدنا لها، فضرب على أيدي هؤلاء القوم بشدة، وأرجعهم إلى جادة الصواب»(٣)؛ وذلك باجتماع أهل العلم من المشايخ والفقهاء الذين هم القدوة في ذلك الزمان، ومنهم مداد بن عبدالله بن مداد العقري النزوي، والفقيه عبدالله بن محمد بن سليمان بن عمر النزوي، والقاضي أبو غسان بن ورد بن أبي غسان البُهلوي، وعمر بن زياد بن أحمد البُهلوي، ومحمد بن أبي الحسن بن صالح بن وضاح المنحي، للنظر في غلة بيع الخيار. فحكم الإمام- رحمه الله- ومن معه من العلماء المذكورين والفقهاء المشهورين، بتحريم غلة بيع الخيار، وبفساد البيع أيضاً.(٤)

وقد سجل الشاعر سالم بن غسان اللواح هذه الحادثة في ديوانه في موضعين؛ الأول في

---

(١) السالمي (محمد بن عبدالله) وناجي عساف، عُمان تاريخ... يتكلم. المطبعة العمومية دمشق- سورية ص١٥٢، ١٥٣.
(٢) السالمي (عبدالله بن حميد) تحفة الأعيان ١/ ٣٨٦.
(٣) السالمي (محمد بن عبدالله) وناجي عساف؛ عُمان تاريخ... يتكلم. المطبعة العمومية دمشق- سورية ص١٥٢، ١٥٣.
(٤) ابن رزيق- الصحيفة القحطانية ٢/ ٤٠٦، السالمي (تحفة الأعيان٢) والسيابي- عمان عبر التاريخ ٣/ ١٢٦.

قصيدة طويلة قوامها ثمانية وتسعون بيتاً، وجهها إلى أهل نزوى(١) بحكم إنها :(٢)

قرارُ العلمِ والعُلماء نَزْوى　　　وأهل الزُّهدِ ناديها حواها

ومما قاله في هذه القصيدة:(٣)

لئنْ لم ترجعوا يا أهْلَ نزوى　　　عن الحالِ الذي فيكم أراها

لتَغْدو كُلكم أيدي سباءٍ　　　رهائن بالنفوس لمن سَباها

وكان خطابه لأهل نزوى خطاباً عنيفاً نابعاً من غيرته الوطنية والإسلامية على ذلك البلد الذي يطلق عليه بَيْضة الاسلام، وعلى ولاة الأمر. يقول:(٤)

أراكم يا وُلاةَ الأمْرِ فيها　　　تُطيعونَ الأراذلَ مِنْ مَلاها

أرى نَزْوى بكُمْ كشفت هَناها　　　وراقتْ من مُحَيَّاها حياها

فهو يرى أن هذه البلد- بولاة الأمر- قد كشفت عن خستها وسوءتها، وفي رأيي أن هذا الخطاب لا يجرؤ أن يوجهه شخص عاديٌّ إلى وُلاة الأمر. إن لم يكن هو من أهل الفضل والتقى، وله مكانة مرموقة بينهم. وعندما يدون تلك الحادثة يقول:(٥)

ضَعيفُ الحَيْلِ مَظْلومٌ مُهانٌ　　　وذو الأموال يَظْلمُ ما عداها

وعالِمُكُمْ وزاهِدُكُمْ مُدارٍ　　　وسيِّدُكُمْ يُداهنُ أدنياها

وألهى الثالثُ الضعفاءَ منكم　　　معاملة البُيُوعِ على رباها

والموضع الثاني الذي سجل فيه أبو حمزة حادثة انتشار بيع الخيار وتفشي الربا قصيدته البائية التي مطلعها :(٦)

كُلُّ العجائبِ في من فيه إعجابُ　　　بنفسِهِ وهو خَدّاعٌ وكَذّابُ

---

(١) نَزْوى: هي أعظم المراكز العُمانية في الداخل. وتقع في سفح الجبل الأخضر من الجنوب، بين جبال هي سورها في فضاء صالح ذات أنهار وبساتين ونخل باسقة أخرجت علماء أفاضل. بها القلعة المشهورة والجامع الكبير، وقد اهتمت بها الدولة الآن وبنت بها سوقاً من أجمل الأسواق. وتبعد الآن عن مسقط بحوالي ١٧٠ كيلو متر.

(٢) ديوان سالم بن غسان اللواح الخروصي. وزارة التراث القومي في سلطنة عمان ط١، ١٩٨٩م. مطابع دار جريدة عمان. رُوي- سلطنة عُمان/ ١/ ٣٩٠

(٣) المصدر السابق ٢/ ٨٨　　(٤) نفسه ٢/ ٨٩　　(٥) نفسه ٢/ ٩٠

(٦) ديوان سالم بن غسان اللواح. دار المخطوطات والوثائق في وزارة التراث القومي في سلطنة عمان الرقم العام ٣٤٦٩ الخاص ٩٦ز (مخطوط) ص١٧٢ وساشير إليه فيما بعد بـ (الديوان المخطوط).

وقد صور أهل زمانه بالوحوش الكاسرة والحيوانات المفترسة فقال:(١)

أبقيْتَني لزمـــانٍ أهلُهُ فـــهُمُ ... أبو الحُصينِ ورِيداءٌ ونغـــابُ
وهم فُهودٌ فلا تأمَنْ مخـاتلَهم ... وهُمْ كـلابٌ وراعيـــهم فكلابُ
وهُمْ ذئابٌ إذا رامـوا محــاولةً ... وهُمْ ذبابٌ إذا خـافـوك ذبابُ

وفي اليوم الذي مات فيه الإمام محمد بن اسماعيل بويع فيه ابنه بركات بن محمد سنة ٩٤٢هـ. واختلف المسلمون عليه واقتتلوا فيما بينهم، مما أدى إلى ضعف الإمامة، وتوزعت السلطة بين أمراء محليين ضعاف.... ومن هؤلاء بنو نبهان وآل عمير وآل هلال.

وقد ظهرت قوة غريبة في المنطقة، غريبة في قيمها وأفكارها، وأطماعها... هؤلاء هم الغزاة البرتغاليون.(٢)

فأول ما جاء الأسطول البرتغالي إلى عُمان، رسا عند قلها(٣) «وكانت يومئذ محطة لتموين السفن القادمة من الهند، ومحمية لمملكة هرمز»(٤).

وبعد دخولهم قلهات، ذهبوا إلى قريات، «فقام البوكيرك بمهاجمة البلدة، إلا أن قريات قاومته مقاومة عنيفة، وإن كان البرتغاليون قد تمكنوا فيما بعد من فتح البلدة. وقد أمر البوكيرك بتدمير البلدة ونهبها، بالإضافة إلى حرق ١٤ مركباً راسية في الميناء»(٥).

ثم توجهوا إلى مسقط فدمروها، وبعد تدميرها غادروها إلى صحار(٦)، وكانت في ذلك الوقت حامية ضخمة يتطلب الدفاع عنها مالا يقل عن ألف شخص»(٧).

هذه هي أحداث ذلك العصر في عُمان من جهة الساحل، ولعل هذه الأحداث هي التي

---

(١) الديوان (المخطوط) ١٧٤

(٢) السالمي- عُمان تاريخ يتكلم ص١٥٣

(٣) قَلْهات: أولى العواصم في الجاهلية لعُمان قبل غيرها، وذكر الشيخ السيابي أن الملك الذي يأخذ كل سفينة غصبا نزل بها. وهي الآن تابعة لولاية صور. السيابي (سالم بن حمود) العنوان عن تاريخ عمان- من غير تاريخ ص٥٣، ٥٤.

(٤) لفتنانت كولونيل- (تاريخ الخليج) ترجمة محمد أمين عبدالله. وزارة التراث القومي في سلطنة عمان ط٣ ١٩٨٨م. مطبعة الألوان الحديثة ص٦٦-٦٨. (٥) المرجع السابق ص٦٨

(٦) صُحار: الكورة الوحيدة والبلدة القديمة، تقع في الجهة الشمالية من عُمان. وهي خزانة الشرق في العهد القديم. ذكرها الحميري في الروض المعطار.

وهي اليوم عاصمة منطقة الباطنة وتبعد عن العاصمة مسقط بحوالي (٢٣٠) كيلو متر وقد اهتمت بها الدولة الآن اهتماماً بالغاً بشوارعها وسوقها، بها القلعة التي تطل على البحر والجامع الكبير، وبها «بَهجة الأنظار» مزرعة السلطان الخاصة.

يقصدها ابن اللواح بقوله:(١)

وإنّ عُمانَ تطلُبُها جبابرةٌ فتحربُها
وأحداثٌ تُقلّبُها بمنقلب لمنقلب
وكُلٌّ يطلُب الطمعا ولو مِنْ مَطْمَعٍ لمعا
ولو يُعطى لَما قنعا بغير الروح والنشب

وعمان مقسمة من الداخل في أيدي الملوك والأمراء؛ فمظفر بن سلطان النبهاني المتوفى سنة ٩٧٦هـ كان في بُهلى، وعمير بن حمير على سمائل(٢) وتوابعها، ومالك بن أبي العرب في الرُّستاق(٣)، ومهنا بن محمد الهديفي كان على صُحار وتوابعها.

وكانت الحرب لا تزال قائمة بين الإخوة وأبناء العم، كل يطمع في السلطة ولو اضطره ذلك إلى طلب المدد من خارج عُمان، كما فعل الأمير عمير بن حمير عندما طلب النصر من ملك هرموز على أخيه سلطان بن حمير، ومحمد بن مهنا الهديفي، فأمده بعدة مراكب مملوءة بالمال والرجال وآلة الحرب. وكان ذلك في حوالي سنة ١٠٢٥هـ.(٤).

وقد مدح ابن اللواح ملوك بني نبهان، ونستدل على ذلك من قوله:(٤)

أهدي لِدَهْمانَ الفصيح نصائحي ولآل نبهانَ الملوك مدائحي
فَرَجايَ فيه يكونُ عين الصالح وبهمْ رَجايَ أنالُ غايَ مصالحِ

وفي القصيدة نفسها يذكر ندى بني نبهان فيقول:(٥)

جاوِرْ بني نبهان واحلمْ شيمة عن هَجْوِ كُلٍّ مخامرٍ ومواتحِ
فندى بني نبهان مُغْنٍ ساترٌ عن فَضْلَ غيرهمُ بِهَجْوٍ فاضحِ

---

(١) الديوان ٢/ ٥٢

(٢) سمائل: ذكرها الحميري في (الروض المعطار) ولكن اخطأ في اسمها فقال: «سنابل». ولسمائل فضل على عمان بسبق الاسلام، فأول من اسلم من عُمان كان من سمائل وهو مازن بن غضوبة السعدي. ولا يزال بسمائل أدباء من أفصح العرب في كل جيل. ذكر الشيخ السيابي انه الف كتاباً سماه «زهر الخمائل في شعراء سمائل». السيابي- العنوان ص٧٠-٧٢.

وهي الآن ولاية في عُمان، وتبعد عن العاصمة مسقط بحوالي ٩٥ كيلو متر.

(٣) الرُّستاق: تقع على سفح الجبل الأخضر من الجانب الشمالي، وتسيطر على إقليم واسع به مياه وأشجار كثيرة ونخل. العنوان ص٦٧-٧٠ وهي من مناطق الحجر الغربي وتعد من إحدى ولايات السلطنة، وتبعد عن ساحل المصنعة بحوالي ٥٥كم.

(٤) الأزكوي. تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة، ص٩١

(٥) الديوان ٢/ ٥٥ (٦) نفسه ٢/ ٥٧

ولكن الباحث لم يستدل على أسماء أولئك الملوك الذين امتدحهم. ابن اللواح إلا أنه في موضع واحد من القصائد المخطوطة ورد ذكر مُظَفّر، فيظن الباحث أنه المظفر بن سلطان بن محسن النبهاني الذي كان على بُهلى، ومات سنة ٩٧٦هـ.(١)

وقد جاء ذكره في ثنايا قصيدة وجهه الشاعر لولده حمزة. فقال في ذكر السلطان مظفر:(٢)

ولما نَزَلْنا في حِمَـــاءِ مُظَفَّرٍ ... فعارَضنا من سَعْدِه السعدِ سانحا
أحـــالَ لنا الأجـــدادَ من سَعْدِ جِدِّهِ ... سُعُوداً وقد كانتْ نحوساً ذوابحا

واستمر يذكر نوال السلطان المظفر وإكرامه من نفائس ماله، والشاعر يعوضه عن ذلك المال بنات أفكاره. التي خلدت ذكره، فمظفر هو خاتم الأجواد والكرماء، وابن اللواح خاتم الشعراء بالحمد والثناء- كما يقول-(٣)

فـــلا زالَ يولينا نفـــائس مـــالِه ... ونوليه عنها كالعبير مدائحا
ففي قلبِ من صافاهُ صارتْ صحائفا ... وفي قَلْبِ من عاداهُ صارتْ صفائحا
لَقَدْ خَتَمَ الأجْوادَ طُرّاً وإنَّنــــي ... خَتَمْتُ به مَنْ كان بالحَمْدِ مادِحا
هنيئاً لمنْ أمسى إليه مُماسِياً ... وأصْبَحَ في النّادي لديْه مُصابِحا
غرائب من ألفاظه يستفيدُها ... ويَقْتادُ من حُسْناهُ سُرْباً ضوائحا
بقي ما بقي ثَهْلانُ في العزِّ راسياً ... وبارى به الباري بذا الدّهْرِ صالحا

٤٤٥٢٠١

(١) سرحان الأزكوي- تاريخ عُمان المقتبس من كشف الغُمة ص٨٣- والمعولي- قصص وأخبار ص٨٧ والبطاشي- الاتحاف ١/ ٤٠٢
(٢) الديوان (المخطوط) ١٢٩
(٣) المصدر نفسه ١٢٩.

الحياة الاجتماعية والعلمية

الحياة الاجتماعية: سكان عُمان عرب مسلمون، وهم ينحدرون من قبيلتين عربيتين رئيسيتين، هما: قبيلة قحطان وقبيلة عدنان. و«عمان مستقلة في ذاتها عامرة بأهلها»(١) «وهي خصبة ذات أنهار وأشجار وبساتين وحدائق، ونخل وفاكهة كثيرة مختلفة الأجناس»،(٢) ويفصل الحميري في وصف عُمان فيقول: بها مياه ونهر جار وسائر الفواكه، كالموز والرمان والتين والعنب، وهي فرضة الصين، وبها مرفأ الصين، وتحمل من سيراف الأمتعة إليها والحمولة، في قوارب، ثم توقر السفينة العظيمة حتى تلجج في البحر العظيم، فتسير بها الريح الطيبة مقدار أربعين يوماً إلى خمسين يوماً حتى تنتهي إلى مدينة تسمى الشحر(٣).

وطعام أهل عُمان الحنطة والشعير والأرز والأسماك، والأرز يجلب لعمان من الهند، وتتكون فئات المجتمع العُماني حسب طبيعة كل منطقة؛ فالمناطق الداخلية وسهل الباطنة تكثر فيه الزراعة؛ نظراً لوفرة المياه هناك، كما توجد بها بعض الصناعا، أما المناطق الساحلية، ففيها صيد الأسماك والتجارة، وبعض الصناعات أيضاً كصناعة السفن في مدينة صور(٤).

ومن مدن عُمان المهمّة نَزْوى عاصمة الإمامة وبُهلى(٥) وصحار وصور وقلهات، وقد وصف بعض هذه المدن الكتاب القدامى، فقال ابن بطوطة: «ومن مدن عُمان إزكي(٦)، لم أدخلها، وهي- على ما ذكر لي- مدينة عظيمة، ومنها القريات وشبا وكَلْبا وخَورفَكّان وصُحار، وكلها ذات أنهار وحدائق وأشجار ونخل»(٧). وفصّل الحميري في وصف صُحار فقال:

---

(١) الحميري، محمد بن عبد المنعم. الروض المعطار في خبر الأقطار. ط(٢) مكتبة لبنان- مطابع هيدلبرغ- بيروت- لبنان ١٩٨٤م ص٤١٣.

(٢) ابن بطوطة. محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي- رحلة ابن بطوطة ط(١) دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ١٩٨٧م ص٢٨٤. (٣) الحميري- الروض المعطار ص٤١٣.

(٤) صُور: عاصمة المنطقة الشرقية الآن، تبعد عن العاصمة مسقط بحوالي (٣٣٧) كم تقريباً، وهي اعمر بلاد الساحل الشرقي من عمان، ولأهل صور مهارة في الأسفار البحرية، وهم اهل علم بأحوال البحر، ولهم يد في صناعة السفن.

(٥) بُهلى: من اهم بلاد الداخل وأعرقها في حسن الشمائل، تقع في الجهة الغربية بعد مدينة نزوى بـ ٣٧ كيلو، وهي مدينة علم وكورة ملك، حيث جعلها ملوك بني نبهان عرش مملكتهم عهداً طويلاً، وأخرجت علماء افاضل. (السيابي- العنوان ٦٦، ٧٧).

(٦) إزكي: مدينة قديمة من العمارات العريقة مجداً وسؤدداً، وهي من مدن عمان الداخل، وتقع بعد مدينة سمائل وقبل مدينة نزوى. بـ٣٠كيلو، اشتهر بها من فحول العلم عباهل اطواد، ولم تزل العلماء تخرج منها. ذكر الشيخ السيابي: أن أكثر علماء عمان من هذه الثلاث العواصم الكبرى، نزوى فبُهلى، فإزكي. وهي الآن ولاية من ولايات السلطنة السيابي - العنوان- ٨٧-٨٩.

(٧) ابن بطوطة. رحلة ابن بطوطة. ص٢٨٥.

هي مدينة كبيرة بأرض عُمان، وهي قصبة عُمان، وعلى ساحل البحر، مقدارها فرسخ في فرسخ، ومياهها من الآبار، وهي أقدم مدن عُمان وأكثرها أموالاً قديماً وحديثاً، ويقصدها في كل سنة من تجار البلاد ما لايحصى عددهم، وإليها تجلب جميع بضائع اليمن ويتجهز منها بأنواع التجارات، وبها النخيل والموز والرمان والسفرجل وكثير من الثمار الطيبة، وكان بصُحار مجتمع للتجار، ومنها يتجهز لكل بلدة، وكذلك إلى بلاد الهند والصين(١).

واشتهرت عُمان بمجموعة من الفنون الحضرية، كتشييد المنازل والقلاع والحصون، وبناء المراكب والسفن، وصناعة المنسوجات، والصناعات المعدنية، سواء من ذلك الصناعات الفضية أو النحاسية أو الحديدية، وكذلك بعض الصناعات الجلدية والصناعات السعفية.

ففي مجال صناعة الغزل والنسيج، اشتُهرت عُمان بهذه الصناعة منذ ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية، وكانت تصدر إنتاجها. ومن الأقاليم التي كانت تصدر إليها المنسوجات العُمانية، الحجاز.

وكانت صُحار من أهم مراكز النسيج في عُمان، فاشتهرت منسوجاتها وانتشرت، وكانت تسمى الصحارية(٢)، ومن صناعاتها الصوفية (بيوت الشَّعر) والمفارش التي يستخدمها البدوي، وبعض الألبسة مثل (المنسول) وبعض الفرش الذي يفرش على الدواب مثل (السَّيَح والخروج والبَده والمحاوي)، إلى جانب أربطة الدواب، كالمحاقب والخُطم والغُرَض والقلائد(٣).

وعرفت عُمان بصناعة السفن منذ زمن بعيد، وكان العمانيون يتبعون في صنع سفنهم التقاليد السائدة في صناعاتها في المحيط الهندي، إذ كانت السفن في ذلك الوقت تخرز بالألياف وتشد ولا تسمر بمسامير الحديد.

أما الأخشاب المستخدمة فيها، فكانت الصاج والفيني والعيني والفنس، وكانت تلك الأخشاب تجلب إلى عمان من الهند، وبعض العُمانيين كانوا يذهبون إلى الهند ليصنعوا سفنهم فيها؛ نظراً لتوافر هذه الأخشاب هناك، وبعض سفنهم يصنعونها في عُمان(٤).

أما صناعة الفضة، فتعدّ من أهم الصناعات التي تشتهر بها عُمان، ومن هذه الصناعات،

---

(١) الحميري، الروض المعطار ص٣٥٤، ٣٥٥.
(٢) وزارة التراث القومي والثقافة. حصاد ندوة الدراسات العمانية سلطنة عمان. نوفمبر ١٩٨٠م ٤/ ١٥٢
(٣) نفسه ٤/ ١٢٧
(٤) حصاد ندوة الدراسات العُمانية ٤/ ١١١.

صناعة الخناجر والنّصال والسيوف، وأدوات الحلي كالقلائد الفضية والأساور والخلاخل التي تسمى (نطل)، والأقراط والخواتم وغيرها من الحلي التي تتحلى بها المرأة العُمانية.

ومن تلك الصناعات، الأواني الفضية التي تتميز بزخارف مختلفة، كأباريق القهوة والمباخر ورشاشات ماء الورد، والمكاحل الفضية التي يحفظ فيها الكحل(١).

الحياة العلمية:- إن الفترة «مابين أوائل القرن التاسع إلى أواخر القرن العاشر الهجريّيْن تقريباً فترة عرفت بكثير من العلماء والفقهاء والشعراء، وظهر في أثنائها بيوتات كان أهلها معادن العلم والفضل والشرف، وتسلسل ذلك في ذراريهم إلى أمد بعيد، فتوارثوا العلم كابراً عن كابر، وخلفاً عن سلف من آباء إلى أبناء وأحفاد، فكان منهم أئمة هدى وأساطين علم، وتصدُّر للفتيا واشتغال بالتأليف»(٢).

فمن هذه البيوت، بيت آل مفرج؛ ابتداء من أول القرن التاسع إلى آخر القرن العاشر، وبيت آل مداد، ،وآل بني عبد السلام، وآل المعدّ البهلويون، وآل الطبيب بن هاشم العيني الرستاقي وغيرهم(٣).

وكان بعض ملوك تلك الفترة يقربون الأدباء والشعراء، فذكر ابن رزيق أن الفلاح بن المحْسن كان محبّاً للشعر والشعراء، مكرماً لمن مدحه، وقد مدحه موسى بن حسين بن شوال الحسيني بجملة قصائد، ومدحه غيره من أهل عصره، فأجازهم وأنعم عليهم(٤).

ولاأستطيع أن أستعرض علماء عصر ابن اللواح وشعراءه، فهم كثر، وقد جمع الشيخ سيف البطاشي لبعض علماء تلك الفترة مجلداً كاملاً، ظهر مطبوعاً في هذه الآونة، ولكني أذكر بعضهم باختصار شديد، ومن شاء التوسع، فليرجع إلى كتاب الشيخ البطاشي؛ «اتحاف الأعيان» الجزء الثاني.

فمن علماء ذلك العصر العلامة الفقيه والشاعر البليغ محمد بن مداد بن محمد بن مداد بن فضالة الناعبي، من علماء النصف الثاني من القرن التاسع، وله ديوان شعر، نقل منه الشيخ البطاشي قصائد متعددة في موضوعات مختلفة، فمنها قصائد في ذكر رجال المذهب الإباضي ومدحهم، ومنها في الرثاء، ومنها في صفات الفَرَس، ومنها في الحكم والنصائح والفخر بشعره، ومنها في مسيره إلى الحج وزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، إلى غير ذلك.

---

(١) حصاد ندوة الدراسات العُمانية ١٥٩/٤-١٩٥.
(٢) البطاشي- إتحاف الأعيان ٢٩٩/٢.
(٣) ابن رزيق- الفتح المبين- وزارة التراث القومي والثقافة ط٢ ١٩٨٣م ص٢٥٠.

ونحن نقتطف أزهاراً من تلك الرياض، فمما قاله في الغزل(١).

ومـا ظبيـةٌ من ظِبـاءِ السَّرير	ترودُ وترعى به الأخـزمـا
بأحْسَنَ منهـا ولا شـادنٌ	تَرتَّبَ حِقْفـاً له أهيـمـا
تميلُ بفـرْعٍ لهـا فـاحمٍ	تَظِلُّ المداري به أسـحـمـا
ووجْهٌ يُشـابِهُ بدر السـمـا	وكـشحٌ لطيفٌ لهـا أهضـمـا
يزينُ ترائبَهـا عِقـدُها	وثدْيانِ لمْ يعْدُ أنْ أحـجـمـا
وتخطو بِبُرْدَيْتي حـابرٍ	سـقـتْه المدافع من سيـفـمـا
وصـدرٌ رحـيبٌ وكفٌ خـضـيبٌ	تُحـاكي قنوتَه العنْدمـا
وتبـسِمُ عن بَرَدٍ ناصعٍ	تزينُ مـلاغـمُهُ المبسـمـا
سـقـاهُ الرُّضـابُ سحيقَ الملاب	إلى سـاعِدَينِ لهـا أفـعـمـا
وردْفٌ عـمـيمٌ كَدِعَصِ النَّقـا	سـقـاهُ الحيـا الجسون إذ دَيَّمـا

وفي هذه المقطوعة وصف حسيّ لمحاسن الفتاة والتغزل بها:(١)

وفي افتخاره بقوافيه يقول:(١)

أيـا نُعمُ رُبَّ كـرى نـاعمٍ	نفـيتُ به العينَ أن تَطعُمـا
ولاحٍ عـصـيتُ على حُبِّكمْ	وليلٍ جـشـمتُ له مـجـشـمـا
وهَمٍّ جـعـلتُ له الـشُعْرَيَيْـ	ـنِ سـمـيـراً لأجلِكِ والمرزمـا
ورُبَّ قـوافٍ كـمـثل السـهـامِ	جـعلتُ لهـا حـبَّكم سُلّمـا

وله قصيدة بائية أكثر فيها استعمال الغريب في مفرداتها وتراكيبها، ابتدأها بوصف الطبيعة، ثم ملأها حكماً ونصائح وإرشادات، ثم افتخر بشعره فيها:

فمن نصائحه قوله(٤):

---

(١) البطاشي- إتحاف الأعيان ٢/ ٢٩.
(٢) البطاشي - الاتحاف ٢/ ٢٩
(٣) نفسه ٢/ ٣٠
(٤) البطاشي- الإتحاف ٢/ ٣٤ .

ولا تَكُ نضـاراً لعطفِك ناسـياً ... لإلفك مَنَّاعاً شَديدَ التكالُبِ
ولا تَكُ مختالاً فخوراً مُغالباً ... فإنَّ إله العرشِ أغلبُ غالبِ
ولا تَكُ معطاءَ البعيد تنالُه ... ببرٍ وتجفو للقريبِ المقاربِ
كفعل نعام الدَّوِّ يتركُ بيضَهُ ... ويحضُنُ بيض الغاديات الهواربِ
وإياكَ والسوءاتِ لا تقربنَّها ... كفى باسمها شراً فَسَدِّد وقاربِ

إلى أن قال:

وكُنْ مُخْلِصاً للناسِ مُرّاً ومُرْسَلاً ... قريباً بعيداً راغباً غيرَ راغبِ
وأَغْضُ واغمِضْ وافْتَقِدْ واعْفُ واعْتَقِدْ ... وجُدْ واقْتَصِدْ واحلمْ ولُجَّ وخاطبِ

ومن قصائده في مدح رجال المذهب الإباضي، قصيدة صعبة المركب، ركبها على قافية الياء المشدّدة، وجعلها إجابة عن سؤال فتاة حسناء، سألته مَنْ هو وما دينه. مطلعها:(١)

يا دارَ هندٍ جادكِ الوسميُّ ... وجادكِ الأنواءُ والوليُّ

وعند إجابته لها قال:

إنّا أناسٌ مجدُنا رفيعيُّ ... ما نَعَب الناعبَ ناعبيُّ
ودينُنا أنورُ محبوبيُّ ... آلُ الرحيل كُلُّهم وفيُّ
منا ابنُ وَهْبٍ ذاك راسبيُّ ... وابنُ إباضِ الأزهرُ السعديُّ

وابنا حُدَيْرٍ دينُهم سويُّ ... وجابرُ بن زيدِ الحفيُّ

إلى أن قال وهو يذكر العلماء خاصة من أهل عُمان:(٢)

وقد كَفاكَ العلمَ مَخْلَديُّ ... ومثلُه في الدين مَعْقَديُّ
ثم الإمامُ العالمُ العينيُّ ... محمدٌ وصِنْوُه عليُّ
ونجدة بن الفاضل النخليُّ ... وتربُه في الحكمة الوبليُّ
والكِدَميُّ شيخنا الرضيُّ ... نَصٌّ له العلومَ بساويُّ
ثم ابنُ عيسى العالمُ السَّريُّ ... والمَنَحيُّون لهم قريُّ

---

(١) نفسه ٣٨.
(٢) نفسه ٤٠.

ومن علماء النصف الثاني من القرن التاسع الشيخ محمد بن موسى البهلوي، وهو شاعر وأديب، من آثاره الباقية مقصورة بليغة ورائية يقول في المقصورة:(١)

لِكلِّ شيءٍ جِدّةٌ سوى الشنا ... موصولةٌ من الزمان بالبلى
فلا تُرِقْ ماءَ الحيا بِمَطْمَعٍ ... فإنّ ماءَ الوجْهِ من ماءِ الحيا
فالحرُّ أوفى أن يُصانَ عِرضُهُ ... صوناً على العينين من وقع القَذا
لا خيرَ فيمنْ لم يكُنْ ذا شيمةٍ ... ترفّعتْ عن كلِّ عيبٍ وخَنا

ومطلع رائيته هو :(٢)

رَنَتْ بعينِ الرشأ الأحورِ ... ذاتُ الجبينِ الواضحِ الأزهرِ
وأشرقَتْ كالشمسِ رأد الضُّحى ... بنورِ وجهٍ ضاحكٍ مُسْفرِ
وأقبلت مقصورةً في الخُطا ... تجرُّ أذيالاً من العبْقريَ
كأنما رقراقُ ماءٍ على ... نارٍ بَدا في خدِّها الأحمرِ

ومن علماء القرن العاشر من بيت آل عبد السلام، الشيخ الفقيه أبو الحسن بن عبد السلام ومنهم الشيخ الفقيه عبد السلام بن أبي الحسن بن عبد السلام من علماء النصف الثاني من القرن العاشر(٣)، والشيخ العالم الفقيه أبو عبدالله محمد بن سعيد بن محمد بن عبد السلام من علماء نخل، ومن مؤلفاته كتاب «سر الأحكام» ذكر الشيخ البطاشي أنه يوجد بمكتبة وزارة التراث القومي(٤).

وعندما توفي هذا العالم، رثاه شاعرنا المُلوحي بعينية غراء(٥).

ومنهم العالم الفقيه القاضي صالح بن أبي الحسن بن عبد السلام الرستاقي، من علماء النصف الثاني من القرن العاشر، ولعله أخ للشيخ عبد السلام بن أبي الحسن السالف الذكر(٦)، وقد رثاه شاعرنا المُلوحي بقصيدة عينية مطلعها:(٧)

الرّزءُ أعظمُ أن تُراقَ دموعُ ... أو أن تُقَدَّ من الزفيرِ ضُلوعُ

أما بيت ابن هاشم الطبيب، فقد «تخرج منه علماء جمع بعضهم بين الفقه وعلم الطب، وكان لهم فيه مهارة فائقة وشهرة واسعة في معرفة الأمراض وعلاجها، فألفوا فيه الكتب المفيدة»(٨).

(١) الإتحاف ٢/ ١١٤. (٢) نفسه ١١٦. (٣) نفسه ١٢١ - ١٢٧. (٤) الإتحاف ٢/ ١٢٩
(٥) تنظر القصيدة في ديوان اللواح ٢/ ١٦٩. (٦) الإتحاف ٢/ ١٣١. (٧) الديوان ٢/ ١٧٥.
(٨) الإتحاف ٢/ ١٥٥.

ومن أشهر أطباء بيت ابن هاشم، الطبيب الماهر الشيخ راشد بن عميرة بن ثاني بن خلف، وهو أعرف بقوانين الطب من عمّ أبيه راشد بن خلف وأطول باعاً وأغزر علماً، وأكثر مؤلفات، ومن مؤلفاته:

١- فاكهة ابن السبيل، طبعته وزارة التراث في جزأين.

٢- مختصر فاكهة ابن السبيل.

٣- منهاج المتعلمين.

٤- منظومة وشرحها في سن الإنسان من الطفولة إلى الهرم.

٥- منظومة في تشريح العين، وقد شرحها بنفسه.

٦- منظومة وشرحها في ذكر الأعضاء الرئيسية في جسد الإنسان.

٧- مقاصد الدليل وبرهان السبيل.

وله رسالة صغيرة في الكيّ بالنار ورسمه، وهيئة الآلة الحديدية التي يوسم بها موضع العلة من الجسد، يقول في مقدمتها: «اعلم أن الكيّ لا يكون إلا من علة تولدت من رطوبة مع حرارة، أو رطوبة مع برودة، وأما مع اليبس، فلا ينبغي ذلك أصلاً، لمقابلة النار اليبس، والنار حارة يابسة فتهلكه.

ولا يكون إلا لما كان من الأعراض التي لا تبرأ لتقادمها واستيلائها عن الأعضاء، ولكونه في قعر الأعضاء وغورها، فاضطر المتطببون إلى التكلف لها والوصول إليها بالكي، وهو أبلغ أصناف العلاج وأنجع وأحسم للعرض القديم والحديث»(١).

ومما قاله في قصيدته الميمية في خلق العين وتشريحها والأمراض التي تصيبها وكيف يكون علاجها قوله:(٢)

إني نظمْتُ مقالاً في الذي شَرَعتْ ... فيه الأطباءُ من علمٍ ومن حِكَمِ
مُبَيِّناً فيه تَشْريحَ العُيونِ على ... قولِ الأوائلِ من لفظٍ ومن كَلِمِ
مُصَرِّحاً طبقاتِ العينِ إذ خُلِقَتْ ... أعدادُها سَبْعُ ما في القولِ من وَصَمِ

---

(١) الإتحاف ٢/١٦٧.

(٢) نفسه ١٧٨.

قال في الشرح «والطبقات هي طبقات العين، واحدها طبقة وعدد أطباق العين سبع طبقات. سوف نذكرها في الأبيات التالية»:

ثُمَّ الرّطوباتُ فيها النورُ يجمعُه　　　منها الجليدُ فكالسُّلطانِ والخَدَمِ

قال في الشرح: "لها ثلاث رطوبات، وهي الزجاجية والجليدية والبيضية، وقوله يجمعها منها الجليد، وهي الرطوبة الوسطى التي فيها النور، وسميت الجليدية؛ لأنها تشبه الجليد، ثم التي هي أسفلها فهي الزجاجية، هي تشبه الزجاج الذائب،.... ثم تليها الرطوبة البيضية، وهي شبيهة ببياض البيض الرقيق، وخلقت لتندي الرطوبة الجليدية لئلا يجففها الهواء».

ومن أصدقاء أبي حمزة، العالم الفقيه والشاعر البليغ عبدالله بن عمر بن زياد بن أحمد الشقصي، من علماء بُهلى، له قصائد وأراجيز كثيرة في الأديان والأحكام. قال الشيخ البطاشي: لو جمعت تلك الأراجيز والقصائد لكانت مجلداً كبيراً.

والشيخ عبدالله البهلوي من بيت علم وفضل، فقد كان أخوه سعيد بن عمر ووالده عمر بن زياد وعمه سعيد بن زياد وجدّه زياد بن أحمد من رجال العلم في زمانهم، وهم من علماء القرن العاشر.

وقد عاصر الشيخ البهلويُّ من الأئمة، الإمام محمد بن إسماعيل، وكان على رأس المبايعين لولده بركات بن محمد بن إسماعيل بالأمامة سنة اثنتين وأربعين وتسعمئة.

ونمثل بقصيدة من قصائده قالها في أمر الاختلاف بين المسلمين في أيام الإمام علي- كرم الله وجهه- وفي مدح أصحاب المذهب الإباضي، مطلعها:(٣).

أرقْتُ لطيفِ حالفَ القلبَ لم يسْرِ　　　وأسعر في جسمي لهيباً من الجمرِ
وجدّدَ تبريحاً وعيلَ به صبري　　　وأزعجَ حُزْناً في الحشا دائم الحرِّ
فبتُّ كئيباً واجفَ القلبِ ذا ضُرِّ
وما هو من فقد الحبيب الذي بانا　　　لخودِ خرودٍ غضّةِ الجسم قد كانا
مُنعّمَةٍ هيفاءَ في النومِ تغشانا　　　تُريكَ سنا وجْهٍ كَبَدْرٍ إذا بانا
وقَداً أسيلاً ماءُ حُسْنٍ به يجري
قطوفٌ خُطاها إن مشتْ مِشْيةَ المها　　　تميسُ كغصن البانِ في الحسن والبَها

(١) الإتحاف ٢/١٦٧.
(٢) نفسه ١٧٨.
(٣) تنظر ترجمة هذا العَلَم في الإتحاف ٢/١٩٧- ٢٣٠.

وترنو بعينِ الريمِ من أعيُن لها بَرَهْرَهَةٌ خَوْدٌ تجدّدَ دلُّها
خَدَلَّجَةُ الساقين خمصانةُ الخصْرِ

فليس لها قد زال قلبي عن الكرى ولا ذكّرتني للمنازلِ والقُرى
نَسيمُ الصَّبا أو جددتْ لي تَذكُّرا وقد صرتُ من بين البريةِ في الورى
حليفَ صباباتٍ وقد خانني صبري

ولكنْ لدينِ الله إذ صارَ حبلُهُ دريساً عفتْ آثارُه ثم سُبْلُه
وقد عزّ أهلوهُ وأهْمِلَ حِمْلُه فصار ضعيفاً لا يُعظّمُ فضْلُه
قلوبُ الورى مَجّتْهُ من باطنِ الصَّدْرِ

وفي ذكر الصحابة وقتلى النهروان قال:

فكمْ من تَقيٍّ أريحيٍّ مُجاهدِ رضيٍّ وَليٍّ مُخلصِ الدين عابدِ
قتيلاً ثوى في الحرب عند التجالُدِ على طاعةِ الرحمنِ غيرِ معاندِ
وكم من فتى حَبْرٍ هناك ومن بَرٍّ

وألفانِ من قتلى النُّخيلة قد قالوا بقيّةُ أهلِ النهرِ للفضل قد نالوا
كرامٌ عِفافٌ صالحون وأبطالُ ولم يُلهِهِم في الله أهلٌ ولا مالُ
شروا أنفُساً لله بالثمن الوفرِ

هُداةٌ تقاةٌ ليس في دينهم غَمْزُ زكيون أوّابون للعُرفِ يَهتزُّوا
مساعيرُ في الهيجاءِ للدين قد عزّوا فما فيهمُ رمزٌ وما فيهم نَبْزُ
فأحلامهم أصفى من الوابلِ القطْرِ

يبيتون طولَ الليلِ لله يَعبُدوا ويتلونَ وَحْيَ الله إذ يتهجّدوا
ويدعون ربَّ العرشِ لله وَحّدوا قلوبُهُمُ طارتْ من الخوفِ تُرْعِدُ
وكانوا قياماً رُكّعاً مُدّةَ العُمْرِ

وفي ذكر إباضية أهل المغرب قال:

نواليهمُ في الله حقاً ونقتدي بهمْ في أمورِ الناس يوماً ونهتدي
فَهُمْ خلفاءُ اللهِ من بَعْدِ أحمدِ على الأمرِ بالمعروف في كلِّ مقصدِ
فما فيهمُ شكٌ وطعْنٌ لمن يزري

هداةٌ تقاةٌ ليس في دينهم زَلَلْ لقد صحبوا القولَ الصحيحَ مع العملْ

وقد خالفوا في اللّهِ قولَ ذوي الجَدَلْ بغـيـرِ مـقـالِ الحقِّ كلهم كـمـلْ

عليهم سلامُ اللّه في الليلِ والفجْرِ

وفي آخر القصيدة قال مفتخراً بها:

فـدونكُمُ غـراء ذات العـجـائبِ مُعَدّلَةِ الأوزانِ مـن كـل جـانـبِ

تميسُ كـخـودٍ غـضـةٍ ذي ترائبِ تتـيـه بِحُسْنِ الحِلْي فـوق التـرائبِ

لهـا حُلَلٌ مـن سُنْدُسٍ ناعـمٍ خـضـرِ

إذا مـا شـداها مـاهرٌ في الملا حَلَتْ لسـامـعـهـا بالحبِّ في قلبـه زكَتْ

يقـول لشـاديهـا أعِدْها فـقـد أتَتْ بِحُسنِ مـعـانٍ للكآبة قـد حَلَتْ

فَيَسْلو بها الراوي ومستـمعُ الشِّعْرِ

تَنَحّلْتُهـا من حُسنِ فكْرٍ سَبَكْتُهـا ومن قـالب البحر الطويل غـرفـتُها

وعـارضـتُهـا بالنحـو لما رويتُها وفي أصل دين المسلمين أختـصرتُها

ليُفـهَمَ مـعناها ويَدري الذي يدْري

ولـكنـهـا في قـلـبِ كُلِّ مـنافقِ كـسُمٌ الأفـاعي بين تلك الغـواسِقِ

وفي حلْقِ عـاصي الله من كل فـاسق شجى وحـمـيم للشـقيِّ المفـارق

وصـمّتْ به الآذانُ من شـدةِ الوقـرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

السيرة

اسمه ولقبه:هو سالمُ بن غَسَّان بن مُحَمَّد بن راشد بن مُحَمد بن أبي غسّان بن غَسَّان الخَرُوصي الشَّنَوِيّ الأزدِي(١).

ولااختلاف في اسمه واسم أبيه، إنما الاختلاف في جده ومن بعده، فالشيخ البُهلوي(٢)ذكر نسبه كما ذكرناه سابقاً، وهو من أصدقائه ومعاصريه،

ووافق حُمَيْدُ بن مُحَمّد بن رُزَيق في الصحيفة القحطانية البُهْلَوِيّ في هذا النسب(٣)، إلا أن الدراسات المعاصرة(٤) جعلت جده «راشد»، بدلاً من مُحَمد بن راشد، وزاد مُهنّا بنُ خَلْفان الخَروصيّ (في ترجمته للشاعر) على الجد، (راشد) بن علي بن عبدالله، وتبعه محقق الديوان في ذلك(٥).

وإني أرجح أن يكون اسمه كما أثبته سابقاً، لا كما جاء في الترجمة «وفي الديوان» للأسباب التالية:

١- إنّ الشيخ البُهلوي كان معاصراً للشاعر وصديقاً له، وكانت القصيدة الهائية التي أرسلها الشاعر إلى أهل المغرب بخط يد الشيخ البهلوي، وقد بين الشاعر نفسه فقال:

كذاك كاتبُها يُهدي تَحيّتَه	إليكُمْ ما امتَطى في البيدِ سافِرُها
عبدُالإلهِ ببُهْلى حَلَّ مسكنُه	نجلُ الفتى عُمَر ما سارَ سائرُها

فعبدُالله بن عُمر إذن هو دَرِيٌّ بجد الشاعر ونسبه إذ بَيّنَه في شرحه لها.

٢- أنّ حُمَيْدَ بن مُحَمّد بن رُزَيْق مؤرخ ونسابة قديم، فيحتمل أن يكون قد اطلع على نسب الشاعر من شرح الهائية أو من مصادر أخرى لم تصل إلينا.

---

(١) حُمَيْد بن مُحَمّد بن رُزَيْق: الصحيفة القحطانية٢ ورقة ٣٧٦، وعبدالله بن عمر بن زياد: شرح هائية الشاعر لأهل المغرب، ورقة ٤٤.

(٢) تحدثت عنه في التمهيد ضمن الحياة العلمية.

(٣) حُميد بن محمد بن رُزَيق مؤرخ ونسابة من علماء القرن الثالث عشر الهجري. دليل أعلام عمان ص٥٣.

(٤) محمد بن راشد الخصيبي. شقائق النعمان. ج١: ٤٥. والسعيد بدوي وغيره: دليل أعلام عمان ص٧٧.

(٥) ديوان اللواح ج١: ٥٢، ٥٣.

٣- أنّ المترجم للشاعر، وهو الشيخ مُهَنّا بن خَلْفان الخَرُوصيّ- وهو معاصر- اعتمد في ترجمته الكتابة على الأحجار بموضع (غاف البَقْريّة) ، وما كتبه علي بن أبي أيوب في محراب مسجد الخَيْل في قرية العَلْيا من وادي بني خروص وذلك لا يمكن أن يُعَد مصدرا(١).

فالكتابة التي على الأحجار لا تكاد تقرأ، فقد أثرت فيها عوامل التعرية، كما أن الأحجار المكتوب عليها تَمُرُّ بها السيارة والمارة، فلا يصح أن تعد مصدراً يعتد به في نسب الشاعر إذ لا يمكن الثقة بها.

أما بالنسبة إلى ما كتبه علي بن أيوب الخروصي في محراب المسجد، فأمر يدعونا للتساؤل عن علي بن أيوب. من هو؟ هل هو مؤرخ؟ فإن كان كذلك- وكما ذكر مُهَنا بن خلفان- وله كتب تاريخية؛ فإننا لم نطلع عليها، ولم يذكرها مؤرخو السير العمانية- في حدود اطلاعي- وإن كان مطلعاً على التاريخ، فإن حياة علي بن أيوب لا تعدو أن تكون في النصف الثاني من القرن الماضي (الرابع عشر الهجري)، إذ إنّ عُمْرَ مَسْجد الخَيْل في قرية العَلْيا لا يعدو خمسين سنة، وعليها يكون تاريخ علي بن أيوب أحدث وأقل دقة من تاريخ البُهلوي وابن رُزَيق.

وقد بين الشاعر اسمه واسم أبيه في شعره وانتسابه إلى قبيلة بني خروص وهي من الأزد فقال(٢):

أنا العُماني واسمي سالمٌ وأبي ... غسانُ والأزدُ هُمْ قومي وهُم عَصَبي
ومن خَروصٍ إذا أنسبتني نسَبي ... وأنتَ حسبي ومولايَ ومنتخبي

وهناك أيضاً اختلاف في لقبه باختلاف الروايات التي اطلعت عليها؛ فمعاصره الشيخ البُهلوي وابن رُزَيق يرويان لقبه «المُلَوَّحي»، وفي الشقائق والإسعاف «اللواحي»، وفي دليل أعلام عمان والديوان، أثبتَ «اللواح».

فنحن الآن أمام ثلاث روايات، فلو نظرنا إلى الرواية الثانية وهي «اللواحي» بإثبات الياء بعد الحاء، لم نجدها عند البهلوي وابن رزيق، ولم يثبتها الشاعر في شعره، بل أثبت الأولى «المُلَوَّحي» والثالثة (اللواح) فقال عندما كان يناجي ربه(٣):

فيارَبَّ عَفْواً للمُلَوّح وابنِهِ ... وإن لم يكنْ عَفْواً فبئس المُلَوَّحُ

---

(١) ديوان اللواح ج١ : ٥٢.
(٢) المصدر السابق ١/ ٢٨٠.
(٣) الديوان ٢ : ٦٦.
(٤) نفسه ١ : ١٨٩.

وقال في رسالته التي أرسلها مع مُبارك بن غَريب وخِنْجَر بن غَريب للنبي صلى الله عليه وسلم(٤):

وقولا له اللّواح عبدُك سالم لكم طالب من سُحْبِ نُعماك وَبْلَها

فعلى أغلب الظن أن يكون لقبه «المُلَوّحي» أو «الملوح» و «اللواح» حسبما أثبته بنفسه، وكما دونه لنا معاصره البُهلوي.

نسبه وأسرته: «وبنو لواح ينتسبون إلى بني خَروص، فهم فرقة منهم»(١) ولقبوا ببني لواح لأن جَدّ هذه الأسرة كان يعمل ألواحاً من الرخام الأسود الموجود بموضع «صَلْف العَلامَة» شمالي قرية سِتال(٢) وكان ينحتها حتى تكون صالحة للكتابة بالرخام الأبيض الذي يكثر في شعاب الجبل الأخضر، وخاصة بقرية الهِجّار(٣)، ثم يبيع هذه الألواح لطلاب مدارس تحفيظ القرآن؛ ليكتبوا عليها حروف التهجي في الدروس الأولى(٤).

أما نسبته إلى بني خروص فصحيحة باتفاق، وهو يصرح في أشعاره، ويفتخر بأئمة بني خروص وعلمائهم.

وأما من هم بنو خروص؟ فأولئك من صميم الأزد كما ورد في شعره في الصفحة السابقة، من اليحمد، قال ابن الكلبي: «وَلَدَ نَصرُ بن زهران: عثمانَ، ودهمان، وَوَلَد عثمان بن نصر: عبدالله، وهو حُمَيْ» وَوَلَدَ حُمَيْ بن عثمان: اليَحْمَد، وَوَلَدَ اليحمد بن حُمَيْ، الشُّرْيَ، وماجداً»(٥).

وفي الاشتقاق: «اليحمد بن حُمَيْ بن عبدالله بن نصْر بن زهران.

ومن بطون اليحمد: المُجْد، وهم بنو ماجد، والشُّرْي وهم بنو شاري»(٦)

وفي الفتح المبين: «خروص بن شاري بن يحمد بن عبدالله بن عثمان بن نصر بن زهران بن

---

(١) الشقائق ١: ٤٥.

(٢) ستّال: قرية في وادي بني خروص، وتتبع الآن ولاية العَوابي من الحجر الغربي، وإليها يُنسب الشاعر أبو بكر احمد بن سعيد الخَروصي (الستالي). وزارة الداخلية- المرشد العام للولايات والقبائل في سلطنة عمان- مسقط، سلطنة عمان. ص٢٤٣.

(٣) الهجّار: قرية في وادي بني خروص، تتبع الآن ولاية العوابي. من الحجر الغربي. وهي بلدة الإمام الوارث بن كعب الخَروصي. المرجع السابق ص٣١١.

(٤) الديوان ١: ٥٢.

(٥) هشام بن محمد بن السائب الكلبي . نسب معد واليمن الكبير ج٢: ٢٩٧.

(٦) ابن دريد . الاشتقاق: ٥٠٦.

(٧) حميد بن محمد بن رزيق- الفتح المبين- ص١٧٩.

كعب بن حارث بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نبت»(٧).

وبنو خروص لهم بيت الإمامة في عمان، «وبيت العلم والعمل وأهل الفضل والشرف الديني، ومنهم الأئمة الأمجاد والعلماء الفطاحل»(١).

قال شاعر العرب أبو مسلم(٢):

وأين قــوامُ أمْرِ الناسِ قــادتُهم   بنو خـروصٍ حُمـاةُ الدينِ مُذْ كـانوا

لا يُنْكِرِ الناسُ مـا للقــومِ من قِدَمٍ   وكـيـف يلحق عينَ الشـمس نُكرانُ

أحـســابُهم ومــعــاليــهم ودينُهم   كـــواكبٌ وهدايـاتٌ وإتـقـــانُ

«وهم أيسرُ قبيلة يتفق العمانيون على إمامتهم منها، إذ لا يخشى أهلُ عمان منهم تسلّطاً على الملك»(٣). ولهم النصيب الأوفر في الأئمة، إذ نُصِّب منهم ثلاثة وعشرون إماما(٤).

ومن أئمتهم البارزين، الإمام، الوارث بن كعب الخَروصي(٥)، والإمام الصَّلْت بن مالك الخَرُوصي(٦)، ومن علمائهم الفطاحل، جاعد بن خميس بن مبارك الخروصي(٧)، ومن شعرائهم اللّسنين، أبو بكر أحمد بن سعيد الستالي(٨)، شاعر النباهنة الأوائل، وشاعرنا الْمَلَّوحي، وسعيد بن محمد بن راشد الغشري(٩).

(١) سالم بن حمود السيابي- إسعاف الأعيان- ص١١١.

(٢) ناصر بن سالم بن عديم الرواحي، كنيته أبو مسلم (١٨٥٦-١٩٢٠م) عالم، قاض، شاعر، وُلد في وادي مَحْرَم، ونشأ نشأة علمية، من مؤلفاته: ديوانه، نثار الجوهر. دليل اعلام عمان: ١٥٩، ١٦٠.

(٣) سالم بن حمود السيابي- إسعاف الأعيان- ص١١١.

(٤) محمد بن عبدالله السالمي، نهضة الأعيان، ص٦٨.

(٥) الوارثُ بن كَعْب الخَروصيّ: (.../١٩٢هـ) أول إمام عُماني من قبيلة بني خروص، تولى الإمامة سنة ١٧٦هـ، ومدة إمامته اثنتا عشرة سنة وستة اشهر، وفي زمنه، ارسل هارون الرشيد عيسى بن جعفر في ستة آلاف فارس، فأخرج له الوارث قائده فارس بن محمد ومعه جيش كبير، فانهزم عيسى وأسر، وأمسك الوارث عن قتله وتركه في السجن. (دليل أعلام عمان ص١٦٩).

(٦) الصَّلْتُ بنُ مالك الخَرُوصي: (.../٢٧٥هـ) إمام عقدت له الإمامة سنة ٢٣٧ هـ. عُمِّرَ في الإمامة طويلاً، وفي ايامه نقض الأحباش عهدهم، فهاجموا جزيرة سُقُطرى وقتلوا واليها، وكثيراً من اهلها، فسيّر الإمام إليهم جيشاً في مائة مركب فانقذها وهزم محتليها، وفي عهده، كثر العلماء وازدهر العلم. (دليل أعلام عمان ص٩٦).

(٧) جاعد بن خميس بن مبارك الخَرُوصي: المكنى أبا نبهان: (١١٤٧هـ- ١٢٣٧ هـ) شيخ فقيه من كبار العلماء من قرية (العلْيا) من وادي بني خَرُوص، كان عالماً وشاعراً، لقب في عمان بالشيخ الرئيس، تصانيفه كثيرة منها (تفسير لفاتحة الكتاب) و (كتاب الدقاق في دق أعناق أهل النفاق). ولشعراء عصره في مديحه جملة قصائد طنانة، ومجموعها يسمى (قلائد المرجان في مدح أبي نبهان). (دليل أعلام عمان ص٤٥)

(٨) احمد بن سعيد السَّتالي المكنى أبا بكر: من شعراء القرن السادس الهجري، يعرف شاعرَ النباهنة، وينسب إلى بلدته ستال في وادي بني خروص، له ديوان شعر مطبوع. (دليل أعلام عمان ص٢٨).

(٩) سعيد بن محمد بن راشد بن بَشير الخَرُوصي: شيخ شاعر من أهل الرستاق، عاش في القرن الثاني عشر، قرض الشعر وأبدع فيه، له ديوان مطبوع. (دليل أعلام عمان ص٨١)

والمَلوّحي يفتخر بأنه خروصي، وأن خروص من أزد شنوءة، وأنهم منذ الجاهلية كانوا ملوكاً، فلما جاء الاسلام ازداد فخرهم(١):

من القـــومِ الكرام بني خَروصٍ ... وأزدِ شنوءة فـــهُمُ ذُراها
لنا البيتُ المُقدّسُ في زُهيرٍ ... إذا ما شاعَ في قومٍ خَناها
ملوكُ الجـاهليّة أوّلونا ... وفي الإسلام مَفْخرُنا تناهى
فَنَحْنُ وُلاةُ سِرِّ اللهِ أمْسَتْ ... أواخِرُنا تُورّثُها أولاها

ويفتخر بأولئك الأئمة العدول الذين ساد عدلهم عمان وخارجها لمّا حكموا عمان، وتوسعت مملكتهم خارجها، وبأولئك العلماء والقضاة الذين كانت ترجع إليهم الفتوى في عصرهم، وأنه أصيل منهم وليس ممن يدّعي الأصالة(٢):

أئمــةُ عَدْلٍ أيّدَ اللهُ فعلهم ... بهمْ ظهر الاسلامُ واعْتَزَّ شاربه
ذُؤابة هودٍ فرعُ أزْدِ شَنوءةٍ ... لهُمْ كاهِلُ المجْدِ الأثيل وغاربُه
وإنيَ منهُمْ مِثْلُ إنسانِ مُقْلةٍ ... وما الليثُ إلا من ليوثٍ مناجبُه

وأما من ناحية أسرته، فلم يحدثنا التاريخ عنها؛ كأبيه وأمه وإخوته وزوجته وأخواله وعمومته وأبنائهم، فعمدت إلى ديوان شعره، إلا أنه لم يشف الغُلّة، فلم يذكر شيئاً عن أبيه وإخوته وأخواله وعمومته، وإنما ذكر مرثيتين لأمه وواحدة لزوجته ولم يتبين لي اسمها، بل تبين اسم أبيها، وهو أحمد بن موسى بن مسلم، ولم يذكر كل أبنائه منها، بل ذكر منهم غريباً وحمزة، فقال(٣):

وإنْ نظرتْ عَيْني غريباً وحمزةً ... وإخوتَهمْ حولي وهم يَتَوجّدُوا
يقولونَ لي: قُلْ مَنْ لنا بَعْدَ أمِّنا ... ومن غيرُها نَأوي إليها ونَقْصِدُ

وقد ذكر حمزة في مواضع متعددة، منها قوله(٤):

أحَمْزةُ نَسْلي أنا اللّيْثُ شِبْـ ... ـلي لعَلّك مِثْليَ لن ترْعَظا(٥)

(١) الديوان ٢/ ٨٦.
(٢) الديوان (المخطوط): ١٧٩.
(٣) الديوان ٢/ ١٤٥.
(٤) الديوان (المخطوط): ١٢٨.
(٥) الترعيظ: التقتير والتعجيل. ضدٌّ. (الطاهر احمد الزاوي. ترتيب القاموس المحيط ٢/ ٣٥٦).

وكنيته أبو الأشبال أو أبو الشبل(١):

ألا مبلغٌ مني أبا الشِّبْل حَمْزَةً نصائحَ لا تلقى بِهِنَّ نصائحا

وأغلب الظن أن حمزة قد أقام عند السلطان المظفر بن سلطان النبهاني(٢) في بُهْلى لطلب العلم(٣):

أبا الشِّبْلِ خُذْ حظاً من العِلْمِ والنُّهى تعشْ في حِمى المولى لعَلّكَ ناجحا

وحمزة هذا كان كثيراً ما يعتمد عليه أبوه في مهماته الكبرى، وقد كتب حمزة بيتاً من الشعر في كثير من أحجار الجبال المحيطة بقرية ستال، هو(٤):

صَبَرْنا عليهم فاقْتَضَيْنا بِثأرِنا ونَصْبِرُ أيضاً للجَميع ونَقْتَضي

وللشاعر من الأولاد أيضاً درويش وكنيته أبو الخِرْصِين، وكأنه من أدباء عصره(٥):

لئن بَكتِ الوَرْقا هَديلاً فإنَّني لأبكي أبا الخِرصين لا أتَفَنَّدُ
فما بعدَ درويش الأديب بنِ سالمٍ سُلُوٌّ ولا عنه عزا وتَجَلُّدُ

وإضافة إلى كونه أديباً ذكَرَ فطنته ونباهته ومعرفته بالفقه والتوحيد وحفظه للأحاديث النبوية الشريفة، وهو في سنٍّ مبكرة(٦):

لقد عرَفَ التوحيد وهو ابنُ ثَدْيِه رِضاعاً وَهل أمثالُ هذا يوحَّدُ
ويُسندُ أخباراً صِحاحاً وأيْنَ مَنْ كأمْثالِهِ في سِنِّهِ وهو يُسْنِدُ
نباهتُهُ كانت بعيسى بن مريم وقد قال هُزّي الجِذْعَ ساعةَ يولَدُ

وإن كان في وصفه لابنه مبالغة، فقد أجاب هو بنفسه على نفسه (وهل أمثال هذا يوحد).

ومن أولاده أيضاً، أحمد؛ الذي قتله ابن عمه ظلماً وجوراً، وقد أرخ الشاعر لمقتله بقوله(٧):

بالجُمعةِ الزّهرا وسادس عَشْرةٍ من ذي جمادى الآخر المنسابُ
من عامِ تسع مئين يحدو خَلْفَها عَدُّ الثمانين الحسابِ حسابُ

أي في يوم الجمعة السادس عشر من شهر جمادى الآخرة من سنة ٩٨٠هـ.

---

(١) الديوان (المخطوط): ١٢٢.
(٢) السلطان المظفر بن سلطان بن محسن بن سليمان النبهاني. من ملوك النباهنة المتاخرين. كان ملكاً على بُهْلى. مات سنة ٩٧٦هـ.
(٣) الديوان (المخطوط: ١٢٩). (٤) الديوان ١/ ٥١.
(٥) نفسه ٢/ ١٣٧. (٦) نفسه ٢/ ١٣٧. (٧) نفسه ٢/ ١٠٦.

نشأته:وقد وُلد شاعرنا المُلوّحي في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، وقد حدد كاتب ترجمته مُهَنا بن خَلَفَان الخَرُوصي سنة مولده بعام ٨٦٢هـ، وحدد سنة وفاته بعام ٩٢٠هـ، فيكون قد عاش على هذا التحديد ٥٨ سنة.

وفي موضع آخر حدده الكاتب بقوله(١): «ولد في آواخر القرن التاسع الهجري، وامتدت به الحياة السعيدة إلى أواخر القرن العاشر» فتكون سِنُّه قد تجاوزت مئة عام، وفي هذا نظر!!!

فقد حَاولت أن أجد قرائن أستدل بها عن حياة هذا الشاعر من معاصرته للشخصيات التي ارتبط معها بعلائق صداقة، إذ إن هذه الفترة التي عاش فيها شاعرنا من الفترات المجهولة تماماً، ولذلك، يقول الشيخ سيف بن حمود البطّاشي في الإتحاف: إن من يحاول دراسة هذه الفترة في عصرنا الحالي- أي فترة النباهنة- سيرتقي مرتقى صعبا(٢)، فلم أهتد إلى مصادر أخرى تحدد سنة مولده وسنة وفاته.

وإن أغلب الشخصيات التي ذكرها الشاعر في ديوانه مجهولة التاريخ في ميلادها ووفاتها، إلا أن بعض هؤلاء الأعلام- من مجريات التاريخ وحوادث السير- يستدل أنها عاشت في منتصف القرن العاشر الهجري، فمثلاً نجد قصيدة في الديوان عاتب الشاعر فيها الإمام بركات بن محمد بن إسماعيل في بعض الولاة، ومعروف لدى التاريخ العماني، أن الإمام بركات قد بويع على الإمامة في اليوم الذي مات فيه أبوه الإمام محمد بن إسماعيل؛ أي في سنة ٩٤٢هـ، وممن بايعه الشيخ القاضي عبدُالله بن عُمَر بن زياد الشقصي(٣).

والشيخ العلامة الفقيه أحمد بن مُدَّاد النّاعبي من المعارضين للإمامين محمد بن إسماعيل وابنه بركات، وله فيهما حديث طويل، تبرأ فيه من الإمامين، لارتكابهما أحداثاً توجب البراءة منهما(٤).

وعندما توفي هذا العلامة، رثاه ابن اللواح، ولكنني لم أجد تاريخاً لوفاة هذا العلامة ولا لمولده.

وارتبط الشاعر بعلاقات مع غَريب بن مُحمد السمائلي وأولاده ومع ملوك بني صلت

---

(١) مُهَنّا بن خَلَفان الخَرُوصي: اللواح كما صورته المصادر التاريخية، فعاليات المنتدى الأدبي يونيو/ ٩١ ص٢١٦.

(٢) سيف بن حمود البطاشي. إتحاف الأعيان ١/ ٣٩٣.

(٣) ينظر في ذلك: عبدالله بن حُميد السالمي. تحفة الأعيان ١/ ٣٨٦.

(٤) تنظر هذه السيرة في: سرحان بن سعيد الأزكوي، تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. تحقيق عبد المجيد حسيب القيسي. ص٧٥-٨١.

كالسلطان أبي مالك؛ أبي العرب بن أبي العرب بن صلت، وولده السلطان محمد بن أبي العرب، لكني لم أجد لهذه العلاقات تاريخاً، إلا أن بني صلت كانوا يحكمون الرُّسْتاقَ ونَخَل في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري، كما كانت له علاقة مع السلطان المظفر بن سلطان بن محسن النبهاني، وقد مات هذا السلطان سنة ٩٧٦هـ(١).

ثم إن هناك ثلاث قرائن تَنَبَّه عليها محقق الديوان:(٢)

الأولى: أنّ الشاعر قد رثى ابنه أحمد وأرخ لوفاته بسنة (٩٨٠هـ)(٣).

الثانية: أرخ لوفاة أبي سيت بن أحمد المنذري بسنة (٩٨١هـ)(٤).

الثالثة: أنّ الشاعر قد عاش اقتران قرنين. يقول(٥):

بدَهرٍ عِشْتُ بَعْدَهُمُ غريباً   أخبِّرُ عنهم غَيلان طيا
ومن يكُ عاشَ من قرنٍ لقرنٍ   تنكر منهُمُ طبْعاً وزيّا

وهناك قرائن أخرى تبين أن الشاعر قد تجاوز الستين عاماً ووصل السبعين، يدل على ذلك قوله(٦):

إذا كانتِ الستون عاماً تَصَرَّمَتْ   بعُمْري وذي السبْعُون يحْدُو بها الحادي

وفي قصيدته الهائية التي كتبها لأهل المغرب وذكر فيها علماءهم، وعبّادهم، فأولئك الأعلام ينتمون إلى الخمسين الثانية من المئة العاشرة للهجرة، كما يقول الشيخ سالم بن يعقوب، من مشايخ أهل تونس، وهذه القصيدة قد شرحها الشيخ القاضي عبدالله بن عُمر بن زياد الشَّقْصيّ، وهو ممن بايع الإمام بركات بن محمد الخَرُوصي بالإمامة سنة ٩٤٢هـ. وبقي على قيد الحياة حتى شهر المحرم من سنة ٩٦٣هـ، إذ إني وجدت خطَّ يد الشيخ الشقصي على كتاب التقييد للعلامة محمد بن عبدالله بن بركة، وقد نسخه بيده، وأرخ تاريخ فراغه بسنة ٩٦٣هـ.

وصفوة القول أنّ أحداث حياة شاعرنا- في الغالب- لم يكن شيءٌ منها في القرن التاسع، وإنما كانت في العقد الخامس من القرن العاشر، ولعله لم يولد سنة (٨٦٢هـ)، فلو ولد في هذا التاريخ، لسجل لنا شيئاً من الأحداث ما بين ٨٨٣-٩٠٠هـ. ففي هذه الفترة، يكون قد بلغ

(١) البطاشي. الاتحاف ٢/ ٧٦.
(٢) الديوان ٢/ ٨.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ١٠٦.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ١٢٢.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٢٨٤.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٣٠٨.

مرحلة من النضج- ولو ولد سنة ٨٦٢هـ- لكان يستطيع أن يسجل فيها أحداث عصره التي من أبرزها- في إمامة عمر ابن الخطاب الخروصي- حكمه على تغريق أموال بني نبهان التي اغتصبوها ظلماً وجوراً، وتوزيعها على من عند الإمام من الشراة(١).

ولم أجد تسجيلاً لهذه الحادثة في الديوان، ولا ارتبط الشاعر بعلاتق مع شخصيات تلك الفترة من سنة ٨٨٣-٩٠٠هـ.

ولو قدرنا ولادته بسنة (٨٩٥هـ) لربما كان ذلك أقرب، لكونه عاش من قرن لقرن، ولكونه قد تجاوز الستين والسبعين، ورثى ولده أحمد، وأبا سيت بن أحمد المنذري.

وقد وُلد أبو حمزة بقرية «ثَقْب» (بثاء مثلثة مفتوحة وقاف ساكنة وباء موحدة)، وهي قرية صغيرة في وادي بني خَروص على سفح الجبل الأخضر، لا تتجاوز مساحتها ٢ كيلو متر مربع.

وقد أكد الشاعر نفسه هذا فقال(٢): «وُلدتُ بدارِ حيٍّ بني خروص» وقد نشأ في ثقب وتعلم القرآن الكريم بقرية الهِجّار من وادي بني خروص»(٣) وبعد أن ختم القرآن الكريم، ذهب إلى العَوَابي ثم إلى نَخَل ليتعلم النحو والصرف وجزءاً من الفقه مع المبتدئين، فقد قال(٤): «وقطعت التمائم عند سوني»(٥) وقد تعلق قلبه ببلدة نَخَل، فهو يقول(٦):

فَجِسْمي مُقيمٌ في ديارِ شنوءة غريباً وأوطانُ الفؤادِ ففي نَخْلِ

لأن تعليمه المبكر كان في نَخَل حيث قطع فيها سلك تمائمه(٧)

هيَ الدارُ قد قطَعتُ سِلكَ تمائمي بها وبها جمَّعْتُ مُفْتَرقاً شملي

وربما ذهب بعد ذلك إلى الرُّسْتاق؛ لأخذ نصيبه التعليمي منها(٨):

دارٌ خلعْتُ بهـا عـقـودَ تمائمي وبِرَوْضِهـا أهْمَلْتُ تركَ جـلابِبي
وخلعْتُ أرسـانَ الصِّبـا بملاعب مِنهـا فَلَمْ تَقْفُرْ رسـومُ مـلاعـبي

ولعله بعد أن أخذ قسطاً من التعليم في بلدة الرستاق قد هاجر منها إلى بلدة بُهلى، وعاش

(١) ينظر سرحان الأزكوي: تاريخ عمان المقتبس ٧٢، السالمي، التحفة ٢/ ٣٧١.
(٢) الديوان ١/ ٣٨١.
(٣) نفسه ١/ ٤٧.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٣٨١.
(٥) سوني: الاسم القديم لبلدة العوابي الحالية. سالم بن حمود السيابي. إسعاف الأعيان ص١١١.
(٦) الديوان (المخطوط): ١١٨ .
(٧) المصدر نفسه: ١١٨
(٨) الديوان (المخطوط): ١٦١.

فيها جزءاً من حياته الأولى إذ قال:(١)

دارٌ تمائمَ سِنّي قــد خَلَعْتُ بهــا   كـمـا خَلَعْتُ بميـدانِ الهـوى عُذُري
وكمْ قـضيتُ بهـا عصـر الصِّبا وَطَراً   أرْعَيتُ فـي زمـن نـاهيـك مـن وَطَرِ

« ثمّ رحل إلى «نَزْوى» لمواصلة تعليمه عند أرباب العلم وشيوخ الفقه، وربما كانت إقامته بقرية سُعال من مدينة نَزوى»(٢) عند أخوال أبيه من أولاد شائع.

فهو إذن تعلم العلم في دائرة وطنه عمان ولم يخرج منها، وقضى شبيبته فيها مصاحباً العلماء الأخيار والفصحاء من أهل ذلك العصر(٣).

وقَضَّيْتُ الشبيبةَ في عُمان   مصاحبَ كلَّ ذي علمٍ ودين

وكان يتنقل في مدن عمان؛ فمن نَزْوى إلى إزكى إلى سمائل إلى مسقط، وربما أقام في هذه المدن؛ لأنه يذكر ذلك:(٤).

جِسمي بِنَزْوى قَدْ أضَرّ به النّوى   روحي وقلبي عِندكمُ بِسَمائلِ

وفي إقامته بإزكي يقول:(٥)

فَجسْمي زكٌ في إزكي مُقيماً   وقلبي بين أظهُرِكم مُقيمُ

وإقامته في إزكي أبعدته عن أصحابه المخلصين، فأحس بغربة فيها إذ يقول(٦):

أنا الغريبُ بإزكي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ   لا ناقةٌ ليَ في هذا ولا جَمَلُ

ولعل إقامته في إزكي كانت تكليفاً له، وهو غير راغب أن يقيم فيها(٧):

وما إزكى زكتْ عِنْدي ولكن   مُقامي في قضى حاجٍ مُفيدِ

وقد ذهب إلى مسقط أيضاً فأقام فيها:(٨)

مُقامي بِجَرْعا مسقطٍ عن بلادِكُمْ   وليس وإن شَطَّ المَزَارُ مُقامي

وكان يجوب الأقطار متنقلاً بين الشرق والغرب، تارة على السفن وهي تمخر عباب البحر،

---

(١) الديوان ١/ ١٧٠.
(٢) الديوان ١/ ٤٨.
(٣) الديوان ١/ ٣٨١.
(٤) الديوان (المخطوط): ٤٩.
(٥) نفسه: ١١٦.
(٦) نفسه: ٤٩.
(٧) الديوان ١/ ١٢٦.
(٨) الديوان (المخطوط): ٨٦.

وطوراً آخر على ناقة يقطع بها الزيازي المقفرة، الخالية من النبات ومن بقر الوحش، فهو يقول(١):

ركـبـتُ البحـرَ من شـرقٍ لِغَربٍ   بـظَهْـرِ المـوجِ فـي بَطنِ السُفُـنِ
وجُبْتُ الأرضَ مُقْفِرةَ الـزيـازي   عَفَتْ مـن كـل مُغـزِلـة وعِينِ(٢)

وفي هذه التنقلات، لا أدري: أذهب إلى مصر، ورأى نهرَ النيل فيها، وشرب منه؟ أم أنه بمجرد سماعه عن نهر النيل ضمنه في شعره، فهو يقول(٣):

ولو شَرِبْتُ مياهَ النِّيْلِ مِنْ صَدَإٍ   شوقاً لكُمْ لم أزَلْ يا سادتي صادي

وقد سافر إلى حج بيت الله الحرام، وربما كان ذلك في الخمسينات من عمره، وربما كان سفره عن طريق البر؛ لأنه أنشأ بمدينة الأحساء قصيدته الهائية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم(٤):

خَلِّ الكئيبَ بدائه في ذاتهِ   فَفُؤادُهُ قَدْ ذاب من حَسَراتِهِ

وله في تنقلاته نهج يتبعه في مدن عمان وقراها، وهو ألاّ يقيم في بلدته «ثَقْب»، وإنما يأتي إليها زائراً كحجاج مكة، يأتونها زواراً، وذلك يتضح من خلال وصيته لولده حمزة عندما قال له(٥):

وثَقْبا فَدَعْها كعبةً فهي مكـةٌ   تؤُمُّ لها الأعجـامُ والحضرُ والبَدْوُ
وبحـراً خِضَمّاً زاخـرَ العلمِ طامِياً   جـميعُ الورى منها على العَلِّ توردُ

يأتيها العربي والأعجمي، الحاضر والبادي، يردون من بحر علمها الزاخر.

فهذا تصويره لبلدته ثقب، فهي متمكنةٌ في قلبه، يمدحها ويثني عليها، لأنها غذته يافعاً وشيخاً، وارتضع من خيرات ثديها، فلا يمكنه أن يجحد معروفها وفضلها(٦):

ومن لائمي فيـها إذا ما مَدَحْتُها   فذو الفضل والآلاء بالحمد يُحْمَدُ
هي الأمُّ غـذَّتني صبيًّا وشـايباً   وكم أرْضَعَتْني ثديَهـا يومَ أولدُ
فـإن فـاتني حَمْدٌ لهـا أنا ظالمٌ   جحودٌ ومثلي فضلَها ليس يَجحَدُ

---

(١) الديوان ١/ ٣٨١
(٢) الزيازي: ما غلُظَ من الأرض. - والأكمة: ترتيب القاموس المحيط ٢/ ٤٩٨.
العين: بالكسر بقر الوحش. ترتيب القاموس المحيط. ٣/ ٣٦٠.
الغزالة: كسحابة: عُشبة من السُّطّاح حُلوة يأكلها كل شيء. نفسه ٣/ ٣٩١ والمخصص ١١/ ١٦١.
(٣) الديوان (المخطوط): ١١١.   (٤) الديوان ١/ ٢٤٧.
(٥) الديوان (المخطوط): ١٣٨.   (٦) نفسه: ١٣٩.

وهي وإن كانت صغيرة وبها أناس قليلون؛ فإن أهل الفضل قلة، وإن هجرها وسافر عنها فما ذلك إلا هجر دلال(١):

فإنْ قالَ بعضُ الناس دارُ قليلة ... قليلٌ وُلاةُ الفضْلِ من حيثُ يوجَدُ
وإن قيلَ لي ما الذنبُ كيفَ هجرتَها ... فقلتُ لَهُمْ هجرُ الدلالِ مُؤَيَّدُ

ويدعو لها ألاّ يصيبها قحط، بل يتمنى لها ألاّ تغادرها السحب الماطرة والرعد والبرق حتى تغدو كرياض الفردوس، تشقشق عليها العصافير وتغني بها الطيور فرحاً؛ فتسعد بها أهلها ليعيشوا أعزاء في نعمائها(٢):

ولا جَدِبَتْ ثَقْبٌ ولا ساءَ دَهرُها ... ولا سامَها بالخسْف لَحزٌ مُزَنَّدُ(٣)
ولا فارقتها السُّحْبُ كل عَشيّةٍ ... بها البرقُ مُسْتَنٌّ بها الرعدُ يُرْعِدُ(٤)
فتُصْبِحُ كالفردوسِ بهْجاً رياضُها ... بأغصانها وُرْقُ الحمامِ يغرِّدُ
ولا بَرِحَتْ سُكانُها في سعادةٍ ... عِزازاً وفي النعماءِ والفضلِ يُحسَدُوا

ولَما تجاوز أبو حمزة سنُّهُ الخمسين، أحس بندمه على أيامه الماضية التي لم يرض فيها عن كل أعماله(٥):

جاوزْتُ بالخمسين عاماً لم أحُلْ ... عن شِرّتي ومَداعِبي ومَذاهبي

وعندما أحس بعلامات الشيب قد نزلت عليه، تذكر أيام صباه وشبابه بجمالها إبّان اللهو والتصابي(٦):

نَسَخَتْ همومي هِمّتي مُذْ أنزلتْ ... آياتُ ضعفي عند شيب الراسِ
رُعْياً لأيّام الشبابِ وطيبِها ... واللّهو قبل تساقُطِ الأضْراسِ

وقد طال العمر بابن اللواح حتى شاخ وسُكَّ سمعُه وتساقطت أضراسه

---

(١) الديوان (المخطوط): ١٣٩.
(٢) نفسه: ١٣٩.
(٣) اللّحْزُ: الإلحاح واللّحزُ: ككَتف: البخيل الضيق الخُلُق: ترتيب القاموس المحيط ٤/ ١٢٨.
مُزَنّد: كمُعَظَّم: البخيل الضيق والدعيّ. نفسه ٢/ ٤٨١. سام فلاناً الأمر: كلّفه إياه او اوْلاهُ إياه كَسَوّمه، نفسه ٢/ ٦٥١.
(٤) مستن: لم أجد لها معنى يناسب السياق، واول بدء البرق يسمى الإيشام. وقد أوشمت السماء قال الشاعر (حتى إذا ما أوشم الرواعدُ) (المخصص ٩/ ١٠٧، وفي اللسان: اوشم البرق لمع لمعاً خفيفاً. قال أبو زيد هو أول البرق حين يبرق قال الشاعر (يا من يرى لبارق قد أوشما). (مادة وشم).
(٥) الديوان (المخطوط): ٩٧.
(٦) الديوان ١/ ٣٤٢.

وضعف بصره(١):

بَلَغْتُ في العُمْر غـايات وما برحَتْ ... نفسي بحالِ عمايات وغايات
سَمْعٌ أُسِكٌ وأضراسٌ قد انْهَدَمَتْ ... والضعفُ في بصر أقوى الشهادات

بل تقدمت به العُمر حتى احدودب ظهره وأصبح يمشي على عكازة، يقول(٢):

وَأَصْبَحَ عندي ثالثٌ وهو قائدي ... وما حالُ من يمشي بطيئاً بمِقْوادِ
وبالأمسِ، إنّي كُنْتُ للدهْرِ قائداً ... فأمسَتْ عصايَ وهي من بعضِ قُوّادي

وقد سَئِمَ الحياة وملّها فكأنه غريب يعيش مع أناس ليسوا من دهره وعصره، فهو ينتظر المنية تأتيه(٣):

مَنْ ذا يَرِقُّ إلى غَريبٍ قَدْ بَقي ... عن تربِهِ بأراذلٍ أنْكاسِ
يا صاحِبَ السَّبْعينَ ناداك الرّدى ... يبغي المسيرَ لمنزلِ الأرْماسِ

أما وفاته؛ فلم تدونها المصادر المتوافرة لديّ، إلا ما ذكره مُهَنّا بن خَلْفان؛ بأنه توفي في حدود عام ٩٢٠هـ(٤)، وحدده في موضع آخر وقد تجاوز هذا التاريخ، فقال: «وامتدت به الحياة السعيدة إلى أواخر القرن العاشر»(٥) وعلى ما يبدو، لا يوجد تاريخ لوفاة الشاعر لدى مُهَنّا بن خَلْفان، وإنما قدّره.

والأقرب للاحتمال أن تكون وفاته في أواخر القرن العاشر، ولعلها بعد سنة ٩٨١هـ؛ وذلك على أساس القرائن التي ذكرتها سابقاً.

ب- صفاته: لم تذكر المصادر التي بين أيدينا شيئاً عن صفاته الخَلْقية والخُلُقية، فعمدتُ إلى تصفح الديوان والبحث فيه علّي أجد شيئاً منها، فابن غسان المَلّوحي- كما يظهر- يتصف بالورع والتقوى والتواضع، «فهو سيد قومه ومرجع أمرهم، وقد ظهر عليهم بقوة عزيمة ورسوخ عقيدة»(٦).

فله مكانة اجتماعية وعلمية ليس عند قومه وبني قبيلته فحسب، بل عند

(١) الديوان ١/٢٩١.
(٢) نفسه ١/٣٠٨.
(٣) نفسه ١/٣٤٢.
(٤) نفسه ١/٥٢.
(٥) مُهَنّا بن خَلْفان الخروصي. اللواح كما صورته المصادر التاريخية. فعاليات المنتدى الأدبي في سلطنة عُمان. شهر ٦/١٩٩١ ص٢١٦.
(٦) المصدر السابق ص٢١٦.

أمراء ذلك العصر وسلاطينه، فهو عندما يراسل جماعته يطلب منهم أن يبلغوا سلامه وتحياته لملوك بني صلت، وأن يوصوهم بالعدل والإنصاف بين الرعية عند القريب والبعيد(١):

وخُصّوا بني صَلْتٍ سلامي وحزبَهم وأوْصُوهُمُ بالعَدْلِ غاروا وأنجدوا

فأنّى يجرؤ شخص عادي أن يوصي ملكاً أو أميراً بالعدالة إن لم تكن له مكانة عند قومه وعند من يوصيه.

وعلى ما يبدو أنه من دواهي عصره، إذ يحسب له العلماء حساباً، فهو عندما كتب قصيدة، ووجهها للشيخ نَجْدَة بن عبد السلام الرُّستاقي، تفرس فيها الشيخ نجدة- وهو شاعر- فرأى فيها أنه يدس له السم في العسل، فرد عليه الشيخ نجدة بقصيدة مطلعها(٢):

أراكَ بحُلْو القولِ تمزجُ لي سُمّا وتُوسِعُني فَضْلاً وتُوجِعُني لَطما

فرد عليه شاعرنا ينفي عن نفسه التهمة التي وجهها له الشيخ نجدة، وقال له فيها(٣):

أبا الفضْل أهلَ الفضلِ والمجدِ نجدةً حميدَ المساعي المخبتَ الصمدَ القرما(٤)
أراكَ بُنَيّاتِ الطريقِ تركتَها وانصبْتَ لي لمّا تَبَهّجْتَها سمّا
تَفَرّسْتَ في شعري فغادرتني به على وَضَمٍ لمّا تأوّلْتَهُ لحما
فأنْسَبْتَني للذّمِ فيك وللهِجَا أأنْظِمُ في شيخ الإباضيةِ الذّما

فالبيت الثاني يدلنا على أن الشاعر صنوٌ للشيخ نجدة من حيث الفضل والمكانة بدلالة خطابه المباشر «أراك بنيات الطريق تركتها» إذ كيف يجرؤ شخص أقل مكانة أن يوجه هذا الخطاب لعالم في عصره. وهو مع مكانته وفضله رجل متواضع؛ فكما ينصح لغيره لا يتأفف أن يقبل النصيحة، ولو كانت من شخص أقل منه سِناً فعندما، نصحه الشيخ أَسَدُ بنُ عبدِالله بن أسَد الأغبري النَخَلي(٥)، تقبل منه وقال له(٦):

وأوعظُ ما يكون فتى صبيٌّ لشيخٍ واعظاً حتى يفُوضَا
فقل ما شِئتَ يا أسد فإنّي مُطيعٌ لا عيوفَ ولا كظُوظا(٧)

---

(١) الديوان (المخطوط) ١٣٩. (٢) نفسه: ١٥٥. (٣) نفسه: ١٥٥.

(٤) أخْبَتَ: خشع وتواضع. القَرْم والصَّمَد: السيد (ترتيب القاموس المحيط مادة خبت، قرم)

(٥) أسَد بن عبدالله بن أسَد بن عبدالله الأغبَري: من فقهاء أهل نَخَل وشعرائها، كان يسكن محلة الغريض، وهو من معاصري شاعرنا ابن اللواح. (حمد بن سيف البوسعيدي. قلائد الجمان. ص١٦).

(٦) نفسه: ٩٢. (٧) كَظَّهُ الأمرُ كَظاظاً وكظاظة: بهظه وكربه وجهده، ورجُلٌ كظٌّ: تبهجُه الأمور حتى يعجزَ عنها، فهو كظيظٌ ومكظوظ. وكِظاظ: الشدة والتعب. ترتيب القاموس المحيط مادّة (كظّ) ٤/٥٧.

فأثلجت قلبه وانشرح صدره، وتقبلها بقبول حسن وقال له(١):

نصـــحــــائحُكَ التي وردَتْ علينا ... بهـــا قلبي لطاعنِكُمْ أريضـــا
فكـانـتْ عـــــذْبَ شُربٍ عـن أوارٍ ... وروضـــاً نشــرُه بهجــاً أريضـــا

وهو يشعر بغربة في زمانه الذي عاش فيه، لأن أهل المجد وأهل العلم والأدب قلة، وقد نفر عن أهل زمانه؛ لأن سجاياهم الخبيثة وسجاياه الغر لا تتفق، كالصحيح لا يمكنه العيش مع من فيه مرض مُعدٍ، فهو لا يرضى صحبة من هو أقل منه(٢):

أنا الغـــريبُ فلولا المجْدُ والحَسَبُ ... والمنقـــذان لعَمْري العِلمُ والأدبُ
ولا يكون غـــريْبـــاً من تكونُ لَهُ ... أمُّ العُلا أمُّهُ والمجـــدُ فـــهـــو أبُ
فـــلا تغـــرّبْتُ عن أهْلٍ وعن وَطَنٍ ... فَتُلْتُ كُلُّ غـريبٍ فـهـو مـغـتـربُ
لا أصطفي مِنْ بني الأيام غيـرَ صفٍ ... ولستُ أرضى بدونِي حـيثُ اصْطَحِبُ
قد نفّرتني السجـايا الغُرُّ عن زمني ... أنا الصـحـيحُ ومَنْ فـيـه بِهِمْ جَرَبُ

وكِبَرُ سِنِّهِ قد هيأ له أن يصحب بني الأيام ويخبرهم فاكتسب خبرة واسعة بهم(٣):

إنّي امـروء قَدْ عَرَفْتُ الدّهرَ مَعْرِفـةً ... أكْلاً وشرْباً ومـسـمُوعـاً ومُلْتَمَحـا
وقَدْ حَلَبْتُ مـن الأيـام أشـطُرهـا ... وَقَدْ قـدَحْتُ زِنادَ الدهر فـاقْتَدَحـا
فكدتُ أعلمُ مـا كَنّتْ ضـمـائرُهُمْ ... ولو أردتُّ بهـا التَصـريحَ لا نصـرحـا

ومن صفاته أيضاً أنه تقي وَرِعٌ خاضع متبتل لله جلّ وعلا، نستدل على ذلك من مدائحه في المولى جل وعلا. فمن ذلك قوله(٤):

اســـتَغْفِرُ اللّهَ من كَيْلٍ طفَفْتُ ومِنْ ... وزْنٍ خَفَفْتُ ومِنْ ذَرْعٍ عـلـى عَجَلِ
الحـــمـــدُللّه أنْشـــأني وصـــوّرَني ... من صلبِ آدَمَ من طينٍ ومن عـــجـل
الحـــمـــدُلله إنّ اللّه أوضَحَ لي ... نهْجـــاً إلى دينِه مـن أوضـح السُّبُلِ

ونستدل على تقاه وورعه أيضاً من إخوانياته، وذلك عندما طلب منه خاطِر بن غَرِيب أن يستسقي لسمائل، وقد أصابها الجَدْب، فقال مستجيباً له(٥):

أخي سِنادي حبيبي عصمتي ثقتي ... مِنَصٌ ديني لدين المصطفى المدني

---

(١) الديوان (المخطوط): ٩٢. (٢) الديوان ٢/ ٤٩.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٦١. (٤) المصدر نفسه ١/ ٩١.
(٥) الديوان (المخطوط): ٥.

سـألتني أسـتـقي والاسـتـقـاءُ له　　شـرائطُ يَرْتضـيـهـا اللّهُ لم تُخنِ

فاستغفر الله تعالى ودعا لسمائل بالسقيا والغيث فمما قاله:(١)

وأخصِبْ سمائلَ بالغيث المغيثِ هَما　　طلاً وَوَبْلاً فـمن مـيكالَ للمُزنِ
فـالمُزنُ مُرتكمٌ والبـرق مـضْطرمٌ　　والرعْدُ مـرتزمٌ والغـيث في رَزَنِ

فاستجاب الله دعاءه (٢):

أرْوَى سـمـائلَ أعـلاها وأسـفَلَهـا　　ودارَ كـالفَلك الدّوّار بالحُضُن (٣)

وربما طلب من رجال الورع والتقوى في قيامهم الليل أن يدعوا له لعلّ دعوة منهم تصادفُ ساعةَ إجابة في حالكات الليالي، وبعد الصلوات الخمس، فيفوز بالمغفرة مثل ما طلب من علماء المغرب وأتقيائهم ذلك، فقال:(٤)

لا تُحْرمـونَا دُعـاءَ اللّيلِ بينكُمُ　　إن سـامَرَ الليلةَ الليلاء سـامِرُها
وإثرَ كلِّ صـلاةٍ من عـبـادتِكم　　لِيَدْفَعَ اللهُ أشـيـاءً نُحـاذِرُها
لعلّهـا دَعْوةٌ مِنكمْ تجـابُ له　　ليـغـفـرَ الزَلّةَ العَظمـاءَ غـافِرُها

وكذلك يتصف بالذكاء والبديهة واليقظة، فعندما يصف نفسه يقول:(٥)

بَديْهَتي قَدْ جَرَتْ مَجْرى دِمـائهِمُ　　بينَ العـروق وبين الجلدِ والعَصَبِ

وكأنه يملك زمام القوافي وأعنتها، بحيث إذا طلب إليه بعض أصحابه أن ينظم موعظة أو أدباً أو حكمة، تجد ذلك ينسابُ على لسانه، كما حصل ذلك من صديقيه خميس وحاجز إذ قال:(٦)

ألاَ مُبْلغٌ مني خـمـيسـاً وحـاجـزاً　　نتـائجَ أفكارٍ سُبكْنَ أراجـزا
وقل لهـمـا مني وعني نصـيـحـةً　　وَوَعْظاً غـدا حِرْزاً عن الذنبِ حـارِزا

وهو عندما يصف شاعريته يقول: (٧)

وكَمْ مـحـمـودة الألفـاظ ذالتْ　　عـلى الـنّدوات وهـي فَمِنْ نَفَاثـي
بـثَثْتُ عـلى عُمـانَ وكـل أرضٍ　　أجلْ حِكَمـاً تُصـانُ عن البـثـاث
بهـا الركـبـانُ غنت في الزيازي　　وأشـداها المُرمَّثُ في الرّمـاث(٨)

---

(١) الديوان (المخطوط): ٥.　(٢) نفسه: ٦.
(٣) الحُضُن: من الجبل ما أطاف به، أو أصلُهُ (الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط. ١/ ٦٦٢).
(٤) ابن رزيق. الصحيفة القحطانية، ٢/ ٣٩٨.
(٥) الديوان ١/ ٢٧٤.　(٦) نفسه ١/ ٣٣٨.　(٧) نفسه ١/ ٢٩٥.
(٨) الزِّيزاء: جمع زيازي. وهي ما غلظ من الأرض، والأكمة الصغيرة (ترتيب القاموس المحيط٢/ ٤٩٨).
رَمَثَ: الرَّمَثُ: بالتحريك: خَشَبٌ يُضَم كالطّوفِ، ويُركَبُ عليه في البحر والجمع أرماث. (الزبيدي - تاج العروس - (مادة رمث)

وعندما يعدد تأبيناته ومراثيه، يقول(١):

وكَمْ أبّنْتُ أربابَ الفتاوى ... وكَمْ أبّنْتُ أصحاب الأثاثِ(٢)
وكمْ آجْليتُ في ذكر المراثي ... ثنى ذكران حيٍّ أو إناثِ

ثقافته:لا يوجد بين يدي الباحث من المصادر ما يسعفه على تتبع ثقافة الشاعر التعليمية، إلا ديوانه، فلا يعرف شيئاً عمن أخذ علمه، وما هي أنواع ثقافته التي تحصلت عنده خلال هذا العمر الطويل الذي عرفناه.

أما نشأته التعليمية، فما وجده الدارس في ديوانه قد تحدث عنه في النشأة، فلا داعي لأن يكرر ما قاله.

وأما تنوع ثقافته فقد اكتسبه من مشايخ عصره، إذ كان عصره حافلاً بالعلماء الكبار والمشايخ الأخيار الذين يجمعون بين الفقه والأدب، فأغلب علماء عمان يجمعون بين الفقه والأدب، فمنهم أشعر العلماء، ومنهم أعلم الشعراء، وابن اللواح من أعلم الشعراء، ولا غرو في هذا؛ فهو من قبيلة بني خروص أسرة العلم والأدب والورع والتقوى، فلهم الدور المجلّي في هذا.

فمن علماء عصره أصحابه الذين ارتبط معهم بعلاقات وطيدة مثل غَريب بن محمد السمائلي، وولده خَاطِر بن غَريب، ومنهم عبدُ السّلام بن أبي الحسن الرُستاقي، وولده نَجْدَة وصالح، وعبدالله ابن أسد الأغبري النخلي، وولده أسد بن عبدالله. ومن علماء عصره الكبار أيضاً، الشيخ أحمد بن مداد بن عبدالله الناعبي، وبنو مداد أسرة علم، والشيخ أحمد بن خلف بن أحمد الإزكوي، والشيخ أبو عبدالله محمد بن عبد السلام النخلي، والشيخ أحمد بن قاسم ابن كَهْلان، وعلي بن أبي القاسم محمد بن سليمان الإزكوي، ومن الأطباء المهرة الشيخ عميرة بن ثاني بن خلف العوفي، والشيخ علي بن مبارك بن هاشم الهاشمي(٤).

فكانت لهؤلاء المشايخ مجالس علم وأدب يتدارسون فيها المسائل الفقهية في المفروض والمسنون، ويتدارسون أيضاً الأحاديث النبوية الشريفة ويأتون فيها بطرائف من الشعر والنثر،

---

(١) الديوان: ١/ ٢٩٥.
(٢) الأثاث: كَسَحَاب: الكثير من المال، وقيل كثرة المال، وقيل متاع البيت.
(الزبيدي- تاج العروس- (مادة أثث).
(٤) الديوان. وينظر مهنا بن خَلْفان الخروصي. اللواح كما صورته المصادر التاريخية، فعاليات المنتدى الأدبي في سلطنة عمان. إصدار يونيو ١٩٩١ ص٢١٦.

فيذكر ابن اللواح هذه المجالس، ويتمنى أن يكون فيها إذا ما نزحت به الأيام، فهو عند خطابه لخاطر بن غريب يتمنى ذلك، فيقول(١):

لَيْتَ الليالي خلاف الشّتّ تجْمَعُنا جمعَ الجمان بسلكٍ من يد الزمنِ
بِمَجْلِسٍ طاهر الأصحاب ليسَ به إلا الأسانيدُ في المفروض والسُّنَنِ
وفي المنَصِّ عن الباري يُنَزِّله جبريلُ للمصطفى في آله الطِّبَنِ(٢)
وفي الكلام المنَقّى كان مُنْتَظماً أو كان نثراً شفاءَ الألْسُنِ اللُّكُنِ

فكان شاعرُنا يختلف على هذه المجالس، لذلك، كانت ثقافته متنوعة، فقد كان عارفاً بتاريخ العرب في جاهليتهم، وإسلامهم، ولذلك، نراه يكثر الإشارات إلى الأعلام والأحداث التاريخية، فقد قرأ سيرة الرسول- صلى الله عليه وسلم- وعرفها معرفة تامة، وما قصائده في مدائح الرسول عليه الصلاة والسلام إلا نتاج دراسته للسيرة النبوية، وقد قرأ الأحاديث النبوية الشريفة أيضاً، وأثرها واضح بجلاء في شعره.

فنجده مثلاً ينظم حديثاً طويلاً بأكمله كقوله(٣):

خَمْسٌ بِخَمسٍ عَنِ الرَّحمنِ أسْنَدَها مُحمدُ المصطفى المبعوثُ مِنْ مُضَرِ
مَنْ يَنْقُض العَهْدَ يَغْلِبْه العدوّ ومَنْ لم يقض بالحقِّ بين الناس يَفْتَقِرِ
وَمَنْ يُطَفِّفْ ويَبْخَسْ كيلةً أزِمَتْ بِهِ السُّنُونُ وماتَ البيتُ عن إبَرِ
وإن فَشَتْ في نوادي القوم فاحِشَةٌ فَشى الردى فيهمُ لا شكَّ فاختَبِرِ
ومانعٌ لزكاةِ المالِ حَلَّ بِهِ قَحْطٌ فَلَمْ يُسْقَ شُؤبوبٌ من المطر(٤)

كما يظهر في شعره بجلاء أيضاً اقتباسه من القرآن الكريم، فهو إما أن يقتبس آية ويجعلها في بيت أو في شطر بيت كقوله(٥):

وتحدَّثَتْ أخبارُها عن حالِها وتكشّفَتْ عن سترها أعمالُها

(١) الديوان (المخطوط): ٤.
(٢) الطِّبَن: الجمع الكثير. ترتيب القاموس المحيط ٣/ ٥٥.
(٣) الديوان ٢/ ٢٣.
(٤) ينظر الحديث في (سنن ابن ماجه) كتاب الفتح. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث ١٩٧٥. حديث رقم ٤٠١٩ الجزء الثاني في صفحتي ١٣٣٢، ١٣٣٣، وموطأ مالك، نفس المحقق والدار ١٩٨٥ ج٢- كتاب الجهاد. حديث رقم ٢٦، ص٤٦٠.
(٥) الديوان: ١/ ٣٩٦.

مشيراً إلى الآية الكريمة ﴿يومَئذٍ تُحَدِّثُ أخبارَها﴾(١)

وحيناً آخر يقتبس آية ويجعلها في بيت كقوله(٢):

يا ساعةً ذُهِلَتْ مراضِعُها بها   والحاملاتُ تساقَطتْ أحمالُها

يشيرُ إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَها تذهلُ كُلُّ مُرْضِعةٍ عَمَّا أرْضَعَتْ وتَضَعُ كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها.... ﴾ .... الخ الآية(٣).

وحيناً آخر يشير إلى أن ما يقوله آية قرآنية كأن يقول: «أتى به الذكر» أو يقول «والله قال»: مثل قوله(٤):

وفي الدِّين مَحْضُ النُّصْح فَرْضٌ أتى به   لَهُ الذكرُ منصوصاً علينا ويُسْنَدُ

فقال على التقوى عبادي تعاونوا   وقال مُحِثّاً: إن تطيعوه تهتدوا

مشيراً إلى الآية ﴿وتعاوَنُوا عَلَى البِرِّ والتَّقْوى ولا تَعَاوَنُوا على الإثْمِ والعُدْوان..... ﴾.... الخ(٥) وإلى الآية: ﴿قُلْ أطيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرَّسُولَ، فإنْ تَوَلَّوا فإنَّما عليه ما حُمِّلَ وعليكُمْ ما حُمِّلْتُمْ، وإن تُطيعُوهُ تَهتَدُوا، وما على الرَّسولِ إلا البلاغُ المُبِينُ﴾(٦)

وأحياناً يقتبس كلمة من الآية، كأن يقول(٧):

يا خاطِرٌ فاخْطُرْ ببالكَ ساعةً   واحْذَرْ وَلا تنظُرْ لِمَنْ دسّاكُمُ

مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿قدْ أفْلَحَ من زكّاها وقدْ خَابَ مَنْ دَسّاها﴾(٨)

وقد قرأ كتب السلف الفقهية مثل كتاب الضياء؛ لأبي المُنذِر سَلَمة بن مُسْلم العوتبي(٩)، ونظم منه مسائل(١٠)، وتوسعت ثقافته في الفقه، فنظم في مسائل شرعية متعددة، كأصول الدين وعلم الميراث.

---

(١) سورة الزلزلة آية ٤.

(٢) الديوان ٣٩٨/١.

(٣) سورة الحج آية ٢.

(٤) الديوان (المخطوط) ١٣٦.

(٥) المائدة آية ٢.

(٦) النور آية ٥٤.

(٧) الديوان (المخطوط) ٢١.

(٨) سورة الشمس آية ١٠.

(٩) سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري: عالم مؤرخ عاش في القرن الرابع الهجري، من مؤلفاته كتاب الأنساب والضياء، دليل أعلام عمان ص٨٢.

(١٠) ينظر الديوان ٣٧/٢.

ومما قاله فيما يجب بالتقاء الختانين(١):

إذا ما الختانان التَقَيْنَ فعشرةٌ　　يكونُ بها إن كُنْتَ في الحُكم تَعلَمُ
وُضوءٌ وغُسْلٌ ثم عُقْرٌ وعِدّةٌ　　وحَدٌّ وتحليلٌ وذو البعْلِ يَحرُمُ(٢)
ويَفْسُدُ حَجٌّ ثمّ صَومٌ وثابتٌ　　بهِ نَسَبُ الآباءِ في الحُكْمِ فاعلموا

فواضح أن هذه الأحكام لا يمكن أن يلمّ بها إلا رجل متعمق في الفقه، وله دراية في المخاصمات والمرافعات في الأحكام أمام القضاء، يدل ذلك قوله(٣):

قَلْبي من شُهودِ الشوقِ بالبين خَمْسَةٌ　　به حَكَمَ القاضي ويرضى المخاصِمُ
حشى حُشِيَتْ حُزْناً وقَلْبٌ مُتَيَّمٌ　　وعينانِ كالعينَيْنِ والجِسْمُ سَاهِمُ

وقد قرأ في النحو والصرف والبلاغة، وقرأ الشعر العربي القديم، وقرأ العروض؛ وعرف الضرورات الشعرية وعيوب الشعر، وبدا ذلك واضحاً في شعره، وقد نظم في تركيب الميمات في الآلات، فمما قاله(٤):

ألا إنما الآلاتُ تُكسَرُ ميمُها　　إذا بُتَدأَتْ والميمُ فيهنّ أوّلُ
سِوى ستِّ آلاتٍ فيُرفَعُ ميمُها　　فَدُونَكَها مَعْلومةً ليسَ تُجْهَلُ
مُدَقٌّ صليبٍ مُسْعُطٌ ثم مُدْهنٌ　　ومُكْحُلَةٌ بل مُنْخَلٌ ثم مُنْصَلُ

ونجد الإشارات النحوية ظاهرة، فمما قاله(٥):

لمّا نَصَبْتُمْ لِيَ اسْمَ بعادِكُمْ　　جُرّتْ حروفي لِالتِقاءِ الساكِنِ

وقوله أيضاً(٦):

وأصْدَقُ مِصداقِ الشهاداتِ بَيْنَنا　　ألا إنّها الأفعالُ تُرْفَعُ والأسْما
عليكُم لمنْ عاداكُمُ النَّصبَ والذي　　يُواليكُمُ فالجرُّ لا الخفضَ والضمّا

وقوله(٧):

---

(١) الديوان ٢/ ٤٥.
(٢) العُقْرُ: مَهْرٌ للمغتصبة من الإماء، كمهر المِثْل للحُرة. (الزبيدي. تاج العروس مادة عقر).
(٣) الديوان (المخطوط) ١٤٥.
(٤) الديوان ٢/ ٤١.
(٥) الديوان (المخطوط): ١١٩.
(٦) الديوان (المخطوط) ١٢٠.
(٧) الديوان ٢/ ٦٥.

وما العِلمُ مَدْرُوكاً بحتّى ولا عسى　　وعَلَّ وَمَهْما سوفَ أُمسي وأُصبِحُ

ومن معالم ثقافته معرفته بعيوب الشعر والضرورات الشعرية، ومن ذلك قوله(١):

قوافٍ فلا إقوا وإكْفا تُشينُها　　وليس بها لَحْنٌ وإحْنٌ ولا ثَلْبُ

وفي موضع آخر، قال(٢):

وليس بها إيطا وإكفا وما بها　　صُدُوعٌ وإقواءٌ ولا أودعَتْ قَلَمَا

مُعَدَّلةُ الأوزانِ ما زاغَ وَتْدُها　　وقد صَلُحَتْ معنى كما حَسُنَتْ خَزْماً

وقد قرأ تاريخ الجاهلية والاسلام، فمن إشاراته للقبائل القديمة البائدة قوله(٣):

ألمْ تَدْرِ مُذْ غالتْ جَدِيسٌ ظَليمَها　　على الخَتْلِ عمْليقاً وقد قَتَلَتْ طَسْما

وقوله أيضاً:(٤)

ولَيْسَتْ بِهِ خُصَّتْ سَدُوسٌ وآلُها　　جَديلةُ بَلْ عُمَّتْ بهِ الحَضْرُ والبَدْوُ

ومن إشاراته للأشخاص في الجاهلية، قوله(٥):

أخَذْتُ الحَزْمَ منها فهو غَوْلٌ　　أضَرُّ على كُلَيْبٍ من بَسُوسِ

وقوله أيضاً(٦):

وقَدْ قَتَلَ الكِنْدِيَّ في حَيِّ قَيْصَرٍ　　بخِدْعَتِهِ الطِّمَاحُ والخِبُّ يَطمَحُ

أما الأشخاص في عَهد الاسلام، والمواقع الاسلامية، فلا يخلو شعره منها. من ذلك قوله(٧):

وقد عاتَبَ الفاروقُ أحمدَ قبلنا　　على سِرِّ مَرْوانٍ وما قصدا وَهْمَا

وفي موضع آخر، يقول(٨):

يا مَنْ يُقِرُّ له الرَّبيعُ وجابرٌ　　في العلم والزاكي أبو مودود(٩)

وفي ذكره للمواقع الإسلامية قوله(١٠):

وسابِقُ علم خالِقنا　　جرى في أهل صِفِّينِ

وشعره تكثر فيه الإشارات للقصص القرآني، مما يدل على أنّهُ

(١) الديوان ١/ ٢٠٢.　(٢) الديوان (المخطوط): ١٥١، ١٥٢.

(٣) نفسه ١٢٠.　(٤) الديوان ٢/ ٦٨.

(٥) الديوان ١/ ٣٤٤.　(٦) الديوان ٢/ ٦٣.

(٧) الديوان (المخطوط) ١٥٤.　(٨) نفسه ١٥٨.

(٩) الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي، عالم بالحديث إباضي. رُوي عنه (المسند). الزركلي- الأعلام ٣/ ١٤.

أبو مودود: حاجب الطائي، كان بالاجتهاد موصوفاً وبالزهد والورع معروفاً، وفي ماله حق للسائل والمحروم. عدّه الدرجيني من الطبقة الثانية الذين عاشوا في القرن الثاني للهجرة، الدرجيني، طبقات المشايخ ٢/ ٢٤٨.　(١٠) الديوان ١/ ٣٨٠.

يتتبع القصص التي قصها لنا القرآن الكريم، وجرت للأنبياء والرسل وغيرهم، ويدل ذلك قوله(١):

فَمِنْ قبل هذا أُحْسِدَ الفضلَ آدَمُ ... فبُدِّلَ مَنْ فِرْدَوسِهِ الجبلَ الشَّرْقي

وهابيلُ سَقّاه الردى كفُّ صِنْوِهِ ... ويوسفُ بعد الجُبِّ في السجن قد أُلقي

ومن ذلك قوله أيضاً(٢):

أنا في المحبّةِ مِثْلُ هارونٍ لَكُمْ ... ولأنتُمُ يا سادتي موساهُ

إنْ كنتُمُ في الصَّبْرِ عني يوسفاً ... فأنا الذي بهواكُمُ خَنْساهُ

وعلى ما يبدو أنه قد قرأ في الأمثال العربية، واطلع على كثير منها وحفظها، بحيث ضمنها شعره. فمن ذلك قوله(٣):

فما كَصَدّاً مياهٌ قَدْ عَلِمْتُ ولا ... مَرْعى مريعٌ بروض مِثل سَعْدان

يشير إلى المثلين (ماءٌ ولا كَصَدّاء) و (مرعى ولا كالسَّعْدان)(٤)

ومن ذلك قوله(٥):

أراكَ غادَرْتني فيهمْ بلا زَلَلٍ ... مِثْلَ المُعَيْديِّ تسمَعْ بي ولَمْ تَرَنِ

يشير إلى المثل: «أن تسمع بالمُعَيدي خيرٌ من أن تراه»(٦).

وكذلك يشير في شعره إلى أعلام الحكماء والأطباء القدماء من اليونانيين وغيرهم. من ذلك قوله(٧):

يا سرُّ عيسى نبيِّ اللهِ في زَمَنٍ ... لا هُرْمُسٌ لكَ محمولٌ على المثَلِ

حسبي لديْكَ فجالينوسُ صاحِبُهُ أفْـ ... ـلاطونُ بلْ أرسطا طاليسُ كالحَولِ

وقوله أيضاً(٨):

لولا العَزاءُ وأنّ الموتَ مُفْتَرِسُ الـ ... آسادِ في الأجْمِ والأوعالِ في الشُّغُفِ

لَمِتُّ موتَةَ فرهُودٍ بحكمته ... ثمَّ احْتَرَقْتُ بنارِ الحُزْنِ والأسَفِ

ويضمن شعره أعلاماً من مشاهير العرب في الذكاء وفي علو القدر، وفي الجود والزهد والحلم. مثل قوله(٩):

---

(١) الديوان ٢/ ٧٣. (٢) الديوان (المخطوط) ٨٨، ٨٩. (٣) نفسه ٣٥.

(٤) أبو الفضل؛ أحمد بن محمد الميداني. مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط٢ دار الجيل. بيروت- لبنان. ١٩٨٧. ٣/ ٢٦٧، ٢٦٥.

(٥) الديوان ٢/ ٨٢. (٦) الميداني مجمع الأمثال، ١/ ٢٢٧. (٧) الديوان ٢/ ٢٣٢.

(٨) الديوان ٢/ ١٨٧. (٩) الديوان (المخطوط) ٤٦.

فـإنّكَ في الفُتي الرّبيعُ وجـابرٌ ... وفي الزُّهْدِ عمّارٌ وفي الحِلْمِ عـاصِمُ
وأنتَ إياسٌ في الذكـاءِ وعـامِرٌ ... لعَمْري وفي العَلْياءِ والجُودِ حـاتَمُ

ولا ينسى أعلام الغنى والمال، كمثل قوله(١):

ولو أنّني في المالِ يحيى بن خـالدٍ ... ولو أنّ أعْمَامي المغـيـرةُ أو حَرْبُ

وقد قرأ الشعر الجاهلي والإسلامي وعرف مشاهيره وأعلامه؛ ولذلك، فهو يكثر ذكر أعلام الشعر، فمن ذلك قوله(٢):

أقرَّ لكَ الماضـونَ قَيْسٌ ودِعْبَلٌ ... ودانَ لك الأعـشى وابنُ أبي سُلْمى

وقوله(٣):

وإلـيـكَ فـي عَجَلٍ نـظـا ... مـاً لمْ يَقُلْهُ الأخـنَسُ
مـن دونِه وقَفَ الأخَيْـ ... ـطلُ والـفـتى المُتَلَمِّسُ

وقد قرأ قصة كعب بن زهير عندما أهدر دمه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وعندما جاء كعب معتذراً عن ذنبه الذي اقترفه في حق رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وقد جاء بقصيدته اللامية (بانت سُعادُ). فضمن ابن اللواح في شعره هذا المعنى فقال(٤):

كُنْ كـالنّبيّ لـكَعْب حين أعْذَرَهُ ... غَداةَ وافى إليـه وهو سـالِقُهُ
فـقـالَ حُرْمَتُهُ عِندي كَحُرْمَتِكُمْ ... لا تقْتُلُوهُ فـإنيّ اليـومَ عـاتِقُهُ

وفي ذكره لأعلام الشعر، يقول أيضاً(٥):

سـأحـمَدُكُمْ كـغـيـلانٍ بلالاً ... وديـكِ الجِنّ فـي أبْنـاءِ مَعْنِ

وقد قرأ عن شعراء الحب العذري وعرف أعلامه المشهورين، فمن ذلك قوله(٦):

مـا وَجْدُ قـيس بن المُلوّحِ في الهـوى ... إلا عُشَيْـرَ عُشَـيْـرَ مـا قـاسـاهُ

وقال أيضاً عندما يذكر كتاباً مرسلاً قد وصله(٧):

وقـد عـانقْتُهُ كَعِناقِ ليلى ... فَدَعْ غَيـلانَ مُذْ عَنِقَتْهُ مَيُّ

وقد قرأ للكُتّاب والمترسلين ومشاهير النثر؛ فلذا، هو يضمن من أعلامهم في شعره، فقد قال(٨):

---

(١) الديوان ١/ ٢٠٢ (٢) الديوان (المخطوط) ١٥٥ . (٣) الديوان ١/ ١٣٤ . (٤) نفسه ٢/ ٧٦.
(٥) الديوان (المخطوط) ٨٣. (٦) نفسه ٨٨. (٧) نفسه ١٠٧. (٨) الديوان ١/ ١٢٧ .

بِنَثْرِ أبـي نُبـــاتَةَ والمَعَانـي ... إياسـاً والنِّظامُ فـمن عُبــيدِ

وربما قرأ في الفلك وعلومه؛ لأنه يدون في شعره معرفته بالنجوم والكواكب ومطالعها والسعد والنحس، من ذلك قوله(١):

فـلا زِلتَ تَرْقَى رُتْبَةً دونهـا السُّهى ... بجدٍ لِهـامـاتِ السِّمـاكينِ ناطِحُ

ومن ذلك قوله:(٢)

سَقَى قَبـــرَكَ المُزْنُ نَوْءاً وعَلاً ... بِنَوْءِ الــــثُّرَيَا ونَوْءِ الجَدي

وقوله أيضاً(٣):

وبِتُّ أراقِبُ الجـوزا سُهـاداً ... ودَمْعِـي بَاتَ نَوْءاً عَقْرَبـيّا

ومن معرفته بالسعد والنحس قوله(٤):

يَقُولون لي يَوْمُ الخَميس مـبـارَكٌ ... له المشْتـري سَعْدٌ وَمَا فـيـهِ أسْعَدُ

وقوله أيضاً(٥):

سَعْدُ الـسُّعُودُ طــلـوعُهُ بِطُلُوعِهِ ... وعـلـى سِوايَ طُلُوعُ سَعْدِ الـذَّابـحِ

إن تلك القراءات المتعددة والمتعمقة الواسعة في القرآن وقصصه وفي الأحاديث النبوية الشريفة وفي الفقه وأصوله وفي الفلك وعلومه وفي الطب، وفي الأدب العربي قديمه وحديثه وشعره ونثره، جعلته شاعراً فصيحاً وخطيباً مصقعاً وعالماً فذا، مما جعل العلماء يرجعون إلى شعره ليستدلوا به، فقد عدَّ العلامة بن العلامة الشيخ خَميس بن الشيخ جاعِد بن خَميس الخَرُوصي من علماء القرن الثالث عشر الهجري شعر ابن غسان مصدراً رجع إليه في معرفة أئمة بني خروص. وقد قال عنه المؤرخ والأديب النسابة ابن رُزَيق(٦):

وسَالِمٌ والفـتـى الغَشْري يروق لنا ... إذا هُمَا نَثَرا لَفْظاً ومــا نَظمـا

فـشـاعِران أديبـانِ هُمَا انْتَسَـبـا ... إلى خَرُوصٍ ومـا مـا نازلا وهَمَا

وفي الفتح المبين عنه أيضاً:(٧) «ومن فصحائهم الشاعر العالم الشيخ الذلق اللسان، سالم بن غسان، وقد أجاد في نظم القصيدة الهائية التي ذكر فيها مناقب آله بني خَرُوص.. وشعره كله عـجـيب يلذ لسـمع الأدباء، وأهل الفـصـاحـة، ويعـذب لأفـواههم، فلله دره

(١) الديوان (المخطوط) ١٤٩. (٢) الديوان ٢/ ١٨٩. (٣) نفسه ٢/ ٢٨٤.
(٤) نفسه ٢/ ١٤٥. (٥) نفسه ٢/ ٥٦.
(٦) ابن رُزَيق- الصحيفة القحطانية- مخطوطة ٢/ ٤٠٨. (٧) ابن رُزَيق- الفتح المبين- ص١٨٠.

من عالم وفصيح ناثر ناظم».

وقد قال عنه العلامة الشيخ جاعد بن خميس الخَروصي(١) يكفي أهل عمان فخراً أن يكون من شعرائهم الستالي وابن غسان سالم، وفي التقى والورع سالم ابن غسان أشهر.

ومن علماء القرن الرابع عشر الهجري الذين استشهدوا بشعره الشيخ القطب محمد بن يوسف اطفيش من علماء الجزائر، فقد استشهد بشعره في غير موضع في كتابه «الجُنَّة في وصف الجنة» الذي شرح فيه القصيدة العبيرية للشيخ العلامة العُماني محمد بن إبراهيم الكندي صاحب كتاب بيان الشرع، فاستشهد بشعره عند شرحه للبيتين التاليين من العبيرية(٢):

يُشَقُّ لَهُمْ رُمَّانُهــــا عــن كَواعـبٍ ... يردُّ وَمِيْضَ البَرْقِ منهـــا حُسُورُها
مُعَقْرِبَةُ الأصْداغِ كُحْلٌ جُفــونُهـــا ... تَرَدَّدُ فـيـــهـا غنجُهـــا وفُتُورُها

قال القُطب: «قال الشيخ سالم بن غسان:

وإذا الــولـيُّ أرادَ مـــــــن رُمَّانــةٍ ... حـــــورا يُسَبِّحُ مُطرِباً خَلخَالُهـــــا
فــيــــقــالُ ذي حـــــوراءُ رُمــانيَّةٌ ... غَنَّاءُ أسْبَلَ ضــافـيــاً سِرْبالُهـــــا
ســبــــعــون ألفَ ذؤابَةٍ مِنْ خَلفِهـــا ... مِثْلَ الشُمُوسِ وصــائفاً حـمــالـهـا»

علاقاته: ينتمي أبو حمزة إلى قبيلة بني خَرُوص، وهي قبيلة لها مكانتها السياسية والاجتماعية والعلمية، فلا غرْوَ أن تكون له علاقة مع ذوي النفوذ من الشخصيات السياسية والاجتماعية والعلمية؛ فقد ارتبط بعلائق مع سلاطين ذلك العصر وأمرائه، كبني نبهان وبني صلت.

وتاريخ بني صلت لم تدونه السير العُمانية، فهو أشد غموضاً من تاريخ بني نبهان؛ لذلك لم أجد مصادر أستعين بها في تتبع علاقات الشاعر مع شخصيات عصره، واتصاله بعلماء زمانه وأهل الفضل منهم. إلا ديوانه، فاعتمدت عليه.

فمن خلال تتبع الدارس للديوان، وجد أن الشاعر كان مرتبطاً بعلائق مع أهل العلم والفضل من مدن عمانية مختلفة مثل: غريب بن محمد وأولاده من أهل سمائل، وعبدالله بن أسد الأغبري وولده أسد؛ من أهل نَخَل، وعبد السلام بن أبي الحسن وأولاده من أهل الرستاق.

---

(١) ينظر ابن رُزَيق- الصحيفة القحطانية ٢/ ٣٨٢.

(٢) محمد بن يوسف اطفيش- الجُنة في وصف الجنة. وزارة التراث في سلطنة عمان- مطبعة أمون القاهرة ١٩٨٣ ص١٢٥.

أما عن علاقته خارج عمان؛ فمما توصل إليه الباحث، رسالة وجهها الشاعر إلى إباضية أهل المغرب؛ ذكر فيها علماءهم وعبادهم ومناطقهم.

وكانت له علاقة مع السلطان المظفر بن سلطان بن محسن النبهاني:وكان السلطان مظفر على أغلب الظن يقرب الأدباء والشعراء في مجلسه ويعطيهم الهبات، وهم يثنون عليه ويحلونه بقصائدهم(١):

ولما نَزَلْنا في حِماءِ مُظَفَّرٍ ... فَعَارَضَنا منْ سَعْدِه السَّعْدُ سانحا

أحالَ لنا الأجْدادَ مِنْ سَعْدِ جدِّه ... سُعُوداً وقَدْ كانَتْ نُحُوساً ذَوابحا

فلا زالَ يولينا نفائِسَ مالِه ... ونُوليه عَنْها كالعَبيرِ مدائحا

وفي المناسبات يقدمون له التهاني، كحلول شهر الصوم وحلول العيد، فهذا ابن المُلوّح يهنيه بشهر رمضان المبارك ثم حلول عيد الفطر، فيقول(٢):

وإنْ عِشْتُ والمولى المظَفَّرُ لي حِمى ... فَلَمْ أخْشَ كَلْبَ الدَّهْرِ ما عاشَ نابحا

فلا زالتِ الأقْدارُ مِنْ بَعْضِ جُنْدِه ... وآراؤهُ للمُعْضِلاتِ مفاتحا

ليَهْنَا بعيدِ الفطر والصومِ قبله ... وأعداؤهُ للعيدِ عادَتْ ذبائحا

ويحتمل أن أبا حمزة قد ترك ولده حمزة عند السلطان مظفر لطلب العلم، يدلنا على ذلك قوله(٣):

أبا الشِّبْلِ خُذْ حَظّاً من العِلمِ والتقى ... تَعِشْ في حِمى المَوْلى لعلَّكَ ناجحا

وللشاعر آراء ومبادئ وآداب لمقابلة السلاطين والجلوس في حضرتهم والاستماع إلى أحاديثهم، بل وأدب الدخول في بيوتهم مع أهلهم وذويهم.

عرض هذه الآداب والأخلاق في نصائح ومواعظ أرسلها لابنه كي يتحلى بها أمام السلطان المظفر، إذ قال(٤):

وكُنْ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُطيعاً لأمْرِهِ ... كديك السَّما بالخمسِ ما زَالَ صادحا

وفي بيته أعمى فكُنْ إنْ دَخَلْتَه ... وكُنْ أخْرَساً مَهْما خَرَجْتَ مُصافحا

إذا شَرَحَ السُّلْطانُ فاسمعْ لِشَرْحِهِ ... وإياكَ لا تشْرَحْ لما كان شارِحا

إذا المَلِكُ المنصورُ أمْنَحَكَ الرِّضى ... فَكُنْ من سَجَاياهُ الشريفةِ مانحا

(١) الديوان (المخطوط) ١٢٩ . (٢) نفسه ١٣٢ .
(٣) نفسه ١٢٩ . (٤) نفسه ١٣٠ .

ويأمر ولده أن يثني على السلطان إذا غصَّ المجلس بالقوم، فقال(١):

ولا تُخْسِرِ الميزانَ مِنْ مَنْطِقِ الثَّنَا إذا حَفَلَ النادي تعِشْ فيه رابحا

وكان على علاقة مع ملوك بني صلت الذين كانت لهم دولة في الرُّستاق ونَخَل ووادي بني خَرُوص، فالشاعر تربطه بهم صلات صداقة.

ومن بين أولئك الملوك، السلطان أبو العرب بن أبي العربي بن الصلت، تدلنا على هذه العلاقة تعزية ابن غسان لهذا السلطان في ابنته فاطمة، فمما قاله(٢):

ظَنَنْتُ قُبَيْلَ فاطِمَةٌ ظنونا بأنْ تَبْقى كأنَّ بنَا جُنونا
وَمُذْ ماتَتْ فَمَزَّقْنا الجفونا نُصَلُّ على الفقائد أو نَبيْتُ
ولولا أنَّ حِلمَكَ والمنايا مُقَدَّرة على كُلُّ البَرايا
لأفْنَتْ حِلمَنَا هذي الرَّزَايا وما أنْ لَذَّ لي شُرْبٌ وقُوتُ

ويحتمل أن أبا العرب هذا كان يهوى الأدب والشعر ويقرب إليه الشعراء، فابن اللواح لا يجد بداً من الثناء عليه مادام يرى معروفاً وفضلاً منه؛ فلذلك يقول(٣):

وإنّي لستُ أخشى الحادِثاتِ إذا ما عِشْتَ لي في الحادِثاتِ
أبا العرب المُحامي الحاذياتِ وعاشَتْ لي المُنى غير الصَّلُوتِ

ولما تُوفي أبو العرب المكنى أبا مالك رثاه ابن غسان بقصيدة أشار فيها إلى الذي خلفه في الملك، وهو فتى صغير السن اسمه محمد- لعله ولده- فمن هذه القصيدة قوله(٤):

أبا مالِكٍ مَنْ للمَعالي يُشيدُها خلافكَ مُذْ أثْبَتَّها بالدعائم
فما فُقِدَتْ مُذْ كُنْتَ أملاكُ حِمْيَرٍ ولا لِسِواكَ الحَمْدُ عِنْدَ المواسِمِ
أبا العَرَبِ الزاكي ابن بِلعَرَبِ الفتى ابْ نَ صَلْتِ المحيا ذا العُمومِ العَماعِمِ

وللشاعر علاقة مع السلطان محمد بن بلعرب بن صلت الصلتي- ولعله ابن السلطان بلعرب الذي ذكرناه سابقاً- وقد كتب له قصيدة مدحه فيها وهنأه بعرسه الجديد، فمنها(٥):

يَهْنا بِكَ العِرْسُ الجديدُ مُحَمَّدُ بسُعُودِ إقبالٍ عليك تَجَدَّدُ

---

(١) الديوان (المخطوط) ١٣٠.
(٢) الديوان (٢/ ١٢٣.
(٣) الديوان ٢/ ١٢٤.
(٤) الديوان ٢/ ٢٣٩.
(٥) الديوان (المخطوط) ١٣٩.

ومنها(١):

وإليكَ من شَجَرِ الكلامِ قـصـيـدةً لسواكَ تـأبى يـا مُحَمَّدُ تـقـصـدُ

لولاكَ مـا نَطقتْ لِسـاني بَعْدَمـا ظَهَرَ المشـيـبُ وحَلَّ خَالٌ أعْهَدُ

جـدَّدْتَ لي حُسْنَ القـريحـة بَعْدَمـا دَرَسَتْ وكـادَتْ يا ابْنَ صَلْتٍ تُلْحَدُ

وواضح أن هذه القصيدة قالها في شيخوخته بعد أن انقطع عن قول الشعر، وعندما تقدمت السن بأبوي السلطان محمد، رعى أبو حمزة تلك السيرة، فنصح للسلطان أن يبرّ والديه، وأن يرفق بهما في شيخوختهما، مما يدل على حسن الصحبة، ووثاقة السيرة بينهما، فقد قال له(٢):

وبِرُّ الـوالـديـنِ أجَلُّ شـيءٍ فـالزَمْ فـيـهمَا الصَّبْرَ التـزامـا

فـلا تَجْعَلْ خَتـامَهُمـا جَفَاءً بـلِ الحُسْنى لَهُمْ مَنْكَ الختـامَا

فـارْفِقْ بـالأبِ الزَّاكـي وأمٍّ تَعِشْ في كُلِّ مَكْرُمـةٍ إمـامـا

وكـان على عـلاقـة مع غَريبِ بن مُحَمَّدُ بن خَاطِرْ وأولاده من أهل سـمائل، وارتبط سـالم بن غسان مع غريب بن محمد وأولاده؛ خاطر ومبارك وخنجر؛ بأخوة في الله، إذ ليس بينه وبينهم قرابة نسب، وإنما هي أخوّة في الله، وعندما زَجت يد الزمن بالشاعر بعيداً من أصحابه، تمنى أن تجمع بينهم الأيام، فقال(٣):

لِتَجْمَعَ الشَّمْلَ من قومٍ أوَدُّهُمُ فيك الإلهُ بهمْ أرجُوكَ تَجْمعُني

ويتشوق إليهم وإلى بلدتهم سمائل في رسائله، ويدعو لها بالسقيا(٤):

سُقِيَتْ سـمـائلُ كُلَّ يومٍ صـيِّبـاً هَطِلاً يـواصـلُ وَبْلَهُ بِسِجـالـه

بَلَدٌ بهـا قـلبي اسـتـقرَّ ومـقـلتي فَهُمَا لشَحْطِ البـين مـن خـلالِه

فـي يَقْظَتـي يـرتـاعُ قـلـبـي عِنْدَهُ أو نِمْتُ طَارَحَني خـيـالُ خـيـالِه

لا أبْتَغي عـنهـا البَديْلَ وأهْلَهـا لمحَبَّتي فـيـهـا هُدى إبْدالِه

ومـدينة سـمـائل كـبـيـرة(٥).

(١) الديوان (المخطوط) ١٤٩.

(٢) نفسه ١٤٢، ١٤٣.

(٣) نفسه ٤.

(٤) نفسه ٢٠، ٢١.

(٥) سمائل: مقسمة إلى سمائل العُليا وسمائل السفلى، وكل من العلاية والسفالة متسم الأرجاء.

والشاعر يحدد مقر أصحابه منها، فيقول:(١)

على الحاجر الغَرْبيِّ مِنْ ذي سَمَائِل ... تحيَّةُ مشتاقٍ عميدِ البلابلِ

ويقول في موضع آخر(٢)

يا نازلي الحاجرَ الغربيَّ لا بَرِحَتْ ... منّي التَّحيَّةُ فيكُمْ بالثنا نَفَحَتْ
لي في سمائلَ حاجاتٌ جَنَحْتُ لها ... يا لَيْتَها لي على شَحْطِ النوى جَنَحَتْ

وربما سكن خاطر بن غريب في الحاجر الشرقي إذ قال عنه المَلّوحي(٣):

يا نازلي الحاجرَ الشرقيَّ لا فُقِدَتْ ... أخلاقُكُمْ ومواليكُمْ فلا فُقِدا

وقد أشار الشاعر إلى أسماء أبناء غريب بن محمد، فقال(٤):

لَكَ خاطِرٌ ومباركٌ يا خِنْجَرٌ ... وُدّاً على وُدٍّ صفاكُمْ زادَني

وفي بيت آخر، يقول(٥):

مُباركُ يا رُكني القويُّ وخِنْجرٌ ... إذا جئتما ليلى الشرِّيفةِ قل لها...

وعندما توفي غريب بن محمد السمائلي، رثاه ابن اللواح بقصيدة مطلعها(٦):

المرءُ لا زالَ في دُنياهُ كالعَرَضِ ... صَميمُه لسهامِ الموتِ كالغَرَضِ

وعندما توفيت زوجة غريب بن محمد -أم أبنائه- رثاها الشاعر بقصيدة، ولم يشر إلى اسمها، بل أشار إلى أبيها وهو موسى، وقد توفيت بعد زوجها غريب بن محمد.

وخاطر بن غريب له مكانة خاصة عند الشاعر- من بين إخوانه- يخصه بالمدح ويكن له المحبة الخالصة، ويحليه بغرائب ألفاظه وبنات أفكاره، فهو يقول له(٧):

وإنْ دامَ لي مادُمْتُ في العُمر خاطِرٌ ... فما أنا للعُمْرِ الطّويلِ مَلُولُ
أخي ثِقَتي ذخْري سِنادِي وَصَفْوتي ... مَبَرِّي إذا خَان الخليلَ خليلُ
أخي يا أخي في اللّه للّه قد دنا ... لنا بعد إيضاح المشيب رحيل

وهو الذي يستصفيه عن غيره ويستأنسُ بصحبته، فقد طلب ابن اللواح من خاطر أن يصحبه إلى الحج، فقال له(٨):

---

(١) الديوان (المخطوط) ٢٩ . (٢) نفسه ٢٦ ، ٢٧ . (٣) نفسه ٧ . (٤) الديوان ١/ ١٧٨ .
(٥) نفسه ١/ ١٨٩ . (٦) نفسه ٢/ ١٦١ (٧) الديوان (المخطوط) ١٥ . (٨) الديوان ١/ ١٢٦ .

تأهَبْ لا عَدِمْتُكَ في جُمادى   إذا ما كُنتَ حلمي لِلْمَديدي
وإنْ تَكُ أُمُّكَ الخَدراءَ عاصٍ   فَلَسْتَ لها بعاصٍ أو عَنيدِ
فَمَعْذورٌ وعَرِّفْني لعلِّي   أحاولُ صُحبةً لأخٍ جديدِ
إذا ما الماءُ عزَّ على المُصلِّي   فَمُقتضٍ مَنْ تيمَّمَ بالصعيدِ

فإذا كان خاطر لا يستطيع مصاحبة الشاعر للحج بسبب ظروف أمه، فإن أبا حمزة يرى صحبة غيره كالمتيمم بالتراب إذ أعدم الماء للمصلي أو للمتوضئ.

ويتبادل الشاعر مع خاطر بن غريب وإخوته التهاني بالمناسبات، فعندما هنأ خاطر الشاعر بسلامته من الجنود التي عارضته، ونجاته من ركوب البحر، ردَّ عليه ابن اللواح بقوله(١):

هَنأتني بسلاماتٍ ظَفِرتُ بها   بموقفٍ قد نَسي نوحاً به سامُ
والموتُ فيه بَدَتْ مِنْهُ نواجذُهُ   وأوضَحَتْ للمَنايا فيه أعلامُ
نَجوْتُ مِنْهُ وعَيْنُ الله كاليةٌ   والخلْقُ ليسَ لَهُمْ نَقضٌ وإبرامُ

وقد هنأ الشاعرُ غريب بن محمد بنجاته من البحر عندما كان قاصداً حجَّ بيت الله الحرام، إذ رمى ماله في البحر ونجا بنفسه، فقال له(٢):

قَصَدْتَ الحَجَّ كي تَمْحو ذُنُوباً   وأنّى يا غريبُ لكَ الذُّنوبُ

وعندما تزوج ولد لخاطر بن غريب وهو خَلَف، هنأه الشاعر بقصيدة منها(٣):

والعرْسُ يَهْنَا بِهِ الزّاكي الفَتى خَلَفٌ   بِهِ فَقَدْ سَعِدَتْ لَمَّا بها سَعِدا
سارَت إليه مسيرَ الشّمسِ قاصدةً   لسعدها حَمَلٌ لَمّا بها اقْتَصَدا
لا زُحْزِحَتْ عَنهُ مُذ في بُرْجِها رَكَدَتْ   ولا ذوى برجُه عنها وقد ركَدا
عاشا كما عاش لُقمانٌ وأنْسُرُهُ   مَجْداً وعِزّاً وعيشاً دَغْفَلاً رَغَدَا

وعندما ذهب إخوة خاطر بن غريب إلى حج بيت الله الحرام، بقي خاطر يلي أمورهم. إلا أنه جزع لفراق إخوته، فأخذ ابن اللواح يصبّره ويأخذ بيده، فقال له(٤):

لا تَجْزَعَنَّ وَعنْكَ الإخوةُ اعتمدوا   قبرَ النبيِّ وليلى والمقاماتِ
اللهُ يُرْجِعُهُمْ في خيرِ مُنْقَلَبٍ   بعد انْقِضا الحجِّ فرضاً والزيَاراتِ
والله يرزُقُهُمْ أضْعافَ سَعْيِهِمُ   في البَرِ والبَحرِ من ربحِ التجاراتِ

(١) الديوان (المخطوط) ٨٠.   (٢) نفسه (٨٠).
(٣) نفسه ٧.   (٤) نفسه ١٢.

واستمرت صداقة الشاعر الحميمة مع أولاد غريب بن محمد، منذ شباب الشاعر إلى أن شاب(١):

راعَيْتُكم عصرَ ريعانِ الشبابِ إلى   شيبي وإخلاصُكمُ ما عِشْتُ راعَاني

فهو معهم بقلبه، وإن زجت به الأيام بعيداً عن ديارهم، يراسلهم بقصائده ويثني عليهم فيها، وهم يراسلونه بكرمهم(٢):

بِمجْدِهِمْ والثَّنا فيهِمْ بهمْ نَطَقَتْ   في كلِّ نادٍ لسانُ الحمدِ قد شَرَحَتْ
أهْدِي لهُمْ كلَّ يومٍ حكمةً فإذا   وَعَتْ صُدرُهم ألفاظَها انْشَرَحَتْ
ليعلموا أنني لم أنْسَهُمْ أبَداً   دَنَتْ ديارُهُمُ سِيّانِ أو نَزَحَتْ

ولعلَّ الشاعر قد ترك أحد أبنائه عندهم لطلب العلم، تدل على ذلك مراسلته لهم، وطلبه إليهم أن يبلغوا سلامه ولده، فقال(٣):

وقُرَّةَ عَيْني بلِّغُوهُ تَحيتي   وخُصُّوا عليّانا تحيات باسِلِ

ومما هو جدير بالذكر أن سمائل في عصر سالم بن غسان كانت في أيدي العُمَيْريين، وكان الشاعر مرتبطاً معهم بصلات، وربما أغدقوا عليه العطايا والهبات، وفي هذا دليل على أن أمراء ذلك العصر كانوا يقربون الشعراء وأهل العلم والفضل إليهم، من أولئك الأمراء الأمير علي بن سنان العُمَيري الذي قرن الشاعر ذكره بفضله على الخلق في ذلك الزمان وأياديه الجسام، إذ قال(٤):

وإنْ بَقِي في ذُرا العَلْيا أبو حَسَن   فالخَلْقُ والدّهرُ في نُعماهُ كلُّهمُ
فاخلَعْ نِعاليْك في ناديه مُحْتَشِماً   تأتيك منه الأيادي الضُّخْمُ والحَشَمُ
واشْكو لَهُ نائباتِ الدّهر مُنْتَصِفاً   فإنه الخَصْمُ للشداتِ والحَكَمُ

وكانت له علاقة مع عبدالله بن أسَد الأغبَري النَّخلي وولديه، فقد ارتبط ابن اللواح بعلاقة وثيقة مع الشيخ العلامة عبدالله بن أسد النخلي وولديه: أسد ومحمد، وهذا الشيخ وولداه من أعلام الفقه والأدب في ذلك العصر، ومسكنهم بلدة نخل، وبالتحديد في محلة الغريض(٥).

---

(١) الديوان (المخطوط) ٣٥.
(٢) نفسه ٢٧.
(٣) نفسه ٣٠.
(٤) نفسه ٤١.
(٥) نفسه ٩٣.

سـلامُ اللّه زاركُمُ وحَمْدٌ يُقـدِّسُ مـا بعـثناه العُرُوضـا
يَخُصُّكَ والأبَ الزَّاكي وحسبي شَقـيـقُكَ والذي نَزَل (الغَريضـا)
وعُمَّ جَمـيـعَ مَنْ والاك دِيْناً بنَخْلٍ كـانَ علقـاً أو نقـيْضَا
سـقى نَخْلاً وسـاكِنَهـا سَمَاءٌ يطبِّقُهـا الشَّوامِخَ والأرُوضـا

ويرى الشاعر أن الشيخ عبدالله بن أسد وولديه أسدٌ ومحمداً هما غايات أمله وسنده(١):

عَبْدُ الإلهِ وشِبْلَيْكَ الذين هُمَا غاياتُ سُؤلي وتَطلابي وإسنادي

إذ يرى أنهم سنداً للمذهب الإباضي في عصرهم، فهم كالزيتونة المباركة(٢).

مـا عِشْتَ فـالدينُ الإباضي أبْيَضٌ أو مُتَّ مِنْكَ وعنك غـيـرُ الذاهبِ
فَلَعَنْكَ تُسْنِدُهُ بَنوكَ لِكـلِّ مـن في الأرض بين أعـاجم وأعـارِبِ
فَقُلوبُكُمْ كـالدُّهْنَ من زَيْتـونةٍ زَهْراءَ ذاتِ مَشـارِقٍ ومَغـارِبِ

ويشيد الشاعر بأسد بن عبدالله وأخيه محمد في أدبهما وذلك في خطابه لأسَد قائلاً له(٣):

فَنَثْرُكَ فهو مَنْظُومُ اللآلي ونَظْمُكَ فهو سِمْطٌ جَوْهَرِيُّ

وفي خطابه لمحمد بن عبدالله، يقول له(٤):

أمَوْلانا ويا مولى القوافي وكلُّ مُنْجبٍ بَذَرَ النَّجايا

وأغلب الظن أن عبدالله بن أسد وأولاده من قادة أهل نَخَل يدلنا على ذلك قول المُلَوَّحي(٥):

لولا الغريضُ وقاداتُ الغَرَيض بها غَلَقْتُ رَهْناً وما بالرَّهْن من فادي

وعندما توفيت ابنة لأسد بن عبدالله، عزاه الشاعر بقصيدة منها(٦):

أيا أسَدَ البـاري نعـزّيكَ والأسى لعـمرُك فـينا مِنْكَ زادَ علـى الحَدِّ
فَحُزْنك يـا نـور الإبـاضـيِّ بـعضُه لـيُحْرِقُ مِنَّا مَعْلَـقَ الـرُّوح لا الجِلْـدِ

وقد عزاه في زوجته أيضاً، بنظم ونثر، وتظهر على النثر الكلفة والتصنع اللفظي، إلا أن النظم غير موجود في الديوان المطبوع.

وللشاعر مكاتبات مع الشيخ عبدالله بن أسد، إذ كان الشيخ عبدالله في نزوى، وكانت له ولاية عليها، بل ربما كان قاضياً فيها، وكان الشيخ عبدالله يراسل الشاعر وابن

(١) الديوان (المخطوط) ١١١. (٢) نفسه ٩٧. (٣) نفسه ١٠٨.
(٤) نفسه ٩٩. (٥) نفسه ١١٢. (٦) الديوان ٢/ ١٣٤.

اللواح يرد عليه، فيقول(١):

عَبْدَالإلهِ بكَ الكتابُ قدِ التوى | قصْدي وبالإخلاصِ منك قد انطوى
قبّلتُه تقبيليَ الحَجَر الذي | تُمْحا الذُّنوبُ بِهِ وتصطَلِحُ القوى

إلى أن قال فيها(٢):

وبَقي الفتى أسَدُ الرّضي ومحمّدٌ | في دَوْلةٍ بكَ عُمِّرتْ لَنْ تُحْتَوى
وبقيَ لكم أسَدٌ بأسعَدَ دولةٍ | مَحْروسَةٍ من مُوبِقاتٍ أو توى

وكانت للشاعر مراسلات مع الشيخ أسد بن عبدالله، إذ كان الشيخ أسد من قراض الشعر ومتذوقي الأدب وكذلك والده، فلذلك، نرى بعض القصائد التي يرسلها شاعرنا للشيخ عبدالله وابنه أسد تظهر عليها الصنعة اللفظية والمحسنات البديعية، فكأنه يريد أن يستعرض لهم ثقافته وتمكنه من نظم القريض ومسكه لزمام اللغة، فقد أرسل قصيدة جواباً للشيخ عبدالله بن أسد، وهي غاية في التكلف والصنعة، إذ جعل الحرف الأول من كل بيت متسلسلاً على حروف الهجاء، بدءاً من الحاء حتى انتهى إلى الياء، وجعل لكل حرف بيتين، فمن هذه القصيدة قوله(٣):

دَمَلْتُ الجُرحَ من صبري | وجُرحُ البين مادمُلا
ذَهَلْتُ العذْلَ من ولَهي | ومَنْ يَبْلى به ذُهلا
رَحَلْتُ وبي هوى منكُمْ | فما عنّي بكم رَحَلا
رَمَلْتُ لكُمْ لكي أسْلو | ومَنْ ذا يَحْكُمُ الرَّمْلا
زجلْتُ لكم جوى لمّا | سَمِعْتُ الرّعدَ قد زَجَلا
زَمَلْتُ ضعائني عنكُمْ | فليتَ الجدَّ ما زَمَلا

وعندما كتب الشيخ أسد بن عبدالله قصيدة ميمية وأرسلها للشاعر، أجابه ابن الملوح بميمية مثلها على الوزن والروي، أظهر عليها الصنعة البديعية وردّ الأعجاز على الصدور، قال في مطلعها(٤):

مُدامُ اشتياقي والتياعي إليكم | سَكِرْتُ بها لا سُكْرَ شُرْبِ مُدامِ
مُوامي الجَوى تهنا بها بَعْدَ بُعْدِكُم | ولا كمُوامي البين تِيهَ مُوامي
مُشامِي بُروقاً لامحاتٍ بمُرْنِكُمْ | أذابَ فُؤادي مُذْ أشَمْتُ مشامي

---

(١) الديوان (المخطوط) ٩٠. (٢) نفسه ٩٠.
(٣) نفسه ١٠٢، ١٠٣. (٤) نفسه ٨٦.

وكان على علاقة مع عبد السلام بن أبي الحسن الرستاقي، ومن أولى مكاتباته لأهل الرستاق مكاتبته للشيخ عبدالسلام بن أبي الحسن بقصيدته الميمية التي أجاب بها الشيخ عبد السلام التي مطلعها(١):

هو الرَّوضُ عن ثغر الكواكب باسِمُ ... مُشَقَّقَةٌ أذيالُهُ والمآكِمُ

بِهِ بَكَرَتْ من ساريات غَواديا ... وراحَتْ مَراحَ الشَّوْلِ فيه غَمَائِمُ

وللشيخ عبدالسلام من الأولاد الذين ذكرهم ابن غسان:نَجْدَة، وأبو راشد؛ لعله المهدي بن عبد السلام، نرى ذلك في البيتين التاليين(٢):

أبُوكَ أبو العَلْيا وصِنْوُكَ صالِحٌ ... بِهِ صَلُحَتْ أدْيانُنا والأقالِمُ

ونَجْدَةُ في كُلِّ المكارِمِ مُنْجِدٌ ... وبو راشِدِ المهدي جوادٌ وعالِمُ

ويشير أيضاً إلى أن أبناء عبدالسلام من علماء أهل الرُّسْتاق، فالشيخ نَجْدَة، شاعر وأديب وعالم بالفقه وأصوله، وربما كان متصدراً للفتوى في عصره، فما يدلنا على أنه شاعر قول أبي حمزة(٣):

أمَولى القَوافي السّاتِراتِ من الخَنا ... فلا لَبِسَتْ عاراً ولا كَسَبَتْ إثْمَا

ومما يدل على أنه واسع المعرفة بالفقه وأصوله وتصدره للفتوى، قول أبي حمزة(٤):

عقَدْتَ حبا الفُتْياءِ في كلِّ مَذْهَبٍ ... تَرُدُّ وُلاةُ الحُكْم فيه لكَ الحُكْما

يَميناً لِو اسْتفْتاكَ عيسى بْنُ مَرْيَمٍ ... وجُمْلَةُ مَنْ في الأرْضِ أوْسَعْتَهُمْ عِلمَا

والشيخ صالح أخو عبد السلام حبْرٌ عالم ذو كرم وعفة، قال ابن اللواح في رسالته التي وجهها إلى أولاد عبد السلام(٥):

يَعُمُّ بني عبدِ السلامِ جَميعَهُمْ ... وإن كان مخصوصاً به الحَبْرُ صالِحُ

فتى ملأ الدُّنيا عَفَافاً ونائلاً ... ففي جودِهِ حَقٌّ وفي الحِلِم قارِحُ

وقد أشار ابن اللواح إلى بعض صفاته الأخرى بقوله(٦):

ترى النّاسَ وُقّافاً على بابِ داره ... كما وَقَفَتْ بالبيت ركْبٌ مشائخُ

فمِنْ طالبٍ عِلماً ومن طالبٍ غِنى ... ومِنْ مُسْتَقِلٌ عثْرة فهو صالِحُ

(١) الديوان (المخطوط) ١٤٣. (٢) نفسه ١٤٦. (٣) نفسه ١٥٤.
(٤) نفسه ١٥٥. (٥) نفسه ١٤٩. (٦) نفسه ١٤٩.

وعندما توفي الشيخ نجدة؛ رثاه أبو حمزة بقصيدة مطلعها(١):

لا جَدَّدَ اللّه في ما بَيْنَكُمُ حَزَنا　　　مِنْ بَعْدِ ما الصَّبْرُ في مجرى الإسار دنا

ولابن غسان مكاتبات مع إباضية أهل المغرب، إلا أنه لم يصل إلينا شيء منها إلا قصيدته الهائية التي قدم لها بمقدمة نثرية، ومطلعها(٢):

ما رَوْضَةٌ باتَ سارِيها يُباكِرُها　　　ورَاحَ فيها مَرَاحَ الشَّوْلِ ماطِرُها

وجه الشاعر هذه القصيدة تحية سنية أهداها إخوانه المغاربة، ووشاها بذكر قرى جبل نفوسة وجربة وقصور بني مصعب، وامتدح فيها أئمة الفرس الرستميين وحملة العلم من المشرق إلى المغرب، وجملة من مشاهير فحول علماء المغرب وعباده.

وسندرس هذه القصيدة، في دراستنا للإخوانيات، من الفصل الثاني.

---

(١) الديوان ٢/٢٦١.

(٢) ابن رزيق، الصحيفة القحطانية ٢/٣٩٨.

الفصل الثاني
شعره. دراسة موضوعية

- الديوان:

أصدرت وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان ديوان سالم بن غسان المُلوّحي الخَرُوصي، وخرجت الطبعة الأولى منه عام ١٩٨٩م بتحقيق محمد علي الصليبي، وحققه على نسختين- كما يقول- من ممتلكات دائرة المخطوطات والوثائق في وزارة التراث القومي والثقافة، إحداها تحت رقم عام (١٩٣٢) وخاص (٩٦ز) وتقع في (٣٥٧) صفحة، وهي بخط النسخ، وانتهى من نسخها سُليمان بن سيف بن سعيد بن خَلَف بن خَميس بن مَسْعود بن راشد بن زامِل المَعْوَليّ، يوم الأحد (٣٠ من شهر رجب سنة ١١٩٩هـ)؛ أي بعد الفترة التي عاش فيها الشاعر وهي سنة ٩٨١هـ - حسب ما استنتجته في الفصل الأول، بمئتين وثماني عشرة سنة.

والثانية تحت رقم عام (٣٤٦٩) وخاص (٩٦ز) وتقع في (٣٧٥) صفحة،

نسخها سالم بن سعيد بن علي الصائغي، ولم يؤرخ تاريخ نسخه لها، وقد كانت في وادي بني خروص توجد نسخة لديوان الشاعر، وفي آخرها مراسلات نثرية لأدباء المغرب، منها مراسلات فقهية ولغوية وأدبية ملحقة بآخر الديوان(١) ولكن هذه النسخة ضاعت.

ولقد عرف المحقق الشاعر، وعرض نماذج من شعره في المقدمة، وأثبت ترجمة الشعر بقلم الشيخ مُهَنّا بن خَلْفان الخَرُوصي، كما أثبت مقدمة الشاعر للديوان.

وقد رتب المحقق قصائد كل باب حسب الحروف الهجائية، وَوضع عنواناً لكل قصيدة، وأثبت بحر كل قصيدة، سقط ذكر بحرها في المخطوط، ورقم الأبيات، ووضع فهرساً لمطلع كل قصيدة، كما فسر بعض معاني الكلمات، وأخرج الديوان في جزأين.

وقد حافظ المحقق على تقسيم الشاعر نفسه لأبواب الديوان، فجاء الجزء الأول منه في أربعة أبواب:

الأول: في مدائح المولى سبحانه وتعالى.

الثاني: في مدائح ليلى الشريفة وتوديعها وتوديع مقاماتها ووداع منى وعرفات.

الثالث: في مدائح سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم.

الرابع: في المدائح والمواعظ والدعوات.

---

(١) الديوان ١/ ٥٠.

والمتتبع للديوان يجد أن قصائد المدح غير موجودة في الجزء الأول ولا الثاني، وكذلك لا توجد أيضاً في النسخة الثانية من المخطوطة، وقد سقطت هذه القصائد.

وجاء الجزء الثاني في ثلاثة أبواب:

الأول: في مسائل شرعية واجبات.

الثاني: في التأبينات والمراثي.

الثالث: في مراعاة الإخاء والمكاتبات.

وقد لاحظت من تتبعي للديوان أن الباب الثاني جاء في النصائح والمعاتبات، والباب الثالث في التأبينات، وبهذا سقط باب مراعاة الإخاء والمكاتبات، ولعل ذلك يعود إلى المحقق، حيث لم يجد هذه القصائد في المخطوطة التي اعتمدها أصلاً ورمز لها بـ «النسخة»، فهذه القصائد موجودة في النسخة الثانية التي رمز لها بـ (نسخة)، فربما أسقطها؛ لأنه شك فيها، ويتضح ذلك من سؤاله التالي:[1] «وما هي علاقة بعض القصائد التي أثبتت في النسخة الثانية، التي وقعنا عليها مجهولة التاريخ».

ومن قراءتي للديوان، وجدت قصيدتين في الجزء الثاني، إحداها في ص٢٠٧، عاتب فيها الشاعر بعض الولاة، والثانية في ص٢١٩، وهي نصيحة وجهها الشاعر إلى أهل نزوى، وموضع هاتين القصيدتين في الباب الثاني في النصائح والمعاتبات، إلا أنهن قد أدرجن في الباب الثالث في التأبينات والمراثي.

ووجدت أيضاً في الجزء الأول قصيدة وضعت ضمن قصائد الحكم والمواعظ، وموضعها في الجزء الثاني ضمن المسائل الشرعية.

فعلى هذا قد سقط من الديوان المطبوع قصائد المدح والباب الثالث في مراعاة الإخاء والمكاتبات، وهذا الباب في النسخة المخطوطة الثانية.

ولعل المحقق رأى أن إخراج تلك القصائد في المكاتبات ومراعاة الإخاء ودمجها في قصائد النسخة الأولى يتطلب منه جهداً مضنياً، وربما يتعذر عليه إخراجها؛ لعدم وجود نسخة أخرى يستعين بها في بيان ما غمض عليه في تلك القصائد من عدم وضوح الخط، وسَقْط في الكلمات، واختلال في الأوزان، وغموض في الألفاظ والعبارات، لا يستبينها حتى المتخصّص، إلا بالاستعانة بالمعاجم.

---

(١) الديوان ١/ ٥٠.

ويبدو أن المحقق لم يبْنِ شكه على أسس علمية؛ لأن الدلائل تجعلنا نعتقد اعتقاداً جازماً أن تلك القصائد هي لابن اللواح.

فمن تلك الدلائل، أن النسخة التي اعتمدها المحقق أصلاً، كتب الناسخ عليها العبارة: «انتهت القطعة الأولى من ديوان سالم بن غسان اللواح(١)»،مما يدل على أن الشعر الذي ورد في تلك القطعة ليس كله شعر ابن اللواح، وأن هناك قطعة أخرى من شعره.

ووجود النسخة الثانية، وقد جاء فيها كثير من القصائد التي وردت في النسخة الأولى، إلا قصائد المكاتبات التي لم ترد في تلك النسخة، وكتابة ناسخ النسخة الثانية وهو سالم بن سعيد ابن علي الصائغي في آخر النسخة:- «تمّ ما انتجناه من ديوان سالم بن غسان اللواح»- لدليل واضح أن تلك القصائد هي لشاعرنا.

إن القصائد التي وردت في المطبوع، والقصائد التي لم ترد فيه، وهي قصائد المكاتبات، يخرجن من مشكاة واحدة؛ فغرابة الألفاظ وجزالتها، وتكرار الألفاظ والعبارات وردت في المطبوع والمخطوط متماثلة. وإضافة إلى ذلك، فإن الأشخاص الذين رثاهم الشاعر وردت مراثيهم في المطبوع، وقد اتضحت لنا علاقته بهم في المخطوط، من مثل غريب بن محمد بن خاطر السمائلي وأولاده خاطر ومبارك وخنجر، فقد جاء في المطبوع يعدد أسماء أولاد غريب بن محمد فقال:(٢)

لك خــاطرٌ ومــبــاركٌ يا خِنْجـرٌ وُداً على وُدٌ صــفــاكم زادني

وقد تبينت هذه العلاقة في دراسة الفصل الأول حول علاقات الشاعر. وذلك في مثل قوله:(٣)

أبنا غــريب غــريبــات صنائعــهم من فعلهم في جميع العالَم الحسَنِ
لا زال مــحضُ الثنا في كل طايفــةٍ مني عليهم ومَنْ أسدى الجميلَ ثُني
يا خــاطرُ بنُ غــريب يا أخــا كلم عني اغــتــربتَ فــأواًها إلى الوطنِ
لولاكَ درٌّ كـــلامي راحَ مَنْتَثِراً مثلَ انتشارِ سباعن مأربِ اليمن

ففي هذه الأبيات، ذكر الشاعر خاطر بن غريب، وفي الأبيات التالية، يذكر مباركاً بقوله:(٤)

---

(١) الديوان ١/ ٤١ (١) الديوان (المخطوط) ٣٧٥. (٢) الديوان ١/ ١٧٨.
(٣) الديوان (المخطوط) ٣. (٤) نفسه ٩.

مـبـاركُ يا مَنْ ليس يَنسى فَيَنْسى　　وكنّا على قُربٍ وبُعْدٍ فـمـا أغـضـا
هَداياك أمـشـاج على البُعْدِ تأتنا　　وكُتـبُك تُسلينا وحـفظُك مـا مـضى
وأنتَ كـمثـل الزيتِ يشفي من الأذى　　ونورٌ إذا مـا لـيلةٌ أظلمتْ أضـا
أأبنا غـريب تاج رأس زمـانِكم　　وفي الجود عشتم سنةَ الجودِ والفرضا

وفي الأبيات التالية، يسلم على أبناء غريب، ويخص بالذكر منهم خاطراً، إذ وصلت للشاعر منه بعض الرسائل، فيقول:(١)

وتسليـمي يخصُّ بني غـريب　　على أحـرارِهم وعلى العـبـيـدِ
ولا زال الـثـنـا مـني عليـهـم　　مـتى تسـدي بهم حـسن النشـيـد
طُروسُك خـاطرَ الزاكي أتتـني　　كـأن سطورَها نظمُ الفـريـد

ولا يشك أريب أن البيت الثاني من هذه الأبيات والبيت السابق ذكره في بداية هذه الصفحة:

لا زال محض الثنا في كل طايفة　　مني عليهم ومن أسدى الجميل ثُني

يصدران من مورد واحد، وذلك لتكرار الألفاظ والعبارات والمعاني فيهما.

وقد تقدم القول أن الشاعر أقام في مدينة إزكي واستشهدنا بالبيت التالي من المخطوط:(٢)

فجسمي زكَّ في إزكي مُقيماً　　وقلبي بين أظهركم مقيمُ

وها هو ذا يؤكد في المطبوع كلامنا، ونكتفي بالتمثيل له في موضعين: أحدهما في البيت التالي، وهو يخاطب خاطر بن غريب بقوله:(٣)

بإزكي مُقامي عنك واللهُ شاهدٌ　　كأني على ضيقي بكفةِ صائدِ

والبيت الثاني كذلك يخاطب فيه خاطر بن غريب: (٤)

وما إزكي زكَتْ عندي ولكن　　مُقامي في قضا حاجٍ مُفيدِ

وعندما اختار الله غريباً بن محمد، رثاه الشاعر بمرثيتين(٥) ورثى بنته كذلك، وعندما توفيت أم خاطر وإخوته، وهي بنت موسى بن عامر رثاها الشاعر بقصيدة.(٦)

وتبينا أن للشاعر علاقة مع عبدالله بن أسد الأغبري وولديه أسد ومحمد، وله قصائد فيهم جيدة(٧)، وقد عزى الشاعر أسد بن عبدالله في ابنته وزوجته(٨).

---

(١) الديوان ١/١٢٦.　(٢) الديوان (المخطوط) ١١٦.　(٣) الديوان ١/١٢٣.
(٤) الديوان ٣/١٢٦.　(٥) ينظر ٢/١٦١، ٢٨١.　(٦) ٢/١٩٧.
(٧) ينظر المخطوط من ٩٠-١١٧.　(٨) الديوان ٢/١٣٣، ٢٩١.

وفي النسخة المخطوطة، طلب الشاعر من صديقه خاطر بن غريب ألاّ يذهب إلى الحج إلا وهو في صحبته، فقال:(١)

وأمـــا الحج لا تَقْصـــدهْ دونـي لـتُسـلـيـكَ المنـابـرُ والمـنـارُ
بِعَهْدِ اللّهِ يجـــمـــعُنا إذا مـــا لنا أقْبَلْتَ حَجُّ واعـــتـــمـــارُ

ثم طلب شاعرنا من خاطر بن غـريب أن يتأهب للحج في شهر جمادى، وذلك في المطبوع فقال:(٢)

تأهّبْ لا عــدمـتُك في جـمـادى إذا مـــا كنتَ حلمي للمـــديدِ
وإن تـكُ أمُّك الخَدراءُ عـــــاصٍ فلستَ لهـــا بعـــاصٍ أو عنيـــدِ

ذلك من حيث علاقـاته؛ أما من حيث قبيلته وموطنه وولده، فقد قلنا: إنه من قـبيلة بني خروص وهي من صميم الأزد، وقلنا: إن موطنه «ثَقْب» وأحد أولاده الذين حملوا عبء والدهم وخصه بالمحبة هو ولده حمزة وكنيته أبو الأشبال أو أبو الشبل، وسنستخرج هذه المعاني كلها من هذه القصائد الإخوانية، تأكيداً لصحّة نسبتها لأبي حمزة، قال يخاطب ولده حمزة:(٣)

لَعَلَّ أبا الأشـــبـــال قَرَّ عـــيـــونا وطاب فـؤاداً واســتـــقـــرّ سكونا
وأســدى يداً في قـومـه حـاتَمـيَّةً وأغـضى على قـذعِ الصديقِ جُفونا

إلى أن قال فيها:

فـقل لبني الأعـــمـــام أزد شنوءَةٍ فـلا يسـتـشـيـروا مـا يكون دفـينا
إذا المرءُ أوهى بالعـصيِّ ابن عـمِّهِ يعـيـشُ وإن كـان الزعـيـم وَهيناً
أآل خـــــروصٍ أنـتُمُ ذروةُ الورى فـصـرتم بشَتَّانِ القلوبِ فـتـونا

وفي موضع آخر، يخاطب فيه ولده حمزة بكنيته واسمه، فيقول:(٤)

أبا الشـبل يا حـمـزة فـاسـتـمعْ مـــقـــالي وللأمـــر منّي أطعْ
أوَصِّيـك يـا حـــــمـــــزة إنّني على الرغم كـأسَ الردى مـجـتـرعْ

ويؤكد في القصيدة نفسها أن حمزة هذا ولده، فيقول:(٥)

أيا ولدي يا أميني استمع وصاتي إذا كنتَ بالمستمعْ

---

(١) المخطوط ٧٤. (٢) الديوان ١/ ١٢٦.
(٣) المخطوط ١٣٢. (٤) الديوان (المخطوط) ١٣٣
(٥) نفسه ١٣٤

وقال مخاطباً ولده، ويذكر بلدته «ثقب» ويذكر قومه وحكمهم وعدلهم ومقارعتهم للأعداء:(١)

وثَقْباً فدعْها كعبةً فهي مكةٌ تأم لها الأعجامُ والحضرُ والبدو
وبحراً خضَمّاً زاخرَ العلم طامياً جميع الورى منها على العل توردُ
أثيروا منَ الأرماس آلَ شنوءةٍ فكَمْ لكُمْ بيتَ المكارم شيّدوا
فكم مَلَكوا براً وبحراً بِعَدْلهم وكمْ قَدَحوا زنْدَ الجهاد وأصلدوا
وكم جَدَعَتْ أنفَ الأعادي سيوفُهم وكَمْ دوّخوا أرضاً وسادوا وسوّدوا

وفي نفس القصيدة، يدعو لبلدته «ثقب» بالخصب، فيقول:(٢)

ولا جدبَتْ «ثَقْبٌ» ولا ساءَ دهرُها ولا سامها بالخسفِ لحزٌ مزنّدُ
ولا فارقتْها السُّحبُ كلّ عشيةٍ بها البرق مستنٍ بها الرعدُ يرعدُ
فتصبحُ كالفردوسِ بَهْجاً رياضُها بأغصانِها وُرْقُ الحمامِ يغرِّدُ
ولا برحتْ سكانُها في سعادة عِزازاً وفي النعماء والفَضلِ يحسدوا

ويقول: لا ألامُ إذا ما مدحت هذه البلدة، فلها فضل عليّ عظيم، فهي الأم التي أظلتني بسمائها وغذتني بغذائها، فإن لم أحمدها، فأنا ظلوم جاحد لفضلها كما يقول:(٣)

وَمَنْ لائمي فيها إذا ما مدحْتُها فذو الفضل والآلاء بالحمد يُحمَدُ
هيَ الأمُّ غذّتْني صبيّاً وشايباً وكمْ أرضعتني ثديَها يومَ أولدُ
فإن فاتني حمدي لها أنا ظالمٌ جحودٌ ومثلي فضلها ليس يجحدُ

أما ما يتعلق بجزالة الألفاظ وتكرارها وتقارب المعاني وانطباقها، فنضرب الأمثلة التالية في وصف الشاعر للرعد والبرق والمطر، فقد قال:(٤)

إذا البروقُ خبتْ هبَّ النَسيمُ لها فَراحَ يورى زِنادُ البرقِ زامرُها
أو الرعود وَنَتْ عَنّ الجنوبُ فلن تزال تملأ عبريها هوادرُها
كأنما البرقُ في حافاتها رجفت عبْسٌ فصَلّتْ بذبيانٍ بواترُها
فَسَدّت الأفقَ طرفيه طوارفها وحجرتْ محجرَ الحربا محاجرُها
فانحلَّ مُنعقدُ القطرين مُنْبجساً كأنما الغيثُ للدلحا قطائرُها

(١) نفسه ١٣٨.
(٢) نفسه ١٣٩.
(٣) نفسه ١٣٩.
(٤) الصحيفة ٢/ ٣٩٨.

فإن هذه الأبيات مكررة عن الأبيات التالية بجزالة ألفاظها وتقارب معانيها وانطباقها، وهي من قصائد مراعاة الإخاء(١):

إذا خبا البرقُ هبّتْ ريحُ مَشرقِهِ ... وهي الصبا فأثارتْهُ من الحُضُنِ
وإن ونى الرعدُ تحدوه الجنوبُ فلا ... تزال تبكي بكاشجو على شَجَنِ
فانحلّ عقدُ الحيا في الأرض منتشراً ... على الرياض انتشار اللؤلو الثَّمِنِ

وهذه وتلك تكرار للأبيات التالية من المطبوع (٢):

وكُلّما ناوحتْ فيه الجنوبُ صبا ... همى من المُزْنِ بالريحانِ وادقُه
متى خبا البرق شبّتْه الصبا فغدتْ ... تنقضُ كالجمر منثوراً عقائقُه
وإن ونى الرعدُ تحدوه الجنوبُ فلم ... تنفكّ ترزم إرزاماً أيانقُه
فأوبَلَ الوبلُ حيثُ الطَلُّ يقدمُه ... والودقُ طفّ وطاف الأكم غادقُه

وكذلك الأبيات التالية مكررة عن تلك، وهي من المخطوط:(٣)

إذا خبا البرقُ هبّتْهُ الصَّبا فغدا ... كمثل قدح مشير الجمر وقادِ
وإن ونى الرعدُ تحدوه الجنوبُ فلا ... يزال في أثرها كالمطربِ الحادي
فانحلّ ذاك الحيا من كل ساحبةٍ ... ذيلاً على الأفق منها سحب ابرادِ

والأمثلة على ذلك كثيرة، ونظن أن في هذا بياناً كافياً لإثبات أن القصائد التي جاءت في النسخة الثانية - وهي قصائد المكاتبات ومراعاة الإخاء- حتما لشاعرنا أبي حمزة سالم بن غسان اللواح.

وأطمع أن يتهيأ لي وقت- لاحقاً إن شاءالله- فأتمكن من نشر هذه القصائد غير المنشورة التي يزيد عدد صفحاتها على مئة وسبعين صفحة.

وبعد هذه الملحوظات التصنيفية، أنتقل إلى الملحوظات المنهجية التي تتعلق بمنهجية التحقيق، وأود لو أنقل قبل ذلك ملحوظات الدكتور: الطاهر أحمد الدرديري، الأستاذ في جامعة السلطان قابوس. على تحقيق الديوان تحت عنوان «قراءة في ديوان اللواح الخروصي» أنقل منها النصوص

---

(١) الديوان (مخـ)٦.
(٢) الديوان ٢/ ٧٥. (٣) الديوان (مخـ)١٠٩.

التالية:(١) «قام المحقق الأستاذ محمد علي الصليبي جزاه الله خيراً:-

١- بمقابلة النسخ الخطية، وتوجد منه نسختان.

٢- جاء النص سليماً من التحريف والتصحيف بعد المقابلة بفضل التحقيق بدرجة عالية.

٣- إصلاح الخطأ والسقط الوارد عن طريق النساخ.

٤- إصلاح الخلل في بعض الأوزان التي صدرت من النساخ.

٥- أجهد المحقق نفسه في شرح المفردات الغريبة، وذلك بالرجوع إلى قواميس اللغة.

٦- بين بحور الديوان كله.

والظاهر أن الدكتور الطاهر لم يتأنَّ في قراءة الديوان، وإلا لما أقحم نفسه في هذه الشطحات؛ لأن الديوان مليء بالتصحيف والتحريف، بل النصوص التي نقلها الدكتور من الديوان في دراسته لا تخلو من التصحيف والتحريف، ومع هذا، لم يهتد إليها الدكتور، فمثلاً نقل البيت التالي:(٢)

تَنَاشَدُوا شِعْرَ ليلى كُلَّما انْتَبَهُوا ... ما كانَ في الشِّعْرِ (محزوناً ومَفْروقَا)

فلفظة (محزونا) مصحفة؛ إذ لا يوجد في الشعر- على حسب علمي- (محزون) فهي مصحفة عن (مخزوم) أو عن (مخروم)، فالخزم والخرم من علم القوافي.

قال القاضي التنوخي:(٣) «الخرم إسقاط الحرف الأول من الجزء الأول فيما هو مبني على الأوتاد المجموعة، وذلك يكون في خمسة أوزان من العروض، الطويل والوافر والهزج والمضارع والمتقارب. ومثل له بالبيت التالي:-

لا تَعْتَرِضْ في الأَمْرِ تُكفَ شؤونه ... ولا تَنْصَحَنْ إلا لمنْ هو قابِلُهْ

وأما «الخزم: بالزاي معجمة، فهو زيادة تلحق أوائل الأبيات، ولا يختص بذلك وزن دون وزن، ولا يعتد بتلك الزيادة في تقطيع العروض، فيزاد البيت حرفاً واحداً كقول طرفة:-

تَذْكُرُون إذْ نُقاتِلكُمْ ... إذ لا يَضُرُّ مُعْدِماً عَدَمُهْ

وقد يخزم بحرفين كقول طرفة أيضاً:

---

(١) الطاهر أحمد الدرديري- قراءة في ديوان اللواح الخروصي- فعاليات المنتدى الأدبي في سلطنة عمان، إصدار يونيو ١٩٩١ ص٢٢٢.

(٢) المرجع السابق ص٢٢٩، والديوان ١/ ١٦٦.

(٣) أبو يعلى عبد الباقي بن المحسّن التّنوخي- كتاب القوافي- ط١ دار الإرشاد للطباعة والنشر. بيروت ١٩٧٠ ص٦٩.

إذا أنْتُمُ نَخَلٌ نطيف به فإذا ما حُزَّ نَضْطَرِمُهُ

والمفروق- كما جاء في بيت شاعرنا اللواح- هو الوتد و «في العروض وتدان: مجموع ومفروق. فالمجموع: حرفان متحركان بعدهما ساكن، مثل قضى ودعا » ويسميه العروضيون «المقرون» والمفروق: هو حرفان متحركان بينهما حرف ساكن. نحو «كيف وقبل وبعد»(٢).

أما ملحوظاتي المنهجية، فأوجز الأهم منها مع التمثيل لها باختصار شديد، وهي:-

١- تصحيف نصوص الديوان وتحريفها.

٢- لم تظهر مقابلة النصوص على النسختين جلية، وإنما ظهر الاعتماد على نسخة واحدة في معظم القصائد التي تحويها النسختان.

٣- وردت أبيات كثيرة في الديوان مختلة الأوزان.

٤- الألفاظ المفسرة -في الغالب- لا تتفق ومعاني الأبيات.

٥- لم يُطَبَّق المنهج العلمي للتحقيق؛ من حيث تصحيح الأخطاء والزيادة والحذف والتغيير والتبديل والتعليق من المحقق.

وسنمثل لهذه الملحوظات كالتالي:

١- التصحيف والتحريف في النصوص: وردت تصحيفات وتحريفات في نصوص الديوان بكثرة؛ بعضها يلتمس فيها العذر، وتعزى إلى الأخطاء المطبعية، وبعضها لم أجد لها تخريجاً.

فمن أخطاء التصحيف التي يلتمس فيها العذر وتعزى إلى المطبعة:(٣)

٤- المالِكِ المُلْكَ لا يُوحى عليه بِهِ ولا تُكَلِّمُ فيها الخَلْقُ بَلْ يُوحي

والصواب ولا (يُكَلِّمُ) كما جاء في المخطوط؛ فربما جعل الطابع النقطتين أعلى الياء لتصبح تاء، بدلاً من أن يجعلهما أسفلها، وجعل الكسرة أعلى الشدة بدلاً من أن يجعلها أسفلها، وكذلك البيت التالي:(٤)

٣٨- وإنْ كانَ سَيْفي كُلَّ ما سُلَّ (خارجي) فَكُلُّ كهامٍ من سيوفِ العِدا العَضْبُ

والصواب (جارحي) كما جاء في المخطوط وليست (خارجي)، وإنما قفزت نقطة الجيم إلى

---

(١) أبو يعلى التنوخي- القوافي- ص٧٠، ٧١.

(٢) د:أحمد مطلوب. معجم النقد العربي القديم. ط١ دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد ١٩٨٩م، ج٢/٤٢٨.

(٣) الديوان ١/٧٩. (٤) الديوان ١/ ٢٠٣.

أعلى وزيدت نقطة تحت (الحاء)، وكذلك البيت التالي:(١)

٦- فيا عَجَباً كَمْ تَسْلِبُ الأُسْدُ في الوغى　　وتَسْلُبُنا (مرحى) شنوه عيدها

والصواب- كما جاء في المخطوط- (وتسلبنا مِنْ حَيٍّ شَنُوَةَ غيدُها)

والبيت التالي:(٢)

١٩- لا تشتكي لَغَباً في السَّير أو تَعَباً　　ولا بها (الحِسُّ) حتى تَشْتَهي الشَّبَقا

والصواب (ولا بها الجِسْرُ) كما جاء في الأصل. مِنْ (جَسَرَ الفَحْلُ إذا ترك الضِّراب»(٣).
والبيت التالي:(٤)

٢٥-لَمَّا أتَوا جُدَّةً من بعد ما حَرَموا　　فَقَرَّبوا اليَعْمُلاتِ الذُّمَّل (العَنَقا)

والصواب (العُتُقا) كما جاء في الأصل، وقد جاءت مشكولة.

والبيت التالي أيضاً: (٥)

٦٨- وإنَّني (بمدحي) طالب صلة - شفاعةً توصِلُ الغُفْرانَ والخُلقا

والصدر مختل الوزن، واستقامته بالتصويب التالي: «بمديحي» كما جاء في الأصل.

ومن التحريفات التي لم أجد لها تخريجاً:(٦)

٦- (أرسى) الرَّاسياتِ الراسياتِ بِها　　كيما يقول الهوى من (حُبِّها) سيحي

والصواب (وأركد) بدلاً من (أرسى)، و (تحتها) بدلاً من (حبها). وكذلك جاء في الأصل، وقد تكرر هذا الصدر في ص٨٦ من نفس الجزء، فقد جاء البيت كالتالي:

١٧- وأركَدَ الرَّاسياتِ الراسياتِ بها　　كيما تسيح فأرسَتْ بَعْدَما سَمُقا

وقد صحف في البيت التالي:(٧)

٥١- خَفَاءً وقد أعطي الرِّسالةَ راقيا　　مطارِحَ قد كانَ منه يُريدُها

وعلق المحقق على هذا البيت بقوله: (مطارِحَ قد كان الإله بريدُها) أو «مطارح ما قد كان

(١) نفسه ٢٥٣.
(٢) نفسه ١٩٦.
(٣) الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩م ١/ ٤٩١.
(٤) الديوان ١/ ١٥٦.
(٥) نفسه ١٥٩.
(٦) الديوان ١/ ٧٩.
(٧) الديوان ١/ ٢٥٦.

منه يريدها » وذلك ليستقيم الوزن) اهـ. وفي الأصل (مطا دَرّج قد كان منه يريدُها)، وهو الصواب، وبه يستقيم الوزن والمعنى. قال ابن الفارض:(١)

وأكنادُ جيش البحر ما بين راكبٍ (مَطا مَرْكَبٍ) أو صاعدٍ مِثْلَ صَعْدَةِ(٢)

وصحف البيت التالي:(٣)

٢- الحمدُلله إنَّ الله نَزَّهَني عن مِلَةِ الشِّركِ أهل الختر والختلِ

علق عليه بقوله: (الختل: الخديعة والاحتيال) اهـ. وفي الأصل «أهل الختر والحيل». ولو كان الشاعر يريد أن يقول: (أهل الخَتر والختل) لاستطاع، ولكنه رأى في ذلك تنافراً بين كلمتي (ختر وختل)، والبلاغيون يعيبون مثل هذا التنافر.

وقد حدث تحريف في البيت التالي أيضاً(٤)

١٤- وإن هَجَرْتَ رَواحاً واصَلَتْ بَكَرْت وتوضحُ الليلَ بالإرقالِ مُذْ غَسَقا

ويكون البيت ركيك المعنى لا يرتضيه الشاعر، والصواب(٥) (إنْ هَجَّرتْ رَوَّحَتْ أو أصْلَتْ بَكَرَتْ)

٢- لم تظهر مقابلة النصوص على النسختين جلية، وإنما ظهر الاعتماد على نسخة واحدة في معظم القصائد التي تحويها النسختان، تدلنا على ذلك الأمثلة التالية:(٦)

٢- وَهَيْهاتَ ما لِامْرِئٍ ما تَمَنّى وما كُلُّ داعٍ لعمْري يُصابُ

علق المحقق على (يصاب) بقوله: «كلمة القافية يصاب، لعلها «يجاب» لتناسب المعنى». ولو عاد إلى النسخة الثانية لما احتاج إلى التعليق، فهي في تلك النسخة «يجاب»(٧)

القصيدة التي تبدأ من ص٣١١-٣١٣ من الجزء الأول، لم يقابلها المحقق بالنسخة الثانية، وفيها تصحيف وتحريف بكثرة لا داعي إلى بيانه كله، فقد ألمح المحقق نفسه إلى عدم رجوعه بتعليقه على البيت رقم ٤٨:

٤٨- فمِنْ سانِ القفار السُّجـ ـد والمحسنُ فالجودُ

---

(١) أبو حفص عمر بن الفارض. ديوانه. دار الفكر. عمان- الأردن ١٩٨٥ ص٦١.
(٢) الأكناد: جمع كند، وهو الشرس الشديد، واللفظة فارسية. والمَطا: الظهر. (شرح ديوان ابن الفارض).
(٣) الديوان ١/ ٩١.
(٤) الديوان ١/ ١٥٦.
(٥) ابن رزيق- الصحيفة القحطانية ٢/ ٣٩١.
(٦) الديوان ١/ ٢٧١.
(٧) الديوان (المخطوط) ٢٠١.

فقال: «فمن سان: لعلها فمن شان:

فمن شان الفقير الشحـ ذ والمحسن فالجودُ

لا كما ورد محرفاً بفعل النساخ، وعليه يستقيم الوزن والمعنى». اهـ

ولو عاد إلى تلك النسخة، لوجده كما صححه(١)، ولأراح نفسه من الاجتهاد.

وكذلك البيت التالي:(٢)

٨- لم يدْرِ أن الموتَ يَحْـ دُوه حدا رعدِ السحاب

علق عليه (يجدو جدي) لعلها (يحدو حدا) فيصبح البيت:

لم يدر أن الموت يحـ دُوه حدا رعْدِ السحاب» هـ

فلم يرجع إلى النسخة الثانية ليصححه، فهذا التصحيح الذي جاء به موجود فيها،(٣)

وكذلك البيت التالي:(٤)

٥- كلم نداراه في الحالِ مخترمٌ وما ارعويت وما أورعت بالنُّذُر

ولا يخفى على القارىء ما في البيت من غموض، وقد علق عليه: «في الأصل (كل ما نداره في الحال محترم) وهذا بفعل النساخ ولعل الصواب ما أثبت» اهـ

فلم يعد إلى النسخة الثانية ليصوب البيت وصوابه منها كالتالي:(٥)

كُلٌّ بانذارِهِ في الحالِ محتَرَمٌ وما أرعَوَيْتُ ولا أُوزِعْتُ بالنُّذُرِ

وفي مثل هذا البيت، تظهر قدرة المحقق على تمرسه في قراءة المخطوطات.

وكذلك في صفحتي ٣٤٤، ٣٤٥ من الجزء الأول، لم يقابل المحقق القصيدة في تينك الصفحتين مع النسخة الثانية، فجاء التصحيف والتحريف في الأبيات التالية ١، ٦، ٧، ١٣، ١٦، ١٩، ٢١، ٢٣.

٣- وردت أبيات كثيرة في الديوان مختلة الأوزان، فبعضها جاءت في الأصل صحيحة، فجاء المحقق ليصلحها فأفسدها، من ذلك قول الشاعر:(٦)

(١) نفسه ٢٠٦.
(٢) الديوان ١/ ٢٨١.
(٣) الديوان (المخطوط) ١٩٦.
(٤) الديوان ١/ ٣٣٥.
(٥) الديوان (المخطوط) ١٩٥.
(٦) الديوان ١/ ١٠٩.

١٢- وما المشعر الأعلى بوادي محصب   وقد جَرَعَتْ من وادي مَحْسَرَ الجرعاتُ

وقد علق المحقق عليه بقوله: «زيدت كلمة وادي ليستقيم الوزن»اهـ

والحقيقة أنَّ الوزن يختل بزيادة (وادي)، وقد جاء في الأصل دون زيادة وبه يستقيم الوزن. ومنها البيت التالي:(١)

١٩- أستغفرُ اللَّهَ مِنْ أكلي الحرامَ ومِنْ   شربهِ أو لبسهِ حليا ومن حُلَل

فالعجز مختل الوزن، وفي الأصل (شربيه)، فغيرها المحقق دونَ أن يشير في الهامش إليها، وبالتغيير اختل الوزن.

وبعض الأبيات جاءت مختلة الوزن، فأراد أن يصلحها فلم يفلح. ومنها قول الشاعر:(٢)

٢٨- وعمت ضجيعيه أبا بكر والرضى   إذا عُمَراً ومن لهم فهو تابعُ

علق عليه بقوله: «لا أرى هذه الكلمة «ضجيعيه» بل أقترح أن تكون صحيبيه أي صاحبيه ويكون الشطر هكذا:

وعمت صحيبيه أبا بكر بالرضى   وذا عمر ومن له فهو تابع

ولا يخفى ما في البيت من الخلل بعد إصلاح المحقق، والصواب:

وعمت أبا بكر ضجيعيك والرضى   إذاً عُمَراً ومن لهم فهو تابعُ

لأن الشاعر قد كرر هذا الشطر في ص٢٥٧، كعادته في تكرار الألفاظ والمعاني، كما سنرى في هذا الفصل في دراستنا للمدحة النبوية، وفي الفصل الثالث.

ومنها قول الشاعر:(٣)

٢- فإنّي كصادٍ ويمتحُ دلواً   من الماءِ رَثَّ الرِّشا والعناجِ

٣- ومثل مختبط الليل لم يد   ر ماذا على خبطه ما يفاجي

علق على البيت رقم (٣) بقوله «ومثل لعل الصواب (ومثلي كمختبط) لاستقامة الوزن لا كما جاء بفعل تصحيف النساخ» اهـ.

فالبيت يحتمل أن يكون محرّفاً وليس مصحفاً، وكما علق عليه يكون مختل الوزن. إذ

---

(١) الديوان ١/ ٩١.
(٢) الديوان ١/ ٢١٦.
(٣) الديوان ١/ ٣٠١.

يكون:

ومثلي كمختبط الليل لم يد ر ماذا على خبطه ما يفاجي

فيكون وزنه:

فعولن مفاعلتن فاعلاتن فعولن فعولن فعولن فعولن

فالصدر فيه، تفعيلته تختلف عن تفعيلة العجز، والقصيدة من بحر المتقارب.

وبعض الأبيات جاءت مختلة الوزن وتركها كما هي، فلم يقمها ولم يشر إليها. كالبيت التالي:(١)

١٥- مواقِفُ يَرْضى اللهُ فيها وقوفَنا فَهَلْ مثلها تلْقاه إذا وَقَفَاتُ

ففي العجز اختلال، ولو حذفت الهاء من (تلقاه) لا ستقام الوزن، ولكن، لم يحذفها المحقق؛ لأنها جاءت في الأصل.

وبعض الأبيات لم يحسن توزيعها على أشطرها، فإذا وزنت البيت وجدت شطراً أطول من التالي. كالبيت التالي:(٢)

١٢- وإن جدى السعد عندك سابِقاً فما ضامني في الموقفين مضيم

فالملاحظ أن الشطر الأول أطول من الثاني والصواب بأن يكون البيت هكذا:

وإنّ جِدِيّ السَّعْدِ عِنْدَكَ سابِقٌ فَما ضامَني في الموقفين مُضيمُ

والبيت التالي:(٣)

٣٩- علت تتقاضا في الوخيد وإنه إلى نحو خَيْرِ العالمينَ وخيدُها

٤٠- ترض الحصا شوقاً لمن سبح الحصا له سباع الحي حيته سِدُها

فالصدر أطول من العجز. والصواب في البيت أن يقال:

تَرُضُّ الحصا شوقاً لمنْ سَبَّحَ الحصا لهُ وسِباعُ الحيِّ حيَّتْه سِيدُها

فمعرفة خلل الأبيات واستقامتها، مرجعها أولاً إلى الحس الموسيقي للشخص، ثم إلى قوته وضعفه في أوزان الشعر والعروض.

---

(١) الديوان ١/ ١١٠.
(٢) الديوان ١/ ٩٥.
(٣) الديوان / ٢٥٥.

٤- الألفاظ المفسرة في الغالب لا تتفق ومعاني الأبيات: رجع المحقق في تفسير معاني المفردات في الغالب إلى المعجم الوسيط؛ وبما أنّ المعجم الوسيط وضع للطلاب ولم يوضع للباحثين، فكثير من ألفاظ العربية لم تحشد فيه؛ لأنه مختصر ولم يتسع لها؛ فلذلك، لم يجد المحقق فيه أكثر المعاني التي طلبها، فاضطر أن يدون ما وجده، وإن لم تتفق تلك المعاني مع ما ينشده الشاعر من معان لأبياته، فمثلاً البيت التالي:(١)

١٥- ففي جَمْعِ المهاوشِ صارَ هَمِّي   وذلكَ للنَّهابِرِ مَنْجنيقُ

علق عليه المحقق «المهاوش: الهواش: الجماعة يختلط بعضها ببعض

والنهابر: مفردها نهبرة؛ وهي ما ارتفع من الأرض». اهـ

فهذا التفسير لا يتفق مع معنى البيت، والصحيح أن يفسر الكلمتين بالتالي: المهاوش: ما غُصِبَ وسُرِق من المال(٢)، والنهابر: جهنم- أعاذنا الله منها-(٣) وهذا المعنى هو الذي يريده الشاعر ويؤكده إذ قال في موضع آخر(٤):

فإنْ لمْ تكُنْ لي عاصِماً من مهاوش   فمن ليَ عنْ لفْح النَّهابِرِ عاصِمُ

أي إن لم تعصمني من كسب المال الحرام، فلا عاصمَ لي من لَفح النيران.

وكذلك البيت التالي:(٥)

٤٢- تعاطَتْ أياديها قريشٌ لقتْلِهِ   وضَمَّهُمْ بيتٌ لمستوره يعبو

ولفظة (لمستوره) في الأصل (لمشورة) ولكنها صحفت، وعلق على البيت بقوله: «يعبو: يتهيأ من التعبئة العسكرية». واللفظة التي «من التعبئة العسكرية» فعلُها: عَبّأَ يَعْبأ(٦) أما (يعبو) التي في البيت مِنْ: عَبَا: يعبو: بمعنى أضاء وجهه(٧)، وهو الذي يناسب المعنى.

وعلق على البيت التالي:(٨)

٧- يُراقِبُ في الرّحمنِ غَيباً ومَشْهَداً   وتلقاه عما يُسْخِطُ اللّهَ ناكِزا

---

(١) الديوان ١/ ٣٦٤.
(٢) الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٧٩م، ٤/ ٥٤٥.
(٣) نفسه ٤/ ٤٤٨.
(٤) الديوان ١/ ٣٦٨.
(٥) الديوان ١/ ٢٠٣.
(٦) الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، ٣/ ١٣٤.
(٧) نفسه ٣/ ١٤٤.
(٨) الديوان ١/ ٣٣٨.

علق «نكز الدابة، نخسها بشيء مدبب الطرف يستحثها، ويقال:

فلان بمنكزة من العيش أي (ضيق)، والنكز الرذل من المال والناس» اهـ.

والأصوب أن يقول: نكز فلان: ضرب ودفع ونكص (١)، ونَكَص عن الأمر نكُوصاً ونَكْصاً؛ تكأكأ عنه وأحجم(٢)، فيكون المعنى: تلقى المؤمن محجماً عما يسخط الله.

وكذلك البيت التالي:(٣)

١٧- ولو تواردها الظئبار نوح في   أرجائها وتبقى حيران زهليقا

علق عليه: «ظأت المرأة والناقة على ولد غيرها، عطفت عليه، والظئر المرأة المرضعة لغير ولده» هـ. وهذه المعاني لا تتناسب مع ما يريده الشاعر من معنى، فالشاعر يصور المشقة التي يواجهها في طريقه إلى مكة المكرمة، فيصف المياه الآجنة التي يمر بها، ويريد أن يشرب منها لشدة الظمأ الذي يواجهه في الطريق.

فلفظة (الظئبار) ليست (الظئبار)، وإنما هي مصحفة عن (الطيثار)، والطَّيْثار: من أسماء الأسد(٤). فصواب البيت:

ولو تواردَها الطَّيْثارُ نوَّحَ في   أرْجَائها وبقيَ حَيْرانَ زِهْلِيقا

أي أن المياه الآجنة التي أشرَب منها أنا، لو وردها الأسد لصرخ بأعلى صوته وحار، وبهذا يستقيم المعنى وعجز البيت المختل.

٥- لم يُطَبِّق الُمحقِّق المنهج العلمي للتحقيق من حيث تصحيح الأخطاء والزيادة والحذف والتغيير والتبديل، والتعليق،

فمثلاً البيت التالي:(٥)

أحب في الله فعل الصالحين ولم   أزَلْ عليه وعَنْهُمْ قَدْ هَفَا قَدَري

أضاف المحقق من عنده (أزل) ولم يشر إلى هذه الزيادة في الهامش، ولو رجع إلى النسخة الثانية لوجدها (ولم أقدر) وهو المعنى الذي أراده الشاعر.

وفي ص٣٣٠ من الجزء الأول في أعجاز الأبيات من ٢٧-٣١ سَقْطٌ لبعض الكلمات، وقد

(١) الطاهر احمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، ٤/ ٤٣٧.

(٢) نفسه ٤/ ٤٣٨.

(٣) الديوان ١/ ١٦٦.

(٤) أبو الحسن ابن سيده. المخصص، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م، ٨/ ٦٠.

(٥) الديوان (المخطوط).

أضاف المحقق لفظة أو لفظتين مكان البياض، ولم يجعل الزيادة بين حاصرتين، بل أثبت الأعجاز في الهامش كاملة، كأن يقول: «سقط في عجز البيت «منه الحبائل في هاوٍ من الحفر» وهذا الأسلوب يضلل القارئ، والباحث، فيظن أن العجز ساقط بأكمله وأن المحقق قد أتمه، بينما أضاف المحقق كلمة في كل عجز من أعجاز الأبيات ٢٨، ٢٩، ٣٠، وهي على التوالي (يانع، هاوٍ، الخنس)، وكلمتين في البيتين ٢٧، ٣١.

«والأولى في حالة الزيادة أن تميز بوضعها بين جزئي العلامة الطباعية الحديثة [ ]، أو أن ينبه في الحواشي على أنها مما أخل به الكتاب»(١).

والشيء نفسه فعل المحقق في الصفحة المقابلة، وفي ص٣٥٢، كذلك سَقَطٌ في البيتين ٢٦، ٢٧.

أما من حيث التغيير والتبديل فنمثل له بالبيت التالي:(٢)

قَصَدْتُكَ مُسْتَجيراً إليكَ لاجَ وجئتُكَ والرّجا بالخوفِ هازِ

فالصدر مختل الوزن، وفي الأصل «قصدتك مستجيراً بك لاج...»

فغير المحقق (بك) إلى (إليك) فاختل الوزن، ولم يشر في الهامش إلى التغيير.

وفي مثل هذا التغيير والتبديل، يشدد شيوخ التحقيق، فيقول عبد السلام هارون:(٣) «لا ريب أنّ إحداثهما في النسخة العالية يخرج بالمحقق عن سبيل الأمانة العلمية، ولا سيما التغيير الذي ليس وراءه إلا تحسين الأسلوب، أو تنميق العبارة، أو رفع مستواها في نظر المحقق، فهذه تُعد جناية علمية صارخة إذا قرنها صاحبها بعدم التنبيه على الأصل، وهو أيضاً انحراف جائر عما ينبغي، إذا قرن ذلك بالتنبيه». ففي البيتين السابقين- كما يرى عبد السلام هارون- جناية علمية صارخة.

وكذلك البيت التالي:(٤)

١٧- أراكَ دينُكَ تَرْضى أنْ يكونَ به قَذَرٌ وثوبُك مغْسولُ من القَذَرِ

علق المحقق على هذا البيت بقوله: («أراك دينك ترضى أن يكون به» لا كما جاء مصحفا).

(١) عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ط٢ مؤسسة الحلبي، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٥م. ص٧٢.
(٢) الديوان ١/ ١٣١.
(٣) عبد السلام هارون، تحقيق النصوص، ص٧٣.
(٤) الديوان ١/ ٣٣٠.

والحقيقة أنّ البيت غير مصحف، والذي صنعه المحقق تحريفٌ عن أصل البيت، فقد جاء في الأصل: (أراك دينك ترضى طرتية بها) فحرفه المحقق دون أن يشير إلى الألفاظ التي حرفها، كأن يجعلها بين حاصرتين، ودون أن يشير إلى ما جاء في الأصل، لعل القارئ يرى فيه وجها أصوب من الوجه الذي ارتآه المحقق، ويسمي عبد السلام هارون هذا العمل «انحراف جائر عما ينبغي»

ولم يوثق تعليقاته في شرح المفردات ولا عندما يورد بعض الأبيات ليقارنها بأبيات ابن اللواح، وذلك كقوله(١): «يرتبط هذا البيت وما بعده من ناحية المعنى بقول الشاعر:

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُهُ فلَمْ يبقَ إلاّ صُورةُ اللّحم والدم

فلم يوثق، لمن البيت؟ ومن أين أخذه، فالأمانة العلمية تقتضي التوثيق والإشارة، يقول عبد السلام هارون:(٢) «وقد أصبح النهج العلمي الحديث يقتضي المحقق أن يشير عند اقتباس نصوص في التعليق إلى الموارد التي استقى منها؛ وذلك بأن يذكر الكتاب ومؤلفه والجزء والصفحة التي وجد فيها النص».

وبعد هذه الملحوظات، فإن الباحث لا يرى أن يطلق على هذا الديوان لفظة «تحقيق» وإنما أقرب ما يقال عنه «إخراج» فهي أدق من الناحية العلمية، فالكتاب المحقق ينبغي(٣) «أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه» وقد لاحظنا التحريفات والتصحيفات في الكتاب؛ التي منها ما يتعلق بتمرس المحقق في قراءة المخطوطات، كالتصحيف الذي حصل في البيت (كل بإنذاره في الحال محتزم) والتحريف الذي كان في (مطا دَرّج قد كان منه يريدها) وفي (وتسلبنا من حيّ شنوة غيدها). «فإن القراءة الخاطئة لا تنتج إلا خطأ»(٤).

ومنها ما يتعلق بالإلمام بالموضوع الذي يعالجه الكتاب. بحيث(٥) «لا يمكن المحقق أن يفهم النص فهماً سليماً يجنبه الوقوع في الخطأ حين يظن الصواب خطأ، فيحاول إصلاحه أي يحاول إفساد الصواب» كما حدث في الصدر (أراك دينك ترضى طرتيه بها» فقد حرف إلى أراك دينك ترضى أن يكون بها) وفي العجز (وقد جرّعت من محسر الجرعات) أضيف عليها لفظة (وادي) فاختل وزن البيت، إلى غير ذلك من الأمثلة التي مثلنا، بها كتفسير المفردات

---

(١) الديوان ١/ ٤٠٥.
(٢) عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ص٧٦.
(٣) نفسه ٣٩.
(٤) نفسه ٤٨.
(٥) نفسه ٥٥.

وغيرها.

فيلزم المحقق أن يكون واعياً مادة الكتاب التي يحقّقها؛ حتى لا يخل بتلك المادة فيقع في تلك الأخطاء التي أشرنا إليها.

ومما هو جدير بالذكر، أني لا أعول في دراستي على المطبوع تعويلاً تاماً، وذلك لكثرة الأخطاء الموجودة فيه التي تفسد المعنى، بل أحاول إصلاح ما أمكنني إصلاحه من تلك الأبيات التي أصابها التحريف والتصحيف، والتي أستشهد بها في دراستي.

اتجاهات الشعر عند ابن اللواح

نجد في شعر ابن اللواح فنوناً شعرية شاعت منذ العصر الجاهلي مثل الرثاء، والفخر والغزل والوصف، والهجاء.

ويلاحظ بروز الشعر الإخواني في شعره، وهو مظهر اجتماعي، وناجم عن علاقاته السياسية والاجتماعية، ومما يبرز في شعره بجلاء الاتجاه الديني، وهو فيه جدة إذ لم يكن موجوداً في صدر الإسلام، وبرزت في شعره المواعظ والحكم والنصائح.

ويُعنى الشاعر بالحديث عن المذهب الإباضي، شأنه في ذلك شأن الشعراء في عصره، من مثل الشاعر الشيخ محمد بن مداد بن محمد الناعبي الذي تحدثنا عنه في التمهيد- كما يعنى بالبيئة التي عاش في جنباتها.

أولاً: الاتجاه التقليدي

١- الرثاء:

عُرف الرثاء منذ أن سُقي الإنسان كأس المنايا، فوقف ملتاعاً ومشدوهاً لرحيل عزيز، وعبر في شعره عن حزنه وأساه بمراث نفث فيها حرقة صدره ولوعة قلبه.

والرثاء «أكثر ما تكلم فيه الناس، لأنه لم يعْرَ أحدٌ من مصيبة بحميم، ذلك قضاء الله في خلقه، فكل تكلم: إما متعزياً، وإما معزياً وإما متصبراً محتسباً»(١). «وأصل العزاء الصبر، ثم اقتصر استعماله في الصبر على كارثة الموت، وأن يرضى من فقد عزيزاً بما فاجأه به القدر»(٢). «والعزاء قريب من الرثاء، وإن كان مذهبه تهوين المصاب وبث السلوى والتأسي بالسلف الهالك»(٣).

وأبو حمزة ممن رثى وتلوع، وتألم وتفجع، فرثى المرأة أمّاً وزوجة وعزى أصدقاءه فيها من حيث كونها أمّاً وزوجة وبنتاً لهم، ورثى الرجل ابناً وقريباً وعزيزاً، كما رثى بعضاً من أجزاء جسمه، وبالرغم من قول ابن رشيق: إن «أصعب الشعر الرثاء، لأنه لا يعمل رغبة ولا رهبة»(٤). إلا أننا وجدنا أبا حمزة قد أكثر في ديوانه المراثي، فقلما يوجد عَلَمٌ بارز في عصره أو صديق له، إلا وقد عزاه في عزيز له أو رثاه بقصيدة أو أكثر، وهو القائل(٥):

لقد أكْثَرْتُ في التُّرْب المراثي   فمن لي إن لحقْتُ التُّرْبَ راثي

وبالرغم من رواية ابن قتيبة التي توحي أنّ المدائح أكثر جودة من المراثي في الأصحاب إذ قال: «قال أحمد بن يوسف الكاتب لأبي يعقوب الخزيمي: مدائحك لمحمد بن منصور بن زياد، -يعني كاتب البرامكة- أشعر من مراثيك فيه وأجود، فقال: كنا يومئذ نعمل على الرجاء، ونحن اليوم نعمل على الوفاء، وبينهما بون بعيد»(٦).

وبالرغم مما توحيه هذه العبارة -وهي لناقدٍ قديم- فإنّنا لا نجدها تنطبق على مراثي أبي حمزة، فقد أبدع في مراثيه الخاصة والعامة -على حسب تقسيمنا لها- لا سيما مراثي العلماء،

(١) محمد بن يزيد المبرد، التعازي والمراثي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق سوريا، ١٩٧٦م، تحقيق محمد الديباجي ص٤.

(٢) مجموعة من الأدباء، الرثاء: سلسلة فنون الأدب، إصدار دار المعارف بمصر، ص٨٦.

(٣) أحمد الشايب، الأسلوب، ط٨ مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٩٠م، ص٨٧.

(٤) الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م، ١/ ٢٥١.

(٥) الديوان ٢/ ٢٩٥.

(٦) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ط٢ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م، ص٣٠.

فأظهر فيها تفجعه وتوجعه، وتألمه وتحسره، وبدت العاطفة عنده متقدة صادقة، كما سنتبين ذلك.

وقد قسمت الحديث عن الرثاء عند شاعرنا إلى قسمين: خاص وعام.

الرثاء الخاص: ويقصد بالرثاء الخاص؛ رثاء أقرب الناس إلى الشاعر، وهم أفراد أسرته من الآباء والأبناء والإخوان والزوجات والأهل والأقارب، فقد رثى أبو حمزة أمه بقصيدتين، احداهن على لسان ولده حمزة، والأخرى على لسان بعض الأصدقاء، وكأني به يتمثل بقول أبي ذؤيب(١).

وتَجَلُّدِي للشامتِينَ أُرِيهِمُ   أنّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعْضَعُ

وقد طفح حزنه وفاض صبره عن كتمان حرارة الفقد والفجيعة التي حلّت به في أمه.

ولا غرو أن يرثي ابن اللواح أمه، فقد سبقه من رثى أمه من الشعراء القدامى، كابن الرومي الذي رثى أمه بقصيدةٍ طويلةٍ تقع في مائتين وأربعة أبيات، والصنوبري وأبي فراس الحمداني، وكُشاجم الرّملي والشريف الرضي، وأبي العلاء المعري(٢).

وفي ندبه لأمه يتقد بالأسى واللوعة والوجد، في قوله(٣):

أذوب أسى ولوعاتٍ ووجدا   وأعلن بالزفير ثنى وفردا
وألطمُ باليدينِ الآنَ خداً   إذا ما سختُ صوتَ النائحات

ولا غرو إذا لطم خده من فقد والدته، فهي التي تعهدته بالرعاية، وكلأته بالعناية إلى أن ترعرع ورفع ريشه الجناح، وبتربيتها وافق النجاح، وكان أمله أن يقاضيها ويجزيها جزاء المحسنين إلا أن المنية اخترمتها بحلول القضاء عليها، وها هو ذا يخاطبها ويذكر لها ما آل إليه حاله بقوله(٤):

وهل تَدرينَ يا أُمّي بحالي   وَوَلْوالي عليكِ وما مَآلي
فقد خُلِّفْتُ بعدك في وبال   وفي همٍّ ووسواسٍ خِفاتِ

ويتمنى أن تكون المنية قد وافته، وسيق إلى المقابر قبلها(٥):

---

(١) ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م، ج١/٢.
(٢) د. محمد إبراهيم حور، رثاء الأمّ في الشعر العربي، مكتبة المكتبة ١٩٨١م، ابو ظبي، العين، الإمارات العربية المتحدة، ص٩.
(٣) الديوان ٢/١٠٩.
(٤) نفسه ٢/ ١١٠. (٥) نفسه ٢/ ١١٠.

وَوُدِّي كـان قـبلك قـدْرَ سـاعِ ... يكون بي الردى للقـبـر سـاعِ
فـضـيقُ القـبـرِ قـبلَك في اتّسَاعِ ... ولا هذا الحنينُ مـدى الحـيـاةِ

ويصف أمه بأنها عفيفة الذيل طاهرة الإزار مقدسة كريمة في قومها، وهي شفيقة عليه وعلى أولاده وأصدقائه، تقيّة عابدة قانتة(١):

عـفـيفُ الذيلِ طاهرةُ الأزارِ ... مـقـدسـةٌ فـمـا ذُكـرتْ بعـارِ
كـريمةُ قـومِهـا زاكي النّجـارِ ... من الرودِ المخـابيب الثـقـاةِ
هي الأمّ الشـقـيـقـةُ بالشـفـيقِ ... وبي كـانتْ ونسلي والصـديقِ
وَثيـقـاً بالتـقى أمّي الوثيق ... إمـام العـابداتِ القـانتـاتِ

ويدعو لقبرها أن يسقيه المزن، ويسقي كذلك جيرانها(٢):

ولا بَرِحَ السـحـابُ عليك باكِ ... سـقى الجـيـرانَ لمّا أنْ سـقـاكِ
سـمـاءٌ من سـمـا نجمِ السِّمـاكِ ... مُطِلاً بالعـشيِّ وبالغـداةِ

أما القصيدة الثانية التي رثى بها أمه و(قبيل) ابن أخيه، فيبدؤها بمخاطبة عينيه كي يريقا الدموع على الفجيعة التي حلت به في أمه، وفي ابن أخيه، ويخاطب نفسه كذلك أن تذوب بالحسرات وكبده بالاتقاد، فيقول(٣):

أُريـقـي الـدّمْعَ يـا مُقـلـي أريـقـي ... على أمّي وابن أخي الشـقـيـقِ
ويـا حـسـراتُ نفـسـي لا تأتيّ ... ردافـاً بالزَّفـيـر وبالشـهـيقِ
ويـا كـبِدي بنـارِ الحُزْنِ ذوبي ... ويـا روحـي لشـوقِهـم فَسُوقِ

وإن الحزن قد شجاه في حلقه حتى ليكاد يشرق بريقه، وقد اغرورقت عيناه بالدموع حتى لا يكاد يرى الطريق، كما يقول(٤):

شـجـاني الحـزنُ في الحُلقُومِ حـتـى ... لكِدْتُ أغصُّ من شـجـو بريقي
وقـد سـدّ الطريقَ عليَّ دمـعي ... أسى حـتى عَمـيتُ عن الطريقِ

---

(١) المصدر نفسه ٢/١٠٩.
(٢) المصدر نفسه ٢/١١٠.
(٣) الديوان ٢/٢٠٣.
(٤) نفسه ٢/٢٠٣.

وفي ذكره لـ (قبيل) ابن أخيه، يقول:(١)

ألامُ إذا بكيتُ على قبيل فإني بالبكاء لَبِا لخليق
نَشا مَنْشا السحابة وقْتَ مَحْلٍ وغابَتْ غير واكفة عُروقي
كأن مُقامه أبداً لدينا مُقامَ الطيفِ بالليلِ الطُّروقِ

ويدعو لقبر قبيل وقبر أمه أن تسقيهما السحب، وتتعاقب عليهما السواري والغوادي:(٢)

سقى الرحمنُ قبرك يا قبيلٌ وقبرَ الأمِّ بالبلدِ السّحيقِ
من السُّحْبِ السّواري والغَوادي مُعاقبةُ الرّواعِدِ والبُرُوقِ

أمّا بالنسبة إلى الزوجة، فقد رثى الشعراء زوجاتهم، وقد يكون جرير رائدَهم في هذا الباب حين رثى زوجته بقصيدته الرائية(٣).

ولا غرو إذن إن رثى أبو حمزة زوجته، وأظهر توجعه وتفجعه على فقدها كما يظهر ذلك في مطلع قصيدته التي رثاها بها، إذ قال:(٤)

فؤادٌ بنيرانِ المصابُ مُفأّد وعينٌ سماها مسبرقُ المُزْن مُرْعِدُ
وجسمٌ براهُ الحُزْنُ كالبَرْيِ بالمُدى فصارَ كمثل السلك في الخَرْتِ يُسْرَدُ(٥)

فإن ذلك المصاب الجسيم والوقع الأليم، قد قدَّ ضلوعه من الأنين، فأناته يزفر بها زفرات تكاد تخرج روحه من الخياشيم:(٦)

وأنّةُ قدْ قدّت ضلوعي وزَفْرةٌ تكادُ بِرُوحي للخياشيم تَصْعَدُ

وعهده بنفسه أنه رجل جلد صبور على حوادث الدهر وفجائعه، إلا أن هذه الفجيعة أوهنت قواه وصار التجلد من أعدائه، ولئن كان للناس أسياد يقتدون بهم، فإن المُلَوّحيّ لسيد أهل الفقد والحزن، فسروره البكاء والتوجد، ومن العجيب أن يُرى مُتَبَسّماً، وكأن الليالي والأيام لها ثأر عليه فأدركت ثأرها منه بأن أخذتْ عزيزاً عليه.(٧)

(١) المصدر نفسه ٢/ ٢٠٤.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٠٤.
(٣) د. محمد إبراهيم حور، رثاء الأم، ص٨.
(٤) الديوان ٢/ ١٤٣.
(٥) الخَرت: بضم الخاء وفتحها: الثقب في الأذن وغيرها (المحيط. خرت).
(٦) الديوان ٢/ ١٤٣.
(٧) المصدر السابق ٢/ ١٤٣.

كـأنَّ الليـالي طالبـتني بثـأرِها　　وقـد أدركـتْهُ حـيثُ منّي يوجَدُ
وإنْ دامَ هذا الحـزنُ عندي قليلَهُ　　فُقِدْتُ مع المفقـودِ من حـيثُ يُفْقَدُ

ثم يأتي إلى وصف شمائلها وأخلاقها، فيفصّل في عراقة نسبها، ورجاحة عقلها، وفضل محتدها، وطهارة عرقها، وعفة إزارها، فيقول:(١)

ألا بَكَّرَ الناعي بكاملةِ الحـجى　　وطاهرة الأعـراق والعِرضِ أمْجـدُ
كـريمةِ قـومٍ مـا بهـا عضُّ هُجْنَةٍ　　يُقَدِّسُهـا صيتُ وَمَجْد ومَحْتِدُ
حصاناً كسا أخلاقها رونقُ الحيا　　ومـا هي إلا في الملمّات جَلْمَدُ
خديراً تمنّى النّجْمُ إسقـاط لفظِها　　ويسـقُطُ إجـلالاً لهـا ويُمـجّدُ

ثم ينتقل إلى وصف كرمها مع جيرانها بأنها تبيت خمصانة البطن من الجوع وجاراتها يتقلبن في عيشها الرغد:(٢)

تبيتُ خميص البطن غرثى من الطوى　　وجاراتها في عيشها الرّغد رُغّدُ(٣)

فتلك حالتها مع جيرانها، أما مع الضيوف الذين يطرقون بيتهم ليلا، فهي التي توقد النار لإطعامهم، وتظل تطوف على القدور رفعاً وخفضاً، وتملي لضيفانها جفانا كالجوابي، وتثرد لهم الثريد، كما يقول:(٤)

إذا حلّت الأضيافُ بالليل ساحتي　　ونـام عـلـى لـينِ الـفراشِ المـزنّدُ
تطوفُ على خَفْضِ القُدُورِ ورفْعِها　　وجـاراتُهـا فـوقَ المطارحِ هُجَّدُ
وتملي جِفاناً كالجوابي لضيفها　　ثريداً وذو الإحسـانِ للضـيف يَثْرِدُ

فتلك صفاتها لأضيافها، أما عن تدينها فيقول:(٥)

وكانت على الدين الحنيفيِّ حافظا　　على أنها فيه تنصُّ وتُسْنِدُ

وهي أيضاً:

عـقـيمٌ عن الفَحـشا ولُودٌ مِنَ الثنا　　سبوقٌ إلى الحسنى لها الفضلُ واليدُ
بقـيـةُ نِسـوانٍ مَضَتْ لسـبيلِها　　فـلا دهرُها يُرجى ولا هي توجـد

(١) نفسه ٢/ ١٤٤.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٤٤.
(٣) غَرْثى: غرثى الوشاح: دقيقة الخصر، والتغريث التجويع (المحيط. غرث).
(٤) الديوان ٢/ ١٤٤.
(٥) الديوان ٢/ ١٤٤.

وتلك الزوجة، فهي بالنسبة له:(١)

هي الزوجةُ المعوانُ في السُّخْطِ والرِّضى   وفي الدين والدُّنيا وجَدُّك مُسعدُ

ويظهر صدق تجربته وشعوره الذاتي تجاه فقده لها في أبياته التالية:(٢)

لبستُ قشيبَ الدهر منذُ لبستُها   فلا الماء مُغْبَرّاً وَ لا العيشُ أنكدُ
زماني بها غضٌ وعودي بها ند   وحِلمي بها كَهْلٌ وخديَ أمْرَدُ

وتبلغ العاطفة ذروتها وصدقها في تمثل صغاره وخطابهم له وتوجدهم على أمهم في قوله:(٣)

وإن نَظَرتْ عيني غريباً وحمزة   وإخوتُهم حولي وهم يتوجدوا
يقولون لي قُلْ مَنْ لنا بَعْدَ أمِّنَا   وَمَن غيرها نأوي إليها ونقصدُ
أجُودُ بنفسي في هواهم كآبَةً   وهم بالنفوس للكآبة أجودُ
أقولُ لهم إن الحياةَ شهيّةٌ   ولكن على مَرِّ الجديدين تَنْفَدُ

ويظهر صدق وجده وحزنه وألمه وتفجعه وتحسره على فقد زوجته في مطلع قصيدته التي أجاب بها صديقه علياً بن بركات الشريف، عندما عزاه في زوجته، يقول ابن اللواح:(٤)

هيَجْتَ مابي وقد كَشَفْتَ مكنوني   وذِعْتَ سِرِّي ومـا ضَمَّنْتَ مظنوني
وزدتني فَوْق وضحِ الجُرح هاشمةً   وواجبٌ منك بالاسعافِ تنسوني

وإن هذا البيت لأروع مطلع يكاشف به المحزون صديقه المعزي، فقد هُيِّج المكنون، وكُشِفَ المستور، وأذيع السر، فماذا بقي من صدق الشعور واتقاد حرارة الحزن لم يبثه الشاعر إلا أن يقول: «وزدتني فوق وضح الجرح هاشمة».

وقد مزج في قصيدته هذه الرثاء بالحكمة، فقال:(٥)

نَسيرُ في هذه الدُّنيا على خطرٍ   سيرَ السفينةِ في لُجٍ من الهُونِ
أقلُّ شيءٍ فيؤذينا ويفرحُنا   نَزْرٌ مَنَ المالِ أو دُونٌ مِنَ الدُّونِ
لم نَدْرِ باقيةٌ منا وعاقبةٌ   فيها كَأنّا براذينُ البَراذينِ

---

(١) نفسه ٢/ ١٤٤.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٤٥.
(٣) المصدر السابق ٢/ ١٤٥.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٢٧٦.
(٥) الديوان ٢/ ٢٧٧.

ومما يستظرف عند أبي حمزة أنّنا نجده يرثي جزءاً من جسمه، فقد رثى أضراسه عندما تساقطت، فهن كنّ جنوده التي يطحن بها القساة، ويذل بها الطغاة، ويطيع بها العاصي، كما يقول:(١)

كُنَّ الجنودَ التي ذَلَّ العزيزُ بها ... وكي أطاعَ بها المستصعبُ العاتي
قد كان ثغري بهِ سِمْطانِ من دُرَرٍ ... سِلْكانِ عادا خليّاتٍ عَرِيّاتِ
لا سلوةٌ بعد أضراسي ولا فَرَحٌ ... ولا لذاذة عيشٍ أو إجاراتِ

وكان فصيحاً في حديثه، وعندما تساقطن، زالت الفصاحة من لسانه، وأصبح لثغاً في حديثه، فحروف الطاء والضاد والراء لا يستطيع أن ينطقهن بسهولة، وكذلك أحرف الحلق، فيقول:(٢)

مُذْ كُنَّ كُنْتُ فصيحاً غير ذي لثغ ... مُذْبِنَّ بانَتْ غرانيقُ الفصاحاتِ
فالطاءُ والضادُ والراءاتُ قد سُلِبَتْ ... مني فرُعياً لطاءاتي وراءاتي
وأحرفُ الحلقِ قد أعْطَيْتُها عِوضاً ... في طيِّ قافٍ وكافاتٍ وميماتِ
بعضي مضى وبقى بعضي فَوَا أسَفا ... بِمَنْ مضى ليتَ شِعْري بالبقيّاتِ

الرثاء العام: نقصد به رثاء الشخصيات البارزة في المجتمع التي لها دور متميز في حركته العلمية والفكرية والأدبية والسياسية.

١- رثاء العلماء: للعلماء والأدباء مكانة طيبة في المجتمع، فقد كانوا يتصلون بحياة الناس وبالأخص حياة الشعراء اتصالاً مباشراً، سواء فيما يتعلق بالناحية الدينية أم الجانب الثقافي والعلمي، فاحتلت مراثيهم جانباً كبيراً من الحياة الأدبية، وقلما مات عالم من العلماء أو أحد المفكرين إلا وللأدب حديث عن أفضاله وقيمته(٣).

رثى أبو حمزة كثيراً من علماء عصره وقضاته ومفكريه، من مثل الشيخ أحمد بن مداد الناعبي(٤)، والشيخ سليمان بن محمد بن سليمان النزوي، وأبي عبدالله محمد بن سعيد بن عبد

---

(١) المصدر نفسه ٢/١١٣.
(٢) نفسه ٢/١١٣.
(٣) الدكتور علي عبد الخالق علي، الشعر العُماني، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٨٤، ص١٤٤.
(٤) أحمد بن مداد بن عبدالله الناعبي، عالم، فقيه، عاش في القرن العاشر الهجري، في عهد الإمام محمد ابن اسماعيل وابنه بركات. (دليل أعلام عمان ص٢٩).

السلام النخلي، وأبي محمد عبدالله بن محمد بن سليمان(١)، وعلي بن أبي القاسم بن محمد بن سليمان الأزكوي(٢) وغيرهم من جلة العلماء والقضاة في عصره.

ونحن نتتبع المعاني التي طرقها في قصائده في رثاء العلماء، فيرى أبو حمزة أن موت ابن مداد نبأ عظيم وخطب جسيم، ليس مع قبيلة ناعب بل عند الثقلين الإنس والجن كما يقول(٣):

هذا هو النبأ الجليلُ الفردُ في الثـ ـقلين والغبراءِ والخضْراء
ما خُصَّ فيه ناعبٌ وقبيلُه من دونِ أدوا جملة الحمراء

فبموته ثلم الإسلام والمكارم والتقى وذهب العلم:(٤)

يا ثُلمةً وَقَعَتْ ولا جَبْرٌ لها كتجبّرِ الأعضاءِ بالأعضاءِ
مَنْ سَرَّهُ إن المكارمَ والتقى والعلمُ يذهب عن أذى الدنياء
فَلْيُنْعِمَنَّ فهكذا إذهابُه تحت الثرى من دولةٍ وثراءِ

فليس الشاعر هو الذي يبكيه، وإنما تبكيه العلا والمكرمات والكتب التي افتقدته:(٥)

أبكي عليك وقد بكَتْ قبلي العُلا والمكرُماتُ بِقلة وَطَفاءِ
والكُتْبُ باكيةٌ عليك لأنَّها رُزِئتْ لفقْدِك أعْظَمَ الإزْراءِ

وبكى عليه القلم الذي كان يحرر به المحامد:(٦)

وبكى اليراع عليك وهو أحق من يبكي عليك بخلوة وملاءِ
فلطالما أجريْتَه وحَررْتَه بِمحامِدِ الأفعال والأسماءِ

وبكت عليه أيضاً المحابر والمنابر والمدارس والمساجد، وكذلك وفود الضيفان التي تنتظر قراها منه:(٧)

وبكَتْ عليكَ محابرٌ ومنابرٌ فَقَدَتْ لِفَقْدِكَ مَنْطِقَ الخُطباءِ
وبكتْ عليكَ مساجدٌ ومحاشدٌ ومدارسُ ومغارِسُ النَّعْماءِ
وبَكَتْ عليك وفودُ حيٍّ عادَها من كفِّكَ الوَهّابِ فرضُ عطاءِ

---

(١) عبدالله بن محمد بن سليمان: شيخ، فقيه، جليل، عاش في القرن العاشر الهجري (نفسه ١١٥).
(٢) علي بن أبي القاسم بن محمد بن سليمان الأزكوي، من علماء القرن العاشر، (البطاشي «إتحاف الأعيان») ٢/ ٢٩٣.
(٣) الديوان ٢/ ٩٧. (٤) المصدر نفسه ٢/ ٩٧.
(٥) الديوان ٢/ ٩٨. (٦) نفسه ٢/ ٩٩.
(٧) نفسه ٢/ ٩٩.

وفي مزجه الحكمة بالرثاء، يقول عن الدنيا:(١)

تبًّا لذي الدنيا ومفتخر بها ... ويأمل منها منالَ مناءِ
فيها النعيمُ ببؤسِها متكدرُ ... ولقد تُعاقِبُ راحةٌ بشقاءِ
ما أوْهَبَتْ إلا وقد سَلَبَتْ وما ... إن أضحكَتْ إلا ثنتْ ببكاءِ

ومن الملاحظ أن العاطفة عنده تكون أكثر حرارة وأشد توهجًا وأعلى اتقاداً في رثائه للعلماء.

وفي رثائه للشيخ سليمان بن محمد بن سليمان النزوي، يصف كرمه، والجموع التي تفد إليه وقد ارتفعت أصواتهم وتمازجت بالبكاء، وإضافة إلى ذلك، يذكر ذكاءه المتقد الذي يرى به ما خبأته الأيام الماضية، وما تأتي به الأيام المقبلة من مكنونات، فيقول:(٢)

كأنّه من ذكاء العقْل في رفَقٍ ... أنوارُ موسى على سيناءَ تتقدُ
بيَومِهِ قد يرى ما الأمس فات به ... رُؤياهُ بالعقلِ ما يأتي إليه غَدُ

وفي رثائه الشيخ جمعة بن أحمد الأزكوي، يرى أن ذلك الرزء:(٣)

أبكى السماءَ وأبكى الأرضَ من حَزَنٍ ... وأعما العَينَ دونَ العلم والأثرا
به السما طُويَتْ والأرض قد كُفتَتْ ... والشمُّ قد نُسِفَتْ والبحرُ قد سُجِرا
وَهَدَّم الأرضَ من رأسٍ إلى قَدمٍ ... وعَمَّ لا خَصَّ قحطانا ولا مُضَرا

ويكرر بعض المعاني فيقول:(٤)

يا ثُلْمَةَ وقعت في الدين فاغرة ... وها هو الكسرُ في الاسلامِ ما جُبِرا
أمسى التقى والنهى والعلمُ قاطبةً ... والحمدُ والمجدُ والمعَروفُ رهنَ ثرى
ما خِلتُ بحراً وطوداً أن يَضمَّهما ... شبرٌ من الأرض أو باعٌ إذا شُبِرا

ويرثي فيه فتواه للناس إذا أشكلت المسائل على غيره، ويرثي فيه خضم علمه:(٥)

---

(١) نفسه ٢/ ١٠٠.
(٢) نفسه ٢/ ١٤١.
(٣) المصدر السابق ٢/ ١٥٥.
(٤) نفسه ٢/ ١٥٥.
(٥) نفسه ٢/ ١٥٥.

من ذا خلافك يفتي الناسَ إن عضُلت — مسائلُ أشكلتْ إسنادُها ذُخرا
من جمٌّ علمك لو كُنْتَ الخِضَمَّ لما الـ — ـكليمُ والخضرُ في لجاتِهِ عَبَرا

ويرثي فيه إحياءه سنة الرسول الكريم وقتله للبدع:(١)

أظْهَرْتَ في الملةِ البيضاءِ معجزةً — من دقّ علمك واستبطنْتَ ما ظَهَرا
أحْيَيْتَ سُنّةَ من أحيا الظلامَ وكم — سَيَّرتَ بالعلم بين العالم السِّيَرا

ومن المعاني التي تحملها مرثية ابن اللواح، دفاع العلماء عن عمان، إذ أنّ المذهب الإباضي هُو ركن من أركان الدولة العمانية، فلا شك أن يكون دفاعهم عن المذهب أساساً من أسس الدفاع عن عمان.

وفي رثاء أبي حمزة للشيخ أبي عبدالله محمد بن سعيد بن محمد بن عبد السلام النخلي يقول:(٢)

فعُمانُ بعدك مقلةٌ قد أفقِئتْ — هيهات بعدك نورُها لا يسطعُ
حقاً عليك بأنْ تُشَقِّقَ جيبَها — حُزْناً وتَخْمِشَ وجهها أو تصفعُ
قد كُنْتَ حاميها بعلمك مانعاً — وسواك بعدك عاجزٌ لا يمْنَعُ
قد كُنتَ ذا جَدَلٍ بعلمك دونها — إن أسْنِدَ السّنيُّ والمتشيعُ
فالدينُ بعدك يا محمدُ هُدِّمَتْ — أركانُه والحِلمُ فهو مُضَيّعُ
ضعضعْتَ أركان الإباضي والرجا — بك قد أشيدَ وكان لا يتضعضعُ

ونرى صدق التجربة ووفاءها في خطابه لابني الشيخ جمعة بن أحمد الهالك فيقول:(٣)

إني أعزيكما فيه ولي مُقَلٌ — أخشى عليها لوقْع الأدْمُع العَوَرا
فكلما وكَفَتْ في الخدِّ جاريةٌ — أبْقَتْ بقلبيَ جَمْرَ الحُزْنِ مُستعرا
من لي أخ بعده في الدين ينصح لا — خَتْلاً وحقداً ولا لبْساً ولا ضمرا

---

(١) نفسه ٢/١٥٦.
(٢) نفس المصدر ٢/١٧١.
(٣) الديوان ٢/١٥٧.

كما يظهر صدق التجربة في الأبيات التالية:[١]

وإنني بالعزا والحزن أحْذَرُ مَنْ ... أبقيتَ بعدك أولاداً ومُدَّخَرا
لو كان يجدي البكا ماضٍ بكيتُك ما ... صحبتُ بَعْدَك في أيامي العُمُرا
لكنّها حكمةٌ في الخلقِ بالغةٌ ... من ذا يَرُدُّ قضاءَ اللّه والقدرا

رثاء الأمراء والسلاطين: لقد رثى أبو حمزة من السلاطين والأمراء الذين عاصروه أبا العرب بن أبي العرب بن الصلت، والسلطان هوداً بن سلطان، والأمير محمد بن ربيعة العميري. ورثى الأمير أبا الحسين علي بن سنان العميري[٢] بقصيدتين. الأولى مطلعها:[٣]

دَعِ الزّفراتِ صاعدةً طوامي ... وحاطمةً إذ نَزَلَتْ عظامي

والأخرى مطلعها:[٤]

آها ولو نَفَعَتْ من قال أوّاها ... كرّرتُها ولعمري لم أقُلْ آها

وإذا تتبعنا المعاني التي رثى بها هؤلاء الأمراء والسلاطين، نجده يرثي المجد والسؤدد في السلطان أبي العرب، فيقول:[٥]

هو الرُّزْءُ حتى خُصَّ ريشُ القوادمِ ... وخُصَّ الخوافي في جناحِ المكارمِ
وأفقأ عينَ المجدِ حتى تغوّرتْ ... وأعمى قلوبَ الواجباتِ اللوازمِ
وهَدّمَ بيتَ السؤددِ العزّ والعلا ... وحُكْمُ المنايا هادمٌ أيّ هادمِ

ويرى أن فقد السلطان أبي العرب لا يماثله فقد أي ملك، فيقول:[٦]

وما الفقدُ في كُلّ الملوكِ كفقدهِ ... ففي الفقدِ هُمْ منه كَفَقْدِ البهائمِ

ويرثي فيه المعاني والهمم الشماء والمحامد، فيقول:[٧]

أبا مالكٍ مَنْ للمعالي يَشيدُها ... خلاقك مُذْ أثْبَتَّها بالدعائمِ
فما فُقِدَتْ مُذْ كُنْتَ أملاك حِمْيَرٍ ... ولا لسواك الحمدُ عند المواسمِ

---

(١) نفسه ٢/ ١٥٦.
(٢) لم أجد تراجم لهؤلاء الأعلام فيما توافر لدي من مصادر .
(٣) الديوان ٢/ ٢٤٩.
(٤) نفسه ٢/ ٢٧٩.
(٥) نفسه ٢/ ٢٣٩.
(٦) الديوان ٢/ ٢٣٩.
(٧) نفسه ٢/ ٢٣٩.

وفي رثائه للأمير أبي الحسين علي بن سنان العميري، يصف فيه الشجاعة والكرم والإقدام وإسعاره نيران الحروب وغاراته، فيقول:(١)

أوهَّابَ الهنائد كانسات ... وقائدَ كُلَّ عَيْطاء اللجام
أواقدَ كُلَّ نارٍ بالروابي ... لضيف خابطٍ جَوْزَ الظلام
أمُسعِرَ كل نارِ وغى ضروسٍ ... أناصرَ كلَّ تامكة السَّنام
أغائرَ كل صابحةٍ غداةً ... على خيلٍ تقنَّعَ بالقَتام
أشيادَ المعالي بالعوالي ... أمبلس ألسُن اللُّدّ الخصام

ويذكر هيبته ووطأته على العدو، إلا أن تلك الهيبة لم تقِه الموت:(٢)

فَتى أسَرَتْ مهابتُه الأعادي ... ولم يَزَلِ الأسيرَ لذي العدام
توقَّتْهُ الخطوبُ وما وقتْهُ ... مهابتُه عن الموتِ الزؤام

ويذكر دفاعه عن عمان وتشتيته العدو إذا ما أقبل، فيقول:(٣)

ومن لعُمان إن راحت رجالٌ ... بها للخطبِ كالإبلِ الحيام
يشتتُ دونها جمعَ الأعادي ... ويجمعُ شتَّها جمعَ التئام

ويصف النواح والبكاء على الأمير عند خروج جنازته والذهاب بها إلى المقبرة، فيقول:(٤)

لقد خرجوا به وبجانبيه ... صواعقُ دونها صَعَقُ القيام
كأن النائحاتِ مصرَّعاتٌ ... على آثارِهِ صرعى مُدام

وفي رثائه للأمراء يبدو صدق عاطفته وتفجعه جليَّيْن على الأمير، فيقول:(٥)

رجوتك أن تكون كفيل نَسْلي ... فَقَدَّمَكَ الرَّدى قبلي أمامي
ولو قَبِلَ الرَّدى فيك الأفادي ... فَدَتْكَ جميعُ سامٍ ثم حام

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٣٥١.
(٢) نفسه ٢/ ٢٤٩.
(٣) نفسه ٢/ ٢٥٠.
(٤) الديوان ٢/ ٢٥٠.
(٥) المصدر السابق ٢/ ٢٥٢.

ومن المعاني التي ذكرها ابن اللواح في رثائه للأمير محمد بن ربيعة العميري أن النساء العميريات خمشن وجوههن ونثلن شعورهن وشققن جيوبهن حزناً عليه؛ لأنهن تذكرن منعه إيّاهُنّ الغارات، كما يقول:(١)

خمشن العميرياتُ بعدك أوجُهاً — عليك وفي أكتافِها نُثِلَ الشَّعْرُ
وشَقَقْنَ أثواباً عليك ستيرةً — وبعدَك لا يبقي حياءٌ ولا سِترُ

إلى أن يقول:(٢)

تَذَكَّرْنَ مِنْكَ المَنْعَ عن كل غارةٍ — ومنك فقد يُغني عن الخَبرِ الخُبرِ

رثاء الشعراء: عرفنا في الفصل الأول أن الشيخ نجدة، والشيخ صالحاً من أبناء عبد السلام كانا من أصحاب شاعرنا، وكانا شاعرين، وها هو ذا شاعرنا يرثيهما مع من رثى من أصحابه ويتوجع عليهما، ففي رثاء شاعرنا للشيخ نجدة بن عبد السلام، نجده يضمن جُل قصيدته حكما، والعزاء فيها في حدود سبعة أبيات فقط، فمما قاله من الحكمة:(٣)

إنْ شِئتَ فاشْجَعْ ومهما شئت كن جبناً — سهمُ المنونِ صمى المِقدامَ والجَبِنا
فمما بَنَيْنا فإنّ الموتَ يَهْدِمُه — من ذا الذي لك بالبُنيان حيثُ بنى
ومن ولدناه إنَّ الموتَ أفْقَدَنا — وَمَنْ أَلِفْناهُ كان الموتُ فرّقنا

ومما قاله في تعزية عبد السلام:(٤)

إنّي أعزيك يا عبد السلام وفي — قلبي أسى جَدَّدَ التأسيف والحزَنا
لي مِنْ مصيبتكم سَهْمٌ أعيشُ به — فلو سلوتم فلا أسْلُو أسى وضنى
مِنَ العجائبِ إن عزّيْتُكم فأنا — به أعزّي بحيثُ الصبرُ أعوزنا

والمعاني التي حملتها قصيدة الرثاء في الشعراء هي نفس معاني مرثاة العلماء؛ لأن علماءنا في عُمان معظمهم يجمعون بين الفقه والأدب، فتجد الشخص عالماً في الفقه، قاضياً ومفتياً كما تجده شاعراً وأديباً.

ورثى ابن غسان في الشيخ صالح بن عبد السلام السيرة الحميدة التي سارها في حياته،

---

(١) نفس المصدر ٢/ ٦٩.
(٢) نفسه ٢/ ٦٩.
(٣) المصدر السابق ٢/ ٢٦١.
(٤) الديوان ٢/ ١٦٢.

فمما قاله:(١)

أودى الذي كــــانتْ لـه سِيَرٌ بهــــا	قـــامَتْ على كلِّ العــمــاد شُروعُ
فكأنـه أعـطـى النـبــــوةَ والمُنى	فــهـــو المطاعُ وقــولـه المسـمــوعُ
أودى الذي كـــان العـــفـــافَ دثارُه	وتضـــاعــــفتْ منه علـيـــه دُروعُ
فـــكـــأنـــه مـــن خَوفِهِ وبُكــائـــه	فـــوقَ الفِراشِ مُمَرّضٌ مـــصــــروعُ

كما رثى فيه القضاء وأحكامه العادلة النافذة، ومن ذلك قوله:(٢)

أودى الذي كـان القـضـاءُ لأمـره	طوعَ القـيـادِ كـمـا يُقـادُ تبـيعُ
فـكـأنّهُ حُكـمٌ عـلـيــــه مُوكّلٌ	وكــــأنه عَبْدٌ عـلـيـــه مُطيعُ

ويظهر إخلاص أبي حمزة لأصحابه في تفجعه عليهم، وصدق شعوره وإحساسه تجاههم، من ذلك قوله:(٣)

هل إن دعـوتُك ياابن بلحسن الرضي	أنتَ المجـيبُ وللدُّعـــاء ســمـيعُ
خَلّفــتَني شِلوَ الحــوادثِ كُلّمـــا	نَعَت النُعــاةُ فـإنني مــفــجـوعُ
بي منكَ مـا بك في الضـريح فـربما	أنــتَ المـريــحُ وإنـــني لنـزوع

وفي رثائه للشريف علي بن بركات، بين أنه قُتل في الطريق في أثناء ذهابه إلى حج بيت الله الحرام، وكان شاباً قبل أن يبيض عارضه، فقال:(٤)

أنت الشـهيدُ سـعيداً قـد قُتِلتَ على	خـيـــر العــقـــائدِ في حَلٍّ ومُرْتَحَلِ
أزْمَعْتَ حـجّاً لبيتِ الله مـعـتـمـراً	وزائراً قـــبــرَ هادٍ ســيــدِ الرُسُلِ

إلى أن قال:(٥)

قـــاتلْتَ في الله منْ عـــاداه مُتّكلاً	عليــه فــاسـعــدْ بجـدٍ منه مُتّكلِ
ضـربْتَ بالسـيف لو وُفّقْتَ لا دهشـاً	حتى غـدا السـيفُ مـفلولاً من الفَللِ

---

(١) نفس المصدر ٢/ ١٧٦ .
(٢) نفسه ٢/ ١٧٧ .
(٣) نفس المصدر ٢/ ١٧٧ .
(٤) نفسه ٢/ ٢٢٧ .
(٥) الديوان ٢/ ٢٢٨ .

رثاء الأصدقاء: من أصحابه الأعزاء المخلصين الذين حلاهم بقريضه، وترك لنا فيهم روائعه غريب بن محمد بن خاطر السمائلي وأولاده، فقد رثى ابن اللواح غريباً بن محمد بمرثيتين، إحداهما مطلعها:(١)

سَلُوا هَلْ تَرَوا خَلْقاً وإن عزّ باقيا   وهل تعلموا دون المنيّةِ واقيا

والثانية مطلعها:(٢)

المرءُ لا زال في دُنياه كالعَرَض   صميمُهُ لِسِهامِ الموتِ كالغرضِ

وقد وَشّى أبو حمزة مقدمة هذه القصيدة بعصارة تجربته من الحكم جاءت في ثمانية عشر بيتاً، ثم أخذ يذكر ما في الهالك من خصال حميدة تحلى بها في حياته. فمن ذلك قوله:(٣)

ماذا يقولُ لنا النّاعي وقد ظَفِرَتْ   آمالُه وبجنّات النعيم قُضِ
قد عاش ما عاش لا بُخلاً ولا بَطَراً   ومات مـاتَ بلا ذنبٍ ولا هضض
يُقلِّبُ الطرفَ في تدبيرِ خالقِهِ   تقلُّبَ الطرفِ موقيه إلى الركض
بِمَسْمَعٍ طاهرٍ من نيةٍ خلُصَتْ   في منطق صادقٍ في منْظر غَضضِ
زُهداً كأن لعمري النارَ ما خُلِقَتْ   إلا لتعذيبه فالتاعَ من رَمَض

ومن صفاته أيضاً:(٤)

نيرانُه للقِرى بالليل ساطعةٌ   ونورُه من قيام الليل فهو يُضي
قوّامُ صوّام مِطْعامُ الطعامِ إذا   أخْلَفْنَ أنوا نجومِ الباخل البَرص
مستوحشٌ أنِسٌ يلقى الحتوفَ كما   يلقى الضيوفَ بلا خوفٍ ولا رعضِ

ويظهر إخلاص الشاعر لصديقه وصدق عاطفته تجاهه في لوعته وأساه اللذين أظهرهما لنا في الأبيات التالية:(٥)

تركت قلبي كريشِ النّسْرِ منتفضاً   والحزنُ من ذكرِ قلبي غيرُ منتفضِ
غادرتَ جُرحَ الأسى في القلبِ منتفضاً   يَبْلى وبنيانُ حُزني غيرُ منتفضِ
وأدمُعاً من جفوني قد جرت عَلَقاً   جَرْيَ العروبة في خدٍّ لكالرّيضِ
أرعى النجوم لرزءٍ منك مشتملٌ   على مصائب وجْدٍ فيك معترض

(١) المصدر السابق ٢/ ٢٨١.
(٢) نفس المصدر ٢/ ١٦١.
(٣) نفسه ٢/ ١٦١.
(٤) نفسه ٢/ ١٦٣.
(٥) نفسه ٢/ ١٦٣.

فما يزال يذكر إكرامه له، حتى ليرجوه أن يكرمه في الحشر، كما يقول:(١)

أرجوك في الحشْرِ ما أرجوك في زمنٍ قد كنْتَ فيه سكوبَ العارضِ المحضِ

ويدعو لرمسه بالسقيا قائلاً:(٢)

أجاد قبرك محلولُ النطاق به من باكرٍ غدقٍ أو رائح رحض
كأنّ جودك أو حسنى بنيك به قد فاض في الأرض حيث البحرُ لم يَفضِ

ثم يصف أبناء الهالك بكونهم الحاملين أثقل الأمور والتاركين أهونها والمصاحبين الأولياء الصالحين، والقائمين بدين الله صغيرهم ككبيرهم. إلى غير ذلك من الصفات التي أضفاها عليهم.

رثاء الأطباء: وقد رثى أبو حمزة الأطباء الذين مهروا في صنعة الطب في عصره- بجانب فقههم، ومنهم الشيخ علي بن مبارك الهاشمي(٣)، والشيخ عميرة بن ثاني بن خلف الهاشمي(٤)،

وفي خطابه للشيخ علي، يقول:(٥)

يا ابن المبارك إن العلمَ بعدك قد أمسى دفيناً وشمسُ الدين في أفَلِ
والمجدُ هُدّتْ أعالي سُمْكِه فَوَهَتْ والحمدُ بعدك أضحى وهو في قزلَ

ومن الملاحظ أنّ شاعرنا يقرن الطبيب علياً، في طبه بطب نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام، الذي كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، ويستدعي الشخصيات المشهورة في الطب عند اليونانيين، مثل هرمس وجالينوس وأفلاطون وأرسطاطاليس، فيقول:(٦)

يا سرُّ عيسى نبيّ الله في زَمَنٍ لا هرمسٌ لك محمولٌ على المثل
حسبي لديك فجالينوس صاحبُه افـ ـلاطون بل أرسطاطاليس كالخَوَلِ

فمن نباهته أنه كان يرى ما تأتي به الأيام، كما يقول:(٧)

نباهةٌ قد أرتْكَ الغَيْبَ مُحْتَضِراً وفطنةٌ فلديها الجِدّ كالهَزَلِ
لو لم تكنْ لكَ من باريك سابقةُ الـ حسنى دعتْك الورى من جملةِ الرُسُلِ

(١، ٢) الديوان ٢/ ١٦٤.
(٣) علي بن مبارك بن خلف، من بيت ابن هاشم، من أطباء القرن العاشر، (الإتحاف ٢/ ١٨٦).
(٤) عميرة بن ثاني بن خلف من بيت ابن هاشم، شيخ طبيب من أهل الرستاق من أطباء القرن العاشر، (البطاشي، اتحاف الأعيان ٢/ ١٦٠).
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٢٣٢.
(٦) نفسه ٢/ ٢٣٢. (٧) نفسه ٢/ ٢٣٢.

ويذكر استشفاء المرضى بعلاجه، فيقول:(١)

كم مــــقلةٍ عَميَتْ أرجَعْتَ نـاظِرَها فـاليــوم تبكيك حــزناً جــملةُ المُقَلِ
وكم شـفـيت بني دنيـاك من عِلَلٍ فـاليــوم لا قـيتَ مـا أبلاكَ من علِلَ

والشاعر يعلم تماماً أن البكاء لا يجدي ولا يفيد، ولا يرجع غائباً ولا يحيي ميتاً:(٢)

لو كان يُجدي البُكا ماضٍ بكيتُك ما يُـورِّثُ العـــينَ أخـطاراً مـن السُّبُــلِ

ويلاحظ على الشاعـر في مـراثيـه أنّه يكرر إقـران فـضـائل الميت بفضـائل خَلَفه من بعـده، كأولاده أو إخوته أو أعمامه أو أقاربه الآخرين، وذلك مثل قوله:(٣)

مـــا مـــاتَ مَنْ بَعْدَهُ أحْيَا مكارِمَه وعـلـمَهُ ونُهـــــاه طالبُ بن علـي
إن الهـــواشِمَ أعـلامُ البـلادِ وقـــا داتُ العـــبـــادِ وتاجُ الدهرِ والدُّوَلِ

وموت عـميـرة بن ثاني يعـده الشاعـر قِرى للمنايا وضـيـافـة لها. فـقـد قـراها العلم والتـقى والحكمة والنباهة كما يقول:(٤)

أضـــاف المنايا بَعْدَ مـــا اعْتَدَّ زاده وإن كـــان لم يبلُغْ من العُمْرِ إمكانا
أضـــاف فـــأقـــراها تُقى ونَبـــاهةً وعِلمـاً وتوفـيـقـاً وحكمـاً وإحْسـانا
فـتى كـانتِ الأزمـانُ ظرفـاً لحلمـه ومـا وسِعَتْ لو زاد فـيـهـنّ أزمـانا

رثاء المرأة:بجانب رثاء الشاعر زوجته وأمه، فقد عزى أصحابه المخلصين في زوجاتهم وبناتهم. وعلى الرغم من أن «من أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلاً أو امرأة؛ لضيق الكلام عليه فيهما وقلة الصفات» (٥) كما يقول ابن رشيق، فإننا نجد عدداً من القصائد في ديوان أبي حمزة أبَّنَ فيها عدداً من النساء، ووصف فيهن التقى وطاعة الرحمن وإكرام الضيف والحسب والنسب، إلى غير ذلك من الصفات التي أضفاها على تلك النسوة.

وقد عزى شاعرنا الشيخ أسداً بن عبدالله الأغبري في زوجته وابنته، وعزى الشيخ أحمد بن سليمان الكندي في زوجته وبناته، وعزى السلطان أبا العرب في ابنته، كما عزى أصحابه أبناء غريب بن محمد في والدتهم، وعزى كذلك أحمد بن قاسم بن كهلان في زوجته.

(١) الديوان ٢/ ٢٣٢.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٣٢.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٢٣٣.
(٤) نفسه ٢/ ٢٦٨.
(٥) الحسن بن رشيق القيرواني . العُمدة ٢/ ٨١٨.

ومن الصفات التي ذكرها في أمّ أبناء غريب بن محمد السمائلي قوله:(١)

على بنتِ موسى رحمةُ الله إنّها	برحمته في ظلمةِ القبرِ أخلَقُ
على طاعةِ الرحمنِ شابتْ وأيفعت	وكانتْ على طاعاتِه قبل تزهقُ
فمن محض تقواها مدى طول عمرها	تظن اللظى إلاّ لها فهي تُخْلَقُ
وإن نعيمَ الدهر أحلامُ نائمٍ	وإن دوامَ العُمْرِ ظلٌّ مُرَوَقُ
فما برحتْ تستحلب الصبح بالثنا	إلى أن بَدا وجه من الصبح مُشرقُ
وتقطعُ حَرّاءَ الهواجِرِ صائماً	وما كان من مالٍ فلله تُنفقُ

ومن صفاتها العطف على الضعفاء والمساكين، فقد وصفها بأنها أرأف بهم من أمهاتهم وآبائهم، فقال:(٢)

على ضعفاءِ المسلمين فإنّها	من الوالد الساعي أبرُّ وأشفقُ
دليلٌ بأن النورَ أشرق قلبها	فما بَرِحَتْ للخلقِ كالشمسِ تُشْرِقُ

ومن صفاتها أيضاً:(٣)

ولا تنطقُ العوراءَ غيباً ومَشهدا	ولكنها بالصالح القولِ تَنْطِقُ
كريمةُ قومٍ لا غراثٌ ضيوفُها	وإنْ قابلتْ عنها الرجالَ فأنفق

وهذه المرأة لم تفاجئها المنية، لأنها تأهبت وتزودت بطاعة الله قبل ذلك:(٤)

ومُذْ علمت للموتِ إنذارَ صادقٍ	فما بَرحتْ في طاعةِ الله تَصْدُقُ
وما وافقتْ منها المنيةُ غرةً	ولكن رأت أن التأهبَ أرفَقُ
أعدّت لتلقاءِ المنيةِ عدةً	من الزاد يُغنيها إذا القومُ أمْلقوا

وفي تعزيته للشيخ أسد بن عبدالله في ابنته، يقول:(٥)

وما هذه الخدراءُ بدَعاً على الردى	فما هي إلا البعضُ من جُمْلة العدِّ
لها أخواتٌ قبلها وهي مريمٌ	وآسيةٌ والخدرُ رابعةُ الزُهدِ
فإن تكُ تلك الخدر ماتت فإنها	مقدسةُ الآراب والجنبِ والبُرْدِ
فلا لبست ثوباً من العار لا ولا	أذاعتْ إذا ما استُودِعَتْ باطن السد

---

(١) الديوان ٢/١٩٧.
(٢) المصدر السابق ٢/١٩٨.
(٣) المصدر نفسه ٢/١٩٨.
(٤) نفسه ٢/١٩٨.
(٥) نفسه ٢/١٣٣.

ويهون الشاعر المصيبة على أسد بن عبدالله بأن يتحلى بالصبر؛ لأنه لا يستطيع رداً لقضاء الله وقدره، وإن كان فقد الحِبِّ بلية ومأساة، فالمنية كأس كلنا محتسوها:(١)

شعارُ الحليم الصبرُ في عقبِ فائتٍ ... إذا هو لم يقدرْ بحولٍ على ردٍّ
وإن كان فَقْد الحِبِّ يبلي إساؤه ... فكُلٌّ بني حواءَ وقف على الفَقْدِ

وبعد هذا التطواف المتأني في مراثي ابن المُلَوّحي،ما الخصائص التي تطالعنا في تلك المراثي؟ إن من سمات الرثاء الخاص عنده أنه رثى أمه بقصيدتين، ولكنه لم يجعلهما على لسانه مباشرة. فجعل إحداهما على لسان ولده حمزة، والأخرى على لسان بعض أصدقائه.

وكان سيره في الرثاء الخاص سير من سبقه من الشعراء من حيث ذكر الأم بأنها عفيفة طاهرة كريمة في قومها، شفيقة عليه وعلى أولاده وعلى أصدقائه، وكذلك في رثاء الزوجة، فقد وصفها بأنها كريمة مع جيرانها وضيفانها، ومحافظة على دينها وعرضها، فلم تخن زوجها ولم تفضح أولادها، وكانت نعم الزوجة المعوان على نوائب الدهر.

ومن سمات الرثاء الخاص عند أبي حمزة أنه في رثائه لولده أحمد، جرد من نفسه شخصاً يخاطبه ويصبره وينصحه «إني نصحتك والمودة بيننا... الخ» كما اتسم رثاؤه الخاص برثاء بعض من أجزاء جسمه كرثاء أضراسه عندما تساقطت.

أما رثاؤه العام، فموت العالم هو النبأ الأليم والخطب الجسيم والثلمة في الدين، وليس الإنس والجن يبكيان العالم فحسب، بل حرك شاعرنا الجماد، فجعل الكتب والقلم والمحابر والمنابر والمدارس والمساجد تبكي العالم وتتحسر عليه وذلك لوجود صفات في المرثي أضفاها الشاعر عليه، مثل تقاه وخوفه عذاب مولاه وغزارة علمه وفضه للمشكلات العويصة وإحيائه للسنة النبوية، ودفاعه عن عمان وعن المذهب الإباضي.

بيد أن بعض مراثيه في العلماء لا تخلو من مبالغة، بل من غلو في بعض الأحيان، وذلك مثل قوله في رثاء العلامة أبي محمد عبدالله بن محمد بن سليمان:(٢)

تكبيرتانِ حيال قبرك حَجَّةٌ ... وعلى الذي يمضي ولم يحمد دَمُ

فبمجرد مرور الإنسان قرب قبر الشيخ ويكبر تكبيرتين، كانت له تلك التكبيرتان بمنزلة حجة. فإذا مضى ولم يكبر، لزمه ما يلزم المقصر في نسك من مناسك الحج، فيلزمه أن يهريق دما، فهذا مبالغة غير محببة إن لم تكن غلوا.

---

(١) الديوان ٢/ ١٣٣.   (٢) الديوان ٢/ ٢٥٨.

واتسم رثاء أبي حمزة بدعائه لرمس الميت بالسقيا له ولجيرانه ومزج في مراثيه الرثاء بالحكمة.

أما الأمراء والسلاطين، فرثى فيهم المجد والسؤدد والهيبة والبأس وحسن تدبيرهم للأمور وإسعارهم نار الحروب دفاعاً عن الوطن وكرامته، ورثى في الطبيب شفاء للمرضى من الداء العضال، واستدعى الشخصيات التراثية المشهورة في الطب القديم.

واتسم رثاؤه برثاء المرأة. فرثى المرأة الزوج والبنت والأم، كما اتسم عموم رثائه بذكر الخلف الصالح الذي يعقب الهالك من أبنائه وإخوانه وعمومته.

ووجود قصائد المسمطات في مراثيه تعد خاصية من خصائصها.

الفخر

من خلال تتبعي لديوان ابن غسان لم أجد له قصائد أفردها في الفخر، وإنما جاءت فخرياته متناثرة في قصائده، فقد لاحظت في فخرياته أنه اتجه بها اتجاهين؛ اتجاهاً فردياً واتجاهاً جماعياً، فالاتجاه الفردي افتخر فيه بنسبه وعلو محتده ومكانته في قبيلته، وافتخر برجاحة عقله وخبرته بالأيام، كما افتخر بفصاحته وشاعريته، وتفوقه على من سبقه من الشعراء القدامى المشهورين، ورجحت كفة الافتخار عنده بقوافيه الحسان، وكثيراً ما يتردد (الأنا) في فخره الفردي وكذلك في مواعظه، ومن فخره الفردي قوله:(١)

أنا في أخيـــر زمـــانكم من أولٍ	وأصحّ حكم في القــضـــاء الثـابتِ
قَدْ كِدْتُ أعرفُ ما تكنُّ ضمائرُ الـ	إخــوانِ أو رمـــزُ المحس الخــافتِ
كُلُّ المحــاشـدِ فــهي إثريَ حُشـدٌ	أو غـــبتُ أحْسَدَتِ الرجــالُ دلالتي
فكأنني القـــمــرُ المنيــرُ وكُلُّ مَنْ	قَدْ يدّعي مــا أدّعـيــه فــهــالتي
أهلُ الحِجى والعـارفـون صحابتي	والصــائنو أعــراضِهم فــقــرابتي

ومن ذلك ما يفتخر فيه بصبره على الشدائد ومقارعته لها وبعد نظره للأمور، كقوله:(٢)

فَقُلْتُ ثقي بِذَمْرٍ عنقـــفـــيـــر	مـتى اغـتــصّتْه حـادثةٌ شجـاها
بعـــيـــدُ الغَورِ في طَلَبِ المعـــالي	شـــــديدُ الخنْزوانةِ لا يُبـــــاهى

وشبه نفسه بتاج في رأس الزمان، بل وفي البسيطة جمعاء، فقد ولد من المجد، وارتضع من الحمد والفضل، وتربى على العلم والحلم، كما يقول:(٣)

إنّي أنا التّاج في رأس الزمــان وفي	هذي البـــســـيطة بين الناس ربّاني
المجـــدُ أولَدَني والفــضلُ أرضَعني	والحِلْمُ حـلّمــنــي والـعـلـمُ ربّانـي

ويدل على تلك السجايا سمو البيت الذي ولد فيه:(٤)

يَدُلُّ على طبـــاعي قُدْسُ بيتٍ	سَمــا وَعَلى سَمــا العليــاء مَبْني

---

(١) الديوان ٢/ ٦٠.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٨٦.
(٣) الديوان (مخ) ٣٦.
(٤) نفسه ٨٢.

كما يرى أنه عديم في هذا الزمان، فلا مثيل له في عصره- وهذا من باب المبالغة في مدح النفس- فكأن لسانه يجري على الأقدار، ومنطقه يكشف ما خبأته الأيام وما تأتي به. ويقول: إذا أحطت بما يأتي وعلمت ما مضى، فلا غرو في ذلك،فإني امروء هذبته حوادث زمانه، وإني أراه يغالي في مدح نفسه، فأنّى له التنبؤ بمكنونات الليالي. يقول:(١)

ألم تعلمـوا أني عـديمٌ بعـصـركم　　وإن كُنْتُ مَوْجـوداً لكم أوجِدُ العُدْمـا
لِسَاني على الأقدارِ يجري وَمَنْطِقي　　يبـيِّنُ مـا يأتي ويكشف مـا يُعـمى
ومـن هذَّبَتْهُ حـادثـاتُ زمـانِهِ　　أحاطَ بما يأتي كما قد مضى عِلما

وفي خطابه لقومه يحدثهم بأنه يميت للعدوّ رسْماً ويحيي لقومه رسماً، ويشيد لهم مجداً قوياً لا يستطيع العدو هدمه، وإذا ما حدثت العدو نفسه بأن يبني مجداً لنفسه، فإنه يبتغي مبتغى صعباً، إذ إنَّ ابن اللواح سوف يهدمه بقوافي نظمه، كما يقول:(٢)

عَلَيَّ لكُمْ من راحَ يَثْلِمُكمْ ثَلمـا　　أمـيتُ له رسْمـاً وأحْيي لكُم رسْمَا
أشيِـدُ لكم مَجْداً فلم يقْوَ هَدْمَه　　وإنْ شادَ مجداً سوفَ أهدمُهُ هَدْمـا
وأحـمي بِمران القـوافي حـريمكم　　وطـوبى لأقـوامٍ حَرِيمُهُم يُحْمـى

وإذا ما نودي للحرب، وثارتْ الخيل تلوك لجامها، وارتفع غبار النقع، وتطاير الشرر من تحت سنابك الخيل، وظهر الموت جلياً بين صليل السيوف وطعن الرماح، وصارت الشجعان تحتقر الموت، وخيف السباء على الحريم، ورجعت أكثر أكباش القوم جرحى، جعل الشاعر نفسه وقاء يقي قومه من أعدائهم، فيضربهم بنثره ويطعنهم بنظمه، وتارة أخرى يتقي ضربات السيوف والرماح بدرع قوية يرتديها، فيقول:(٣)

وطوراً، إذا مـا النقْعُ ثار غـبـارُه　　وراحت جياد الخيل تعتلك اللُّجما
ونادى سـوادُ الموتِ في البيض والقنا　　وصارت لديه القومُ تحتقرُ البُهـما
وخيفَ على البيض العذارى من السَّبا　　وعـادتْ سراةُ القومِ أكثرُهم كَلْمـا
جَعَلْتُ لكم نفـسـاً وِقـاءً عن العِدى　　فـأضـربُهم نثراً وأطعنُهم نظمـا

---

(١) الديوان (مخـ) ١٢١ .
(٢) المصدر السابق ١١٨ .
(٣) نفس المصدر ١١٨ .

لساني خَشيبٌ في الجدال كمجذمي وطوراً فدرعٌ توقني السُّمْرَ والخزما
أقــمتُ لكم أجــدادكم من قُبُورِها وكُلكمُ يَرْمي الأعــادي ولا يُرمى

وهو الشاعر الفصيح الذي بهر الزمان بفصاحته، فالشعراء القدامى ككعب بن زهير وقيس ابن الملوح وغيرهما يأتون بعده في الفصاحة، كما يقول(١):

وخُذْ الشناءَ المحضَ من مَنِنٍ لكم بعُلاكُم أبَداً يغـــورُ ويُنْجِدُ
من شاعرٍ بَهَرَ الزمانَ فصاحةً من دونِهِ كَعْبٌ وقيسٌ واربدُ

وفصاحته أظهرتها قصائدُه الغُرّ الحِسان التي يُتحدث بها في المجالس، تلك الغرائب التي أنجدت وغارت، لدرجة أن الركبان تغني بها في الفيافي المقفرة، وتلك الغرر؛ منها ما أَبَّنَ فيها العلماء الأفاضل، ومنها ما أَبَّنَ بها الأمراء والسلاطين وأصحاب الغنى والأموال، فيقول:(٢)

وكَمْ محمودةِ الألفاظ ذالت على النَدواتِ وهي فمن نفاثي
بَثَثْتُ على عُمَانَ وكُلِّ أرضٍ أجلْ حِكَماً تُصانُ عن البَثاثِ
غرائبُ أنجدتْ عني وغارتْ بأنواع الشنا فَضَحَتْ رواثي
بها الركبانُ غنّتْ في الزبازي وأشداها المرمّتُ في الرمـاثِ
وكم أبّنْتُ أربابَ الفتاوى وكَمْ أبّنْتُ أصحابَ الأثاثِ

وفي وصفه لقصائده وقوافيها يقول:(٣)

قوافٍ فلا إقْوا وإكفا تشينُها وليس بها لَحْنٌ وإحنٌ ولا ثَلْبُ

فتلك القوافي نتائج خبير موكل بها، وهو وإن كان الأخير في زمانه، إلا أنه الأول في الفضل، كما يقول:(٤)

نتائج طِبٌّ بالقوافي مُوكّلٌ لديه الكلامُ الحُرُّ والمنطقُ الذّرب
أخيرُ زمانٍ وهو في الفضْلِ أولٌ ويعقوبُ سُمي حينما هو أعقبُ

كما يلاحظ تكراره للأبيات والمعاني- فالأبيات التالية:(٥)

---

(١) الديوان (مخـ) ١٤٢.
(٢) الديوان ١/ ٢٩٥.
(٣) المصدر السابق ١/ ٢٠٢.
(٤) نفس المصدر ١/ ٢٠٢.
(٥) نفسه ١/ ٢١٢.

وربُّ قــــــــوافٍ بين مَدْحٍ مُمَجَّدٍ وبينَ نســـــيبٍ عنده يقلبُ القلبُ
نوادرُ من سِحـــرِ الكلامِ غـــرائبٌ حوى الشرقُ منها ما حوى مثلَها الغَرْبُ

مكررة عن هذه الأبيات:(١)

ورَبُّ قـــــوافٍ بين مـــــدحٍ مُمَجَّدٍ وبين نســيب كـالمزاهيـــر مطربِ
شواردُ مثلُ الشَّمْسِ في كلِّ بُقعـةٍ أو الخُضـرِ لم يُفـقَدْ بشـرقٍ ومَغـربِ

أما اتجاه الفخر الجماعي عنده الذي يكثر فيه تردد (النحن) فافتخر بقومه، أنهم من بني خروص ومن الأزد، ولهم قدم الملك منذ الجاهلية، فلما جاء الإسلام ازداد فخرهم به وعزهم وجاههم، وعند فخره بهم يقول:(٢)

هُمُ الأزدُ أزدُ شنوءةَ قـــــــومي وهيـــهـــات أزد كـــرام كـــأزدي
ملوكُ البـــرايا كـــرامُ الســجـــايا ضِخـــامُ العطايا ســـمـــا كُلَّ مَجْدِ

لهم البيت السامي في الجاهلية، إذ كانوا ملوكاً، وقد ارتفع فخرهم بمجيء الإسلام، فصاروا أئمة عدولاً حكموا العباد بما أنزل الله من الآيات البينات، فقال:(٣)

من القـــومِ الكرامِ بني خـــروصٍ وأزدِ شنـوءةٍ فــــــهُمُ ذُراها
لنا البـــيتُ المقـــدَّس في زهيـــرٍ إذ مـــا شـــاع في قـــوم خناها
ملوكُ الجـــاهليـــةِ أوَّلونا وفي الإســـلامِ مَفْخـــرُنا تناها

فامتلأت الدنيا التي حكموها عدلاً؛ برّها وبحرها، ووصلت جيوشهم إلى أرض الهند واليمن، فهم حماة عمان منذ القدم، ولعله يقصد منذ أن حكم مالك بن فهم الأزدي عمان، فيقول:(٤)

فـــنـــحـــنُ وُلاةُ سِرِ الـــلّهِ أمْسَتْ أواخـــرُنا تورَّثُهـــا ألاها
مَلأنـا برَّنا والبَحـــــرَ عَدْلاً وكل فـتى حـمى بلداً جـبـاها

---

(١) الديوان ١/ ٢٠٢.
(٢) الديوان (مخـ) ١٢٢.
(٣) الديوان ٢/ ٨٦.
(٤) المصدر السابق ٢/ ٨٦، ٨٧.

سرايانا لأرضِ الهندِ سارتْ وللِيمن الفسيح وما ولاها
ونحنُ حمى عمانٍ من قديمٍ فسل هل غيرُنا أحدٌ حماها؟

ثم يعدد الأئمة العدول المشهورين من بني خروص الذين حكموا عمان؛ فمنهم الإمام الوارث بن كعب الخروصي والإمام الصلت بن مالك الخروصي وغيرهم، فقال:(١)

فمنا وارثٌ والصلتُ منّا ومنا الخالدان توارثاها
وابن تميم غسانٍ ومنا محمد ابن غسانٍ ضياها
وغيرُهم فلا أحصي عِداداً سنا الدارين هُمْ وهُمُ غناها

ثم يذكر بعض قضاة أولئك الأئمة، وينتقي منهم القضاة الذين اشتهروا بالعلم والفطنة، وعرف بيتهم بالعلم والفضل كآل الرُّحيل الذين سكنوا صُحار، وهم ذرية محبوب بن الرحيل، فيقول: (٢)

لنا آلُ الرُّحَيْل هُمُ قضاةٌ لكل سَرِيّةٍ حَمَلوا لِواها
ونبهانُ بن عثمانٍ فقاضٍ لنا بِعُمان شياد عُلاها

ونحن عصبة للإله، نستمد عزمنا وقوتنا من الله سبحانه وتعالى، فمفخرنا بالله وبالعلم وبالحلم، إذا افتخرت أناس بعصيان مولاها(٣)

فما نحنُ إلا للمهيمنِ عُصْبَةٌ ولولاه إنا لم نجدْ أبَداً عزما
إذا فَخَرَتْ قومٌ بعصيانِ ربِّها فمفخرنا بالله والعلمِ والحلما

فكما ذكرت سابقاً أن (النحن) تتردد في فخره الجماعي بكثرة.

---

(١) الديوان ٢/ ٨٧.
(٢) نفسه ٢/ ٨٧.
(٣) الديوان (مخـ) ١١٩.

العتاب

العتاب: لقد عاتب ابن اللواح بعض أصدقائه المخلصين الذين يكن لهم المحبة، وأفرد قصائد في عتابهم.

ومن الذين عاتبهم، الإمام بركات بن محمد الخروصي، ومحمد بن أبي العرب العفيفي، وشخص يدعى أبا المعالي، وعاتب الشيخ عبدالله بن أسد وولده أسد، وهناك قصائد عتاب لم تتضح أسماء الأشخاص الذين عاتبهم ابن غسان فيها.

عاتب أبو حمزة الإمام بركات بقصيدة مطلعها:(١)

عتابٌ أحالَ الشُّهْدَ كالصابِ في الحلْقِ ... وهَجْرٌ أراني الصَّبْرَ ضَرْباً من الحمْقِ
لَوْ أنّ مابي مِنْ جفا بَعْدَ بِرِّكُمْ ... على الأفْقِ يُلقى صارَ أضْيَقَ من وفْقِ

ويطلب أبو حمزة من الإمام أن يترفق به وأن لا يسمع أقوال الحساد فيه فيقول:(٢)

تَرَفَّقْ بِرِقٍّ لم يُطِقْ هَجْرَ ساعةٍ ... فكيف بأحقابٍ خَلَوْنَ بلا رِفْقِ
لَكَ اللَّهُ لا تَسْمَعْ لإرْعادِ حُسَّدٍ ... فكَمْ راعدٍ يَحْدو سحاباً بِلا وَدْقِ

وأبو حمزة يظهر تمدحه للإمام بأنه المتقدم على غيره، فيأبى أن يأتي طباعاً دنيئة، ويرى أن الوشاة يحسدونه؛ لأن الله إذا ما أعطى عبده نعمة فلا بد أن يتسلط على تلك النعمة حسود يحسده إياها كما يقول:(٣)

فإني مُجَلّى السَبْق في كُلِّ حَلْبةٍ ... وغيري سُكيتٌ في رباط وفي سَبْقِ
أبى اللَّهُ أنْ آتي طباعاً دَنيَّةً ... فما ساءَ خُلْقي ما بقيتُ ولا خَلْقي
ولكنْ إذا ما أسْبَغَ اللهُ نعمةً ... على العبدِ باراهُ حسودٌ أولوا مَذْقِ

ويستدعي الشخصيات التراثية ليوظفها في شعره ويقوي بها حجته، فيضرب المثل بأبينا آدم عليه السلام، وبهابيل، وقابيل، وبسيدنا يوسف عليه السلام فيقول:(٤)

---

(١) الديوان ٢/ ٧٣
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٧٣
(٣) الديوان ٢/ ٧٣
(٤) المصدر السابق ٢/ ٧٣

فَمنْ قـبـلِ هذا أحْسِدا الفضلَ آدمٌ فَبُدِّلَ من فـردوسه الجـبلَ الشـرقي
وهـابـيـلُ سَقّاهُ الـردى كَفُّ صِنْـوِه ويوسفُ بعد الجُبِّ في السجنِ قد ألقي
وكَمْ لَسَعَ الشـمْسَ المنيـرة كَوكبٌ خَفيٌّ فـيَكسـي ظُلْمُه أفْيحَ الأفْقِ
ومـا كَلَّمَ اللهُ الكليـمَ وَرَدّهُ إلى قـومِهِ إلا على أثَرِ الصَّعْقِ

ويستعطف الإمام قائلاً له: أيها الإمام وابن الإمام، أما تعطف أما تصفح عنا، فإن المولى يغضب ويصفح على عبده، ثم إنَّ لك فينا دليل قربى ونسب كما يقول:(١)

حنانَيْكَ يا نُورَ الهـدى وابن نورِهِ ويا صفوةَ الباري الأمين على الخَلْقِ
أمَا عطفةٌ كالفجرِ بالليل شامتا فَتَطْرُدَ سُودَ الغـيـض بالمنن البُلْقِ
أمَا تَنْسَخُ العُتـبْى بآخـرِ آيةٍ من العفْوِ كي ترضى علينا وتَستبقي
أما توضع المنهاجَ مِنْ مَسْلَكِ الرِّضى فتوعر عن عتباك لي مسلك الطُّرْقِ
أمَا لَكَ في العـتبى نهـاء وغـاية أما يغضبُ المولى ويعفو عن الرِّقِ
أمَا لَكَ فـينا من دليل حـفـيظةٍ فـتـوسـعُنا عُذراً وتزجر عن عقٍّ

إلى أن قال في نهايتها:(٢)

فأنتَ جديرٌ بالنفيس من الثّنا وإنّي خليقٌ بالصفوح وبالعتْقِ

أما عتابه واعتذاره لشخص يدعى أبا المعالي، فيذكرنا باعتذاريات النابغة الذبياني. يقول ابن اللواح:(٣)

قَدْ قَدَّ غـيظُكَ أضلاعي فـقلقلني ومنه رأسي فـقـد شـابَتْ مـفـارقُهُ
وأنتَ كـالليـل إنْ أنأيْتُ تَعذرُني ومَوْدَي أنْتَ بالإحـسـانِ واثقُهُ
كُنْ كـالنبيِّ لكعب حين أعْذَرَهُ غـداةَ وافى إليـه وهو سـالقُهُ
فـقال حرمـتُهُ عندي كـحرمـتِكُمْ لا تَقْتُلُوهُ فـإنّي الآن عـاتقُهِ

---

(١) نفسه ٢/ ٧٤
(٢) نفسه ٢/ ٧٤
(٣) نفسه ٢/ ٧٦

الغزل

لم أجد في ديوان ابن اللواح قصائد غزلية أفردها للغزل، وإنما جاءت غزلياته تقليدية تمثلت في مقدمات بعض القصائد التي كتبها في ليلى الشريفة، وفي قصائد المدحة النبوية.

وأبو حمزة في مقدماته الطللية نجده تقليدياً، فهو يذكر رسوم ربع المحبوبة ومواضعها، وأن تلك الرسوم تعاقبت عليها الرياح والأمطار، فمحت آثارها، من ذلك قوله:(١)

بنفسي رُسوم بين نفعى وغُرّبِ تلوحُ بعيني كالرّداءِ المُذهّبِ
مَحتْ آيَها الأرواحُ وابْتكرتْ بها بواكر سحب بالآتيِّ المسحّبِ
وجَرّتْ به الحزْوى ذيولاً من البلى تعاقَبَ فيها كلُّ أسْجَمَ صيّبِ
إلى أن غَدَتْ حتى لو ارتدَّ ناظرٌ إلى آيةٍ مِنْ آيِها لم يُصَوِّبِ
عفتْ غير آريّ وكنابٍ ومِفْهَرٍ شحيحٍ وآضارٍ ونوءٍ مُعثلبِ

ويتذكر بعض تلك العلامات التي محتها الرياح، فيقف حيالها هو وصحبه يحيونها تحيات تصعّد أنفاسهم لها، ويستمطرون أجفانهم تجاه تلك الأطلال:(٢)

وَمِصْفَنِ أفراسٍ ومَبْرَكِ هَجْمَةٍ وشاوٍ دَوادِيٍّ ونادٍ وملعب(٣)
وقَفْنا نحيّيها تحيات وَلّهٍ نصعد أنفاساً بأكوار لُغّبِ
ونستمطرُ الأجفانَ ماءً كأنه لأطلالها ملقى سماكٍ وعقْربِ
مَتى ما مَحَوْنا بالدُّموع سطورَها بأخْفافِها في كاغدِ الرّبْع يُكتَبِ
ومهما تعطّفْنا بانسان مُقْلةٍ أقدّتْ ضُلوعاً بالحنين المطرّبِ

وقد تحدث ابن اللواح عن الظعينة وارتحال المحبوبة، ووصف حالته إبان وداعه لها فقال:(٤)

أسيرَ الهوى قُلْ لي فما أنْتَ صانعٌ إذا ما بَدَتْ للظاعنين المصانعُ
وأنْتَ بأخفافِ الملاكدِ واقفٌ وطرفُك مطروق وعنسُك ضالعُ

---

(١) الديوان١/ ٢١١.
(٢) المصدر السابق ١/ ٢١١.
(٣) المصفن: صفن الفرس يصفنُ صُفوناً؛ قام على ثلاث قوائم وطرف وحافر الرابعة (المحيط، صفن).
الهجمة من الإبل؛ أولها أربعون إلى ما زادت أو ما بين السبعين إلى المائة أو ما دونها (المحيط، هجم)
شاو: الشّويُ والشّيّةُ- كعدة ؛ الشتاءُ. والشاوي: صاحبُه (المحيط. شوي).
(٤) الدّيوان ١/ ٢١٥.

عَشِيّةَ جدّ البينُ وانشقت العصا وجادَ بِدَمْعٍ في الوَداعِ الموادعُ
وسَرتْ شموسُ الحيِّ وسْطَ هوادجي مغاربُها فيها ومنها المطالعُ

وفي موضع آخر، يفدي بنفسه محبوبه الذي ذهب لوداعه، فجرت دموعه قبل دموع محبوبه، فقد وصف هذا الوداع بقوله:(١)

وبنفس الرّشأ الذي وَدّعتُهُ دَمْعي وأدْمعُهُ على وَجَناته
مُتَغيِّراً عند الوداعِ فمهجتي كادت به تنسلُ من عَبَراته
أكَلَ الهوى غَضّاً وأبْسَنى به فبَقيْتُ مَثْلياً على جمراته

وقد تحدث ابن اللواح عن شبابه عندما كان عذاره أسودا، وغصنه رطيبا مورقاً، تطمع فيه كل حسناء، فقال:(٢)

لأذكرُ فتيانَ الشبابِ الذي مضى ورَغدةَ عَيشٍ بالجُمومين طيِّبِ
بحيثُ عذارى كان أسودَ حالكاً وغُصْني رَطيبٌ مورقٌ غير أشجَبِ
أروحُ أجرُّ الذيلَ كُلَّ عَشيّةٍ وأسْحَبُ بُردي بين خشفٍ وربْرَبُ

ثم يروي قصة لهوه وغرامه مع محبوبته، فيقول:(٣)

وأغدو غداةَ الدّجْنِ لاهٍ مُغازلاً ربيبةَ خِدرٍ في الخِباءِ المطنّبِ
متى تسقِني راحاً من الراحِ قانياً تعلّ بظَلْمٍ أبيضِ اللونِ أشْنَبِ

ويصف بعض محاسنها الجسدية بقوله:(٤)

وتُسْدِلُ ليلاً تحتَهُ البَدرُ مُشْرقاً على خَوطِ بانٍ فوقَ دِعصٍ مُكَثّبِ

ثم يدير الشاعر حواراً بينه وبينها يبدؤه بها فيقول:(٥)

---

(١) الديوان/ ١/ ٢٤٧.
(٢) المصدر السابق ١/ ٢١١، ٢١٢.
(٣) نفس المصدر ١/ ٢١٢.
(٤) نفسه ١/ ٢١٢.
(٥) نفسه ١/ ٢١٢.

تقـولُ وقـد نضّتْ قِناعـاً وشـؤذراً وجـادتْ بِدَمْعِ العـاشِقِ المتَعَتِّبِ
فيـا حسنهـا إذ يغسل الدمعُ كُحْلَها وقـد مَسَحَتْهُ بالبَنانِ المخـضّبِ
أراكَ حـبيبَ النَّفْسِ أمسِ قَتَلْتَني وأنت تراعـيني بأذناب طُحلُبِ
إلى اللّهِ مِنْهـا كيفَ شـاءَتْ تقَلَّبَتْ على كُلِّ حـالٍ بـالهـوى المتَقَلِّبِ
أسَرَّتْ عِتابي حيثُ أبْدَتْ عـتابهـا كما أظهرت قـتلي بها وَهوَ بي غبي

وهنا يبدأ بالرد عليها ويبثها عشقه وكلفه بها في حديث أطول من حديثها له ويسميها باسمها وذلك في قوله:(١)

أعُلوةُ لا تبـدينَ أنَّكِ عـاشق وتُخـفينَ سُلوانَ الحـبيب المؤنّبِ
سـرائرُ دائي فـيك غـيـرُ خـفيَّةٍ فـهل فيكِ من حُبي كمـا منكِ حلَّ بي
فـبي شـاهِدٌ مِنْ حُبِّكِ اليـومَ عـاذِلٌ نُحُولي ووَلْوالي ودمـعي ومـذهبي
إذ هومَّ الخـالي تأوبّني الجـوى فـأعـقدُ طرفي في سمـا كلِّ كـوكبِ
تبـيـتين يا عليـا مَبـيتَ عـواذلي بطرفٍ مـتى يقطبْ له النوم يشـربِ

وفي موضع آخر، يصف أبو حمزة محاسن محبوبته بقوله:(٢)

وظبـيـةُ أنْس صـيِّبُ العين وردُها ومـسرحُـهـا من حيثُ ترعى به القَلْبُ
يُرقــرقُ مـاءُ الحُسْنِ في وَجَناتِهـا كـمـا رقـرقتْ دمـعـاً به سُحرَ اللُّبُّ
مُخَضَّبـةُ الأطرافِ من فـيض دمـعِهـا بحـيثُ جرى بيني ومـا بينهـا العَتْبُ
ترينا جَبينَ الشّمسِ من شرقِ وجْهِهـا كـمـا أنه يَبْدُو على مِرْطِهـا الغـربُ
شكا رِدفُهـا نحْفَ الوشاحِ كمـا شكا نوى العقدِ منها واشتكى ضيقَه القلبُ
تـطـاعـنُني مـن قَدِّهـا سَمْهَريـةٌ وجـرِّدَ لي منهـا وقـد بَطِرَتْ عَضْبُ
أسـيـرةُ حـجل مـا يُفَكُّ أسـيـرُها وتحجبُ عينَ الشمس وهي بها حجبُ
رحيبـةُ حجلِ السـاقِ ليـلاً طرقـتُها وصـدري على وقْعِ القنا واسعٌ رحْبُ

ويبعث الرسل إلى محبوبته، وهي تحجبها الحجاب عن وداعه، ويستوقف صاحبيه حيال هودجها، ويطلب منهما أن يودعاها بدلاً منه؛ لأنه لم يستطع توديعها، كما يقول:(٢)

---

(١) المصدر نفسه ١/٢٠١، ٢٠٢.
(٢) نفسه ٢/ ٨٥.

بَعَثتُ لهـا النـواظر يومَ حـزوى ... مـخـافـةَ عـينهـا لما حـزاها

وأحْجَبَهـا الحـواجبُ عن وداعي ... فـعنّي يا خليلـيْ وَدِّعـاها

قِفـا بحـيـال هَوْدَجِهـا وهذا ... فـؤادي بَلِّغـاهُ وأودِعـاها

وإن كـانتْ على عَهـدي وَوِدّي ... فـلا تحـرمْ وصـالي من دعـاها

ثم يذكر معاناته ووجده بمحبوبته التي يسميها ظميا، فيقول:(١)

أنـا الـشّاقي بهـا قُرْباً وبُعْداً ... فـيـا ليتَ الشـقيُّ بهـا شـقـاها

وعـهـدي غـيـر لاويةٍ بوعـدي ... وانْ ألوى بطيـتـهـا لـواها

خليـليَّ اربُعـا بـي في ربوع ... لظمـيـا قـبلَ حكمٍ من نواها

نُحـيِّـهـا بأكـوار المطايا ... ونسـتـسـقي المدامع في رُباها

وإن متُّ الغـداةَ بحبِّ ظمـيـا ... فَهَدْرٌ مـا جَنَتْ لا تـطلبـاها

فَطَرْفي قـاتـلي عَمْداً وقلبي ... ويُطْلَبُ بـالجـنـايـةِ مـن جـنـاهـا

فكأن ظميا عنده أعلى مكانة من عليا، فهي ليس لها ذنب، إن قتلته بلحظها، فالجاني هو طرفه الذي اعتدى عليها بالنظر عمداً، وقلبه الذي تعلقها، فكيف يؤخذ غير الجاني بجناية غيره.

أما عليا، فيقول لها:

فـإنْ تصلينِي تُرزقي شكر معـشري ... وإن تـقـتـليـني يـا عُليّةُ تُطلَبي

فهذه إن جنت عليه وقتلته تطلب.

ويصف أبو حمزة مغامرته العاطفية وزيارته الليلية لظميا بقوله:(٢)

وربّةَ ليلـةٍ والـطلُّ يـجـري ... على مـتْني طرقتُ سـرى خِبـاها

بهـانمٌ العـبـيـرُ إليّ ليْلاً ... كـمـا أوشى بهـا عندي حُلاها

أيُغْشـرني طنابُ قـبـابِ حيٍّ ... عـواسلُهـا جـوانبَ مُصطلاها(٣)

---

(١) الديوان ٢/ ٨٥.

(٢) المصدر السابق ٢/٨٦.

(٣) عَسَل الرّمْحُ يَعْسِلُ عَسْلا وعَسَولا وعُسُولا وعَسَلاَ. اشتدّ اهتزازه فهو عاسلٌ وعَسَّال. (المحيط. عسل). اصطلى: استدفأ. (المحيط. صلى).

فبتُّ مطارحاً كالطيفِ لمّا تقطَّع في أماقيها كراها

كما نجد عنده النزعة الحسية في وصف المغامرة دون إطالة، فيقول:(١)

فباتَ عقاصُها بيدي وباتتْ تراشفُني الأشانبَ والشَّفاها(٢)
فبرّدَحرُ قلبي بَرْدُ ظَلْمٍ إذا رقَدَتْ يَمُجُّ به لَماها
ومُذْ لاح الصباحُ تعلقتْني كما أعلَقْتُ قلبي في هواها
وأرْعَشَها حنينُ الشَّولِ حتَّى بقائمِ مِخْذَمي التَوَتا يَدَاها(٣)

وإذا تساءلنا. هل لابن غسان محبوبات فعلاً؟ وهل هذه المغامرة حقيقية؟ أم هي من وحي شعره؟

إن مكانته الاجتماعية والعلمية وما عرفناه به من تقوى وصلاح وورع، يجعلنا نشك أن يكن له أولئك المحبوبات، وإنما تلك المغامرة والمحبوبات من وحي خيال الشاعر ليس إلا، أما سمات الغزل عنده، فإنه لم يفرد قصائد له، وإنما جاءت في قصائده ومقدماتها، واتسم غزله بالتقليد من حيث ذكر الطلل ورسومه وربع المحبوبة وذكر مواضعها، ووصف حالته في وداعه لمحبوبته، وتحدث عن حالته في أيام شبابه، كما وصف بعض محاسن محبوبته الجسدية، واتسم بأسلوب الحوار بينه وبين محبوبته.

وسمى بعض تلك الفتيات اللاتي كلف بهن، ووصف بعض مغامراته العاطفية وزياراته الليلية لبعض أولئك الفتيات، وظهرت عنده النزعة الجسدية في وصف تلك المغامرة.

---

(١) الديوان ٢/ ٨٦.
(٢) العقيصة: الضفيرة. جمع عقَص وعقاص. (المحيط. عقص).
الشَّنب: محركة. ماءٌ ورقة وبَردَ وعذوبةَ في الأسنان (المحيط. شنب).
(٣) الشَّوْل: ناقة شائل تشول؛ بلبنها للّقاح ولا لبن لها أصلاً. (المحيط. شول).
مِخْذَمي: سيفٌ خَذِمٌ ككتف: قاطع. (المحيط. خذم).

مثل (منبعق، رزان، صهصلق، رجاس، هجام). كما نلاحظ التكرار في أبياته ومعانيه في مثل قوله:(١)

متى خبا البرقُ هبَّتْهُ الصَّبا فغدتْ تنقضُ كالجمر منثوراً عقائقه
وإن ونى الرعد تحدوه الجنوب فلم تَنْفَكَّ تُرْزِمُ إرزاماً أيانقُه

فإن هذين البيتين تكرار للبيتين السابقين هما:

إذا خبا البرق هبته الصبا فغدا كمثل قدح مثير الجمر وقّادِ
وإن ونى الرعدُ تحدوه الجنوبُ فلا يزال في إثرها كالمطرب الحادي

وفي وصف الرياض التي تنشأ بعد هطول المطر والنباتات ذات الألوان الزاهية يقول:(٢)

والروض قد بسطت بسط الربيع به من أبيض يقق أو أحمر جادي
وبالبَرَازِخ حَلْيٌ من صياغته مقلّداً بين دكداك واعقاد

والأشجار الكبيرة الملتفة والزهور . يقول فيها:(٣)

وصافحَ الدوحُ وجه الأرض مائدُها وظلٌّ يخطر كالنشوان ناظرُها
فالرَّنْدُ منتصب والنفضُ منخفضٌ والشّيحُ ترفعه عنها صنابرُها(٤)

أما وصفه للمياه والظل والسحب والنسيم بعد سقوط المطر فيقول فيه:(٥)

والماء منصرف منه وممتنع والغُدر تجمع حيث الجمعُ كاسرُها(٦)
والظل يَسْرق بين الدوح خُطوتَه كمثل ما سرق الأبصار ساحرُها
والشمسُ تنظرُ من شَطْرَي حدائقها كمثل ما نَظَرَ الخَدْراءَ غائرُها
فالسحب سافحةٌ والغُدْرُ طافحةٌ والوُرق صادحةٌ بَحٌّ حناجرُها(٧)
وللنسيم شذى من فيح زهرتها كفارةٍ قذفتها الختم تاجرُها(٨)

---

(١) الديوان ٢/ ٧٥
(٢) الديوان (المخطوط) ١١٠
(٣) الصحيفة ٢/ ٣٩٨
(٤) الرند والنفض والشيح والصنوبر: أزهار . (شرح البهلوي) . وفي التاج: النّفَضُ: محركة الفاء: ما سقط من الورق والثمر (مادة نفض)
(٥) الصحيفة ٢/ ٣٩٨
(٤) منصرف: جاري بعضها وبعضها راكد. تجمع: تمتلىء. كاسرها: مجريها (شرح البهلوي)
(٧) سافحة: هاطلة. طافحة: ملآنة. صادحة: نائحة (المصدر السابق).
(٨) الفارة: نافجة المسك (فار). وفارة المسك: رائحته. (التاج. فور)
الختم: لم أجد لها معنى يناسب السياق

ويلاحظ على بعض تراكيبه غرابة وغموض كمثل قوله (كفارة قذفتها الختم تاجرها) فإذا عرفنا أن الفارة رائحة المسك. فماذا يقصد بالختم و (التاجر)، وقد بحثت في أسماء الرياح فلم أجد معنى للختم فيها. وربما تعزى هذه التراكيب الغريبة إلى تقليد أبي حمزة للقدماء من الشعراء. فقد جاء في شعر الأخطل قوله:(١)

كأن فارةَ مِسْكٍ غار تاجرُها حتى اشتراها بأغلى بيعه التَّجِرُ

وقد وصف أبو حمزة السفينة التي ركبها وهو قاصد إلى مكة المكرمة فقال:(٢)

وتارةً في بُطونِ العائماتِ لها أزِمَّةٌ مِنْ وَرَاها تحكُمُ العنقا
لا رُوحَ فيها ولا فيها جرى نَفَسٌ فكلها جسد قد صيغَ متفقا
لا تشتكي لَغَباً في السيرِ أو تَعَباً ولا بها الجسرُ حتى تشتهي الشبقا
شرابُها الصِّلُّ إنْ تظمأ وإن سَغِبَتْ فالقارُ تُطْعَمُ لا القيصومَ والسُّمقا
ريحُ القبول لها في اليم قائدة وساقها سائق الحدواء مصطفقا
بهم تشقُّ عُبابَ اليمِّ قاصدة ليلى وقد جعلت شُهبَ السما طُرُقا

وقد وصف مسير ناقته وتعبها ومعاناتها من مشاق الطريق فقال:(٣)

فقد طالما سِرْتِ الدَّفقَّى وفوز من مسيرك قد سار الدفقّى وهملجا(٤)
ويا طالما دأبْتِ والآل سابحٌ فكنتِ سفيناً فيه لما تَمَوّجا
ويا طالما أدخلت والليل أليلٍ ومن يبتغي ما يبتغي النومَ أدلجا
ويا طالما رافقتِ في الدوِّ ريدها وفجفجتِ حيثُ الأجدلُ السهْمُ فجفجا(٥)
وذا ذُكِرَتْ ليلى ترزّمْتِ مثلما ترزَّمَ مخلولٌ على الخلفِ أزعجا(٦)

وقد عدد المُلوحي بعضَ الموارد التي كان يرد منها الماء هو وأصحابه وذكر أمكنة تلك الموارد وما بتلك الموارد من القذى الذي يعكر صفو الشراب فقال:(٧)

---

(١) ديوان الأخطل . ١١٥ ط١ . دار الأصمعي بحلب- سوريا ١٩٧١م
تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ٢/ ٦٤٤
(٢) الديوان ١/ ١٥٦
(٣) نفسه ١/ ١١٢
(٤) مشى الدّفقّي: أسرع   هملج: الهملجة: حسن سير الدابة في سرعة (التاج. هملج)
(٥) الرَّيْد: التِّرب. والحَرْف الناتيء من الجبل. وريح رَيْدة ورادة وريدانة: لينة الهبوب (التاج. ريد)
فجفجت: الفجفج: الكثير الصياح والجلبة. الأجدل: الصقر (التاج: جدل)
(٦) ترزمت: ارزمت الناقة: حنت إلى ولد غيرها .
(٧) الديوان ٢/ ٢٠٦

كم كم قطعتُ إليــه أنجُداً وفـضــا ... وكم ركـبْتُ جـواري قــصـده ونضـا

وكم وردْتُ على عُقبى الظّما حَرَضا ... وللســــراب يلامـــيعٌ على الشُّهُبِ

ومـنـه سِرْتُ عـلى خَرْجٍ فَقُمْتُ عـلـى ... آبارها أرتوي من مـــائهـــا عَلَلا

والبـعضُ منه هجـيـرٌ والقليل جلى ... والماء كـالناس من صـافٍ ومـؤتشِبِ

وقـــد صَمَدْتُ إلى جـــوّ وردت به ... مـــاءً كــمطْعَم شَرْيٍ عند مـشــربه

وفي خنبَّقـــة عـــقـــبى تَنَكّبـــه ... وردتُ مـاءً كـمـاء العـشـر والغـربِ

وكم وردتُ وأصــحــابي من الشُّعَرا ... مـــــاءً أمــــر من الدفْليِّ والصّبرا

ومن جنـابي كمْ مِنْ واردٍ صـــــدرا ... مــنّا ومُعْتَقــب فــي إثــر مُعْتَقــبِ

وكم وردنا قُبـــا بـالأنْيُقِ الشّنفِ ... ومـاء مـران يجـري غـيــر ذي وطف

وكم وردنا عـلى عُقــبى نوى قُذُفِ ... عِرْقــاً وردناه للإحــرام في عــصـب

من سمات الوصف عند الملوحي الإغراب في الألفاظ والتراكيب وخصوصاً في وصفه للرعد والبرق وقضقضة جريان السيل وانحطاطه من أعالي الجبال والحنين الذي يحدثه الوادي، فإن ألفاظه غريبة حوشية وكأنك تقرأ لشاعر من أعراب الجاهلية. وكذلك التكرار في الألفاظ، فقد كرر لفظة «طالما» أربع مرات في أبيات سابقة.

وإني لأرجع هذه الغرابة والوعورة إلى طبيعة بيئته الجبلية التي عاش فيها. فهو من سكان وادي بني خروص وبالتحديد من قرية ثقب، وذلك الوادي على سفح الجبل الأخضر شمالاً والسيل يتوسط تلك القرى فبعضها يقع بين حافتي ذلك الوادي والبرق والرعد يضرب في أعالي تلك الجبال فيرتد صداه على تلك القرى وقد يرى الإنسان رأي العين انقضاض مياه الشعاب من أعالي الجبال فتصب في الوهاد فتتجمع فتسيل أودية.

والشاعر يرى تلك الطبيعة الجبلية الوعرة بعينه فتستحيل عنده إلى أفكار وعبارات فيصبها في قالب شعري بلغة تناسب تلك البيئة في خشونتها ووعورتها.

الهجاء

لم يكن أبو حمزة هجاء، فليس من شيمه الهجاء لما اتسم به من ورع وتقوى.

إلا أننا وجدنا في بعض مكاتباته لأهل إزكي قصيدة جواباً لأحد أصدقائه. مطلعها: (١)

كتابُك يا مَنْ لا تخونُ مناجِبُهْ أتانا فكان الحاضرَ العَيِن غائبُه

يذكر ذلك الصديق لأبي حمزة أن لا يصدق ما سمعه من القيل والقال، فما هي إلا بُغية مغرضين. فلعل ما سمعه أبو حمزة عن أولئك المغرضين حزّ في نفسه واستثار كوامنها، فهبّ يحذرهم قائلاً:(٢)

ألا مبلغُ الأعداءِ عنّي رسالةً وبئسَ الفتى إنْ لمْ تَعِظْهُ مصايبُهْ
فإياكمُ لا تفجُرو البَحْرَ بَعْدَما به هبّت الحدْوا وجاشَتْ غَوارِبُهْ
ولا تَسْتَثيروا الأفعُوانَ فَسمُّهُ بأَجْباهِكُمْ إن تَسْتَثيرُوه خاضبُه
وإيّاكُمْ بازي القَريضِ فإنه سَيُدْرِك منكم كَلّ ما هُوَ طالبُه
جَحافِلُه أقلامُه وجُنودُهُ محابِرهُ والقاتلاتُ غرائبُه

فبعد أن حذرهم بأنه البحر فلا يفجروه فيغرقون في يمّه وإنه الثعبان القاتل لا يستثيروه فيصب سمه في جباههم، وإنه صقر القريض وسيدرك منهم مطالبه، أخذ يفتخر بنفسه وبقومه قائلاً:(٣)

أيَثْلِبُني مَنْ ليس يسْوي نعالتي ومن تملأ الأفقَ الفسيحَ مثالبُه
فما أنا ممن في الأصالة مُدَّعٍ وما أنا مَنْ تخزيه يوماً أقاربُه
فإنّي مِنَ القومِ الّذين علِمتُمُ إذا قامَ فيهم سيّدٌ قامَ صاحبُه

فذكر أئمة بني خروص المشهورين بعدلهم، وذكر بعض مواقفهم المشهورة وما أحرزوه من نصر ضد أعداء الإسلام، كالإمام الصلت بن مالك الذي طرد الأحباش من جزيرة سقطرة وغيره من الأئمة الذين ثبتوا دعائم الإمامة في عمان، وذبوا عنها الطغاة والطامعين إلى أن قال:(٤)

وإني على آثارهم مُقْتدٍ بما لنا أسسوا والحقُّ لله طالبُه

---

(١) الديوان (المخطوط) ١٧٧
(٢) المصدر نفسه ١٧٨
(٣) المصدر نفسه ١٧٩
(٤) المصدر نفسه ١٧٩

فيريد أبو حمزة أن يبين لصديقه أن ما تفوه به أولئك المغرضون راجع إلى دناءة أصلهم. وهو لا يريد أن يرد عليهم، فما من رجل فاضل إلا ويبتلى بآخر ناقص(١)

وما بغضتّني غيرُ لحزٍ عضارط	وكُلُّ دنيّ الأصْلِ لحزٌ عصايبُهْ
وحاشا لنفسي كل ما فاهَ فاحشٌ	على قدرِهِ فيما يفوه أجاوبُه
فما فاضلٌ إلا ويبلى بناقِصٍ	يُقَطِّعُهُ من خلفِهِ ويعاقبُه

ثم يقول:(٢)

وكُلُّ حمارٍ إن خلا فهو ناهقٌ	ويضرُطُ حتى كاد ينشق غاربُه
فيا ناكراً من مقلتي خُلةَ القذا	لعَينُك فيها كبكبٌ وأهاضبُه

أما قصيدته الثانية فقد قالها وهو في طريقه إلى المدينة المنورة عندما صحبه أناس من قرية المضيق، ورأى من أعمالهم السيئة وصفاتهم القبيحة الشيء الكثير. من ذلك عندما رأوه في المكان المخيف وحيداً تبرؤا منه. فاستقبح ذلك منهم وشكا إلى الله فمما قاله:(٣)

أيا رباه دعوة مستضيق	غريب الدار في البلد (المضيق)
صباحي مثلَ ما أمسي حزيناً	كأني قد ذهبتُ بحنفقيق(٤)
فكنتُ عزيزَ قومٍ بينَ قومٍ	به جهلوا أذلُّ من الوسيق(٥)
وأثمانُ النفوسِ لها قرارٌ	وكُلُّ بضاعةٍ تُهدى لسُوقِ

فقد ذكر أنه ابتلي بمرافقة رجالٍ لئامٍ أهل طربٍ وهوى، اعتادت نساؤهم الشّبقة على ضرب آلات الطرب كالربابة وغيرها، وهن خاليات من الجمال، بعيدات من القدود الحسان. فقال:(٦)

بُليتُ لديرة فيها رجالٌ	لئامُ أهل تصفيق وشيق
لهم في كل ذي نادٍ شهيقٌ	إذا اجتمعوا به كحمير سيق
إذا ضَرَبَ الرّبابَ لهم نساءٌ	تجيبُ الشبق سجلاء النهيق(٧)
هي الزّل(٨) العلاجنُ(٩) مثقلاتٌ	فقيراتٌ من القدِّ الرشيقِ

---

(١) الديوان (المخطوط) ١٨٠ (٢) نفسه ١٨٠ (٣) الديوان ١/ ٢٢٣

(٤) حنفقيق: لم أجد لها معنى في تاج العروس، كما لا توجد مادة حنفق فيه

(٥) الوسيقة: القطيع من الابل يطردها الشلال . (التاج. وسق) (٦) الديوان ٢/ ٢٢٣، ٢٢٤

(٧) السُّجْلاء: المرأة العظيمة المأكَمَة (المحيط. سجل)

(٨) الزل: الزّلاء الخفيفة الوركين (المحيط. زلل)

(٩) العلجن: المرأة الماجنة (المحيط. علجن)

وأكرمُ منهمُ للضَّيفِ إلاّ — نساؤهم الكريمةُ بالشبوقِ

فلما أن ذكر تلك الأماكن وعددها، قال: إنها قرى محرومة من الخير ولا يوجد بها صديق، ولا يجد الضيف فيها قِرى، وأن أهل تلك القرى يقتتلون على لقط البلح عند العشية وعند الشروق، وهم هزال الأجسام قد انحلهم الجوع، وقد شبه عداوتهم بعداوة الحيات، وهم كفرة، كأن ابليس قد ابتناهم لطاعته فيقول:(١)

قُرى قد حُرِّمَتْ مِنْ كُلِّ خير — ومن علِّ الصبوحِ أو الغَبوقِ
وما فيها إذا قُصِدتْ صديقٌ — وبئس الدارُ دارٌ بلا صديقِ
وليس بها لضيفٍ من مذاق — سوى بلح كصابٍ في الحُلوقِ
وبين أهيْلِهِ فيه قتال — لدى لُقطِ العشيةِ والشروقِ
من الجوعِ الذي منه تراهُمْ — أدَقَّ مَنَ الخلالِ أو السبوقِ(٢)
فهم جِلدٌ يُجولُ بين لحمٍ — على عَظمٍ يجولُ بهِ دقيقِ
وهُمْ أعدى من الحيّاتِ طبْعاً — وأكفرُ من دُجى ليلٍ غَسوقِ
بني إبليس في خُلقٍ وخَلْقٍ — لطاعتِهِ موانِعَ للحقوقِ

ثم بين المعاصي التي يرتكبونها فقال إنهم ضيعوا فروض الصلوات والحج والصيام، وعلى العموم فهم أهل ملاهي وفسوق، ويبيحون الوطء في المحيض، وأموال الناس عندهم حلال، فلا يفتخرون إلا بالبوقات وقتل الرفيق. كما يقول:(٣)

وهم هَدَموا الفُروضَ فلا صلاةٌ — ولا حجٌ إلى البيت العتيقِ
ولا صومٌ ولا عرفوا بملك الـ — يمينِ وما دروا حكم العتيقِ
وهم تركوا الصلاة وكُلِّ إربٍ — وهم أهلُ الملاهي والفسوقِ
ووطءُ الحيضِ عندهم مباحٌ — فخَضْبُ دِمائِهِ مثل الخلوقِ
ومالُ الناسِ عندهم حلالٌ — وهَرْقُ الدّمِ كالماءِ الهريقِ
وما لَهُمُ على الدنيا فَخارٌ — سوى البوقاتِ أو قتلِ الرّفيقِ

---

(١) الديوان ١/ ٢٢٤
(٢) الخلال: الخَلّ الرجل النحيف المختل الجسم (اللسان- خلل) السّبوق: السابق الخيل (التاج. سبق)
(٣) الدّيوان ١/ ٢٢٥

هذا هو هجاء ابن اللواح وقد اتسم هجاؤه بالمزج بينه وبين الفخر. فإن هجا افتخر بنفسه وبقومه وجعل ذلك في قالب التحذير، ألا ترى إلى قوله: (فإياكم لا تفجروا البحر، ولا تستثيروا الأفعوان، وإياكم بازي القريض).

وإن افتخر بقومه ذكر الأئمة العدول وما حققوه من نصر للإسلام، ثم يعود إلى نفسه وذلك في مثل قوله (وما الغصن إلا من عروق بها سما).

وهجاؤه اللاذع يكمن في البيتين التاليين:

وكُلُّ حِمارٍ إن خلا فهو ناهقٌ ... ويضرُطُ حتى كاد ينشق غاربُه

والبيت الآخر هو: (١)

وأطهرُ مِنهُمُ الزُّطّ البدايا ... لقَذْعِ الأمّهاتِ وللصفيقِ

(١) الديوان ١/٢٢٥

(٢) الزُّطّ: هم جنس من السودان والهنود، والواحد زُطّي. مثل الزنج والزنجي والروم والرومي. (اللسان- زطط).

ثانياً: الاتجاه الاجتماعي

تبادل ابن اللواح الرسائل الشعرية مع أصدقائه، وتحدث عن الصلات الاجتماعية والنفسية وعن الصداقة والصديق، وكانت أصداؤها جلية في شعره.

وتنوع الشعر الإخواني عند أبي حمزة بين التشوق والمدح والاستعطاف والتهاني.

كما ناقش بعض القضايا الاجتماعية التي حدثت في عُمان كالجدب والجفاف، وبعض الوقائع والفتن.

الإخوانيات

مكاتباته إلى ولده حمزة: للشاعر قصائد وجهها لولده حمزة وهي عبارة عن نصائح خلقية تربوية يستحثه فيها على طلب العلم والاجتهاد فيه والصبر والمثابرة. وقد وجهه إلى كيفية التعامل مع معلميه ومع زملائه طلاب العلم وبقية الناس الآخرين من فئات المجتمع، وحذره من دسائس الدساسين. وقد استشهدت بنماذج من هذه التوجيهات في حديثي عن النصائح. ولكن لا مانع أن آتي بنماذج تختلف عن تلك.

فمن ذلك مكاتبته له وبثه شوقه وولهه عليه كأن يقول:(١)

وَلَدي كَبِدي خَلَدي سَبَدي ... سَنَدي وعلى الأيامِ يَدي
الشوقُ إليك يململني ... كتململِ لَحْمِ المفتأدِ
فأبِيْتُ اللَّيْلَ أراعي النجـ ... ـمَ بِطَرفٍ أكْحَلَ بالسهدِ

ثم يتمنى أن لو تطاوعه الأيام فيزور ولده قائلاً:(٢)

فمتى الأيامُ تبايعني ... وَصْلاً بالصَرْمِ يداً بيدِ
مالي بكُمْ أبداً بَدَلٌ ... هيهاتَ وما مِنْ ملتحدِ

ويطلب من ولده أن يرفق به وأن لا يقطع اتصاله به سواء بالزيارة أو بالمكاتبة، فإن الأب يشقى لولده إذا انقطعت عنه أخباره فيقول:(٣)

مَهلاً بأبيكَ فَمُهْجَتُه ... بطرائقَ صارت ذي قِدَدِ
غَالتْ في الوجدِ مسائلُه ... بحسابِ ولُوعٍ مطَّرِدِ
والجسمُ يروقُك من تَرَفٍ ... وتراهُ يذوبُ على الكَمَدِ
فصلوا كَلِفاً دَنِفاً أسِفاً ... كطريحِ نفاثاتِ العُقَدِ

(١) الديوان (المخطوط) ١٢٤ (٢) المصدر السابق ١٢٤ (٣) نفس المصدر ١٢٥

وفي قصيدة أخرى ينبهه بأن لا يغفل عنه فإنه قد كبر وأكلتْ الليالي منه اللحم، وأصبح طريح الفراش كما يقول:(١)

أعُيَيْبَةِ سِرِّي أعـــــوني بدهري | إذا آدَ ظهـــري بما أنهـــضـــا
أراك غَفَلْتَ أباً شـــــايبـــــاً | لديه الطبـــيبُ غـــدا مُمْرضـــا
أكَلْنَ الليـــــالي إذاً لحـــمَهُ | وأعـظُمَه الهـمُّ قَدْ رضَّضـــــا
طريحَ الفـــراشِ لشـــيبِ الرياش | مـــهـيض الجناحين لن ينهـــضـا

مكاتباته مع غريب بن محمد وأولاده: تنوعت رسائل أبي حمزة مع غريب ابن محمد وأولاده خاطر ومبارك بين العتاب والتشوق، والمدح، والاستعطاف، والشكوى، والتهاني.

فمن استعطافه لخاطر بن غريب يقول:(٢)

فـــإلامَ تهـــجـــرُنا وتقطع وصلَنا | أيّ الذي عن وصْلنا أقـــصـــاكُمُ
نرجـــوكم لإســـائنا أنتم أسى | إذْ نَحْنُ منكم للأسى قـــاســـاكُمُ
واسُّوا مـــحـــبّاً بالمودّة فـــيكم | قـــد طال مـــا في حـــالِهِ واســـاكُمُ

ومن شكواه من الزمان وأهله قوله:(٣)

عـــاث الزمـــانُ ومن فـيـــه فَقَدْ عـــاثا | حتى غـدوا كُلُّهم في الحـال أغـلاثا
خـــيـــرُ الرِّجـــالِ تراهُ في زمـــانك ذا | ذباب في عُقَدِ الأســـواء نَفـــاثا
إذا طلبتَ مـــقـــرَّ الصـــدق من رجُلٍ | وجـدتَهُ عن خـلاف الصـدق بحـاثا
كـــأنما اتخـــذوا مـــا ســـاءَ من عَمَلٍ | ودنَّسَ الدينُ والأعـــراض مـــيـــراثا

ومن أبياته في التشوق إليهم:(٤)

أحبَّةَ قـلـبـي إن لـيـلـي عـلـى الـورى | قـــصـــيـــرٌ ومن شـــوقٍ عليّ طويـلُ
وقـــيل جـــمـــيلُ الصـــبـــرِ بالحُرِّ فـــائق | ومـــا عنكُمُ الصـــبـــرُ الجـــمـــيلُ جـــمـــيلُ
وقـــالوا قليلُ الشـــوقِ بالحـــزنِ عندهم | كـــثـــيـــرٌ وعندي فـــالكثـــيـــرُ قليلُ
وعـــندهُمُ أن البـــــخـــــيلَ بمـالِه | وبالنَّفْسِ عندي مـــنْ يَضنُّ بخـــيلُ
وَهَبْتُ لكم نفـــسي اشـــتـــيـــاقـــاً إليكم | فـــإنْ ذَهَبَتْ شـــوقـــاً فـــيكفَ أقـــولُ

---

(١) نفسه ١٢٦
(٢) الديوان (المخطوط) ١٢٤
(٣) المصدر السابق ١٢٤
(٤) نفس المصدر ١٢٥

والملاحظ على هذه الأبيات وجود المطابقة بين (قصير وطويل، وقليل وكثير).

ومن مدحه فيهم:(١)

فأنتُمْ ضيا عيْني وقلبي نياطُهُ ... وما عشتُمُ لي إنَّ عُمْري هو الدّهْرُ
يزينُ بكُمْ نظمي ونثري وغيركم ... يشين عليه نظمي الدُّرُّ والنَّثْرُ
وجدك إن الحُبَّ رزقٌ مُقَسّمٌ ... يحرّمُهُ زيدٌ ويرْزقُهُ عَمْرُ
رضيتُ بَكُمْ قِسْماً من الناس كُلّهم ... ولو صاحَ أهلُ الدّهرِ بالويلِ والدّهْرُ

ومن الملاحظ في بعض قصائده الإخوانية أنها تميل إلى اللغة التقريرية الإنشائية التي تؤدي كل لفظة منها إلى المعنى القاموسي لها فقط، وتقترب إلى النثرية الخطابية وتبتعد عن الإثارة والإمتاع الشعري الذي يحرك العواطف ويدغدغ الأحاسيس. نجد ذلك في مثل خطابه لخاطر بن غريب قائلاً:(٢)

سلامٌ كالرّياض عليك مني ... بِنَشْرِ بشامةٍ فاحَتْ ورنْدِ
وخُصَّ الأخوةَ الأبرارَ مني ... وَولدك إنّهم لأجلّ ولدي
وخُصَّ الأمَّ ذات الزهد عني ... وأهلَ البيتِ من حُرٍّ وعَبْدِ
ولا تنسَ المطوّعَ فهْوَ عندي ... جليلٌ وهو من أفلاذ كبدي

فلو تلمسنا معاني هذه الأبيات لقلنا إن معناها سلام عليك سلاماً عاطراً يفوح بعبير البشامة والرند. وهذا البيت لا كلام عليه، إنما الكلام على الأبيات التالية التي يقول فيها: سلّم لي على إخوتك وأولادك وأمك وأهلك؛ أحرارهم وعبيدهم. ولا تنس المطوع أيضاً. فهذه معان نثرية مكرورة في الرسائل النثرية. ومن تهانيه أنه هنأ غريب بن محمد بنجاته من ركوب البحر وهيجانه أثناء ذهابه إلى حج بيت الله الحرام.(٣)

وهنأ خَلَفَ بن خاطر بن غريب بعرسه. فمما قاله فيه:(٤)

والعرسُ يَهْنا به الزاكي الفتى خَلَفٌ ... به فقد سَعِدَتْ لما بها سَعِدا
سارتْ إليه مَسيرَ الشمس قاصدَةً ... لِسَعْدها حَمَلٌ لمّا بها اقتصدا
لا زُحْزِحَتْ عنه مُذْ في بُرجها ركَدَتْ ... ولا ذوى بُرْجُه عنها وقد ركدا
عاشا كما عاش لُقمانٌ وأنسرُهُ ... مَجْداً وعزاً وعيشاً دغْفَلاً رغدا
مِنْ فَضْلِ باريهما زُهْداً هما اكتسيا ... من فضله الجمِّ جم المالِ والولدا

---

(١) نفسه ١٩ (٢) الديوان (المخطوط) ٤٣، ٤٤
(٣) تنظر القصيدة في المخطوط ٨٣، ٨٤ (٤) الديوان (المخطوط) ٧

وقد تحدث عن الصلات الاجتماعية وتبادل الهبات والهدايا فقال:(١)

وإن دامَ لي مَنْ دُمْنَ عندي هباتُه فكُلُّ عظيم الخطب عندي به سهلُ
فَدَتْهُ العدى مما تمنَّتْ له العدى وعاشَ وهُمْ في تحت أخمصه نَعْلُ

وفي خطابه لمبارك بن غريب يقول:(٢)

مُباركُ يا مَنْ لَيْسَ ينسى فيَنْسى وعنّا على قُربٍ وبُعْدٍ فما أغضا
هداياكَ أمشاجٍ على البُعْدِ تأتنا وكتْبُك تسلينا وحفظك ما مضا

مكاتباته مع عبدالله بن أسد وولده أسد: للشاعر مكاتبات مع عبدالله بن أسد وولده أسد من أهل بلدة نخل التي يحددها الشاعر، ولا يكتفي بتحديد البلد بل يحدد المحلة وهي (الغريض) فيقول:(٣)

سقى الغَيْثُ نَخْلاً كلَّ يومٍ وليلةٍ فَعَلاً على علٍّ ونَهْلاً على نَهْلِ
وأخلَعَ في وادي الغريض بُعاعَهُ فطلاً على طلٍّ ووَبْلاً على وبْلِ

وفي إحدى رسائله لهم يقول مخاطباً:(٤)

أهلَ الغريضِ غريضٌ حُبُّكمْ أبَداً عندي على طول أبعادي وتَلدادي
أنتم بقلبي وعَيني الآهلون فلا برحتُمُ عند نوماتي وتَشهادي
ولو شربْتُ مياهَ النِّيل من صَداً شوقاً لكم لم أزلْ يا سادتي صادي

ويعتب عليهم كيف يهجرونه دون أن يقترف في حقهم ذنباً، فلا يكاتبونه، ولا الرسل الذين يأتون من قبلهم يُحَمِّلون السلام عليه. فيقول:(٥)

هجرتُموني بلا ذنبٍ جَنَيْتُ ولا عاداتُكم هذه عندي ولا عادي
عني صَدَدْتُمْ ولا كتبٌ ولا رُسُلٌ هيهاتَ عنكم فإنّي غيرُ صَدادِ
شهودُ حُبِّي لكم إلا قلوبُكم إني لراضٍ بها ما عشْتُ إشهادي

ويطلب منهم أن يواصلوه، إن لم تكن بالزيارة، وإلا فبالمكاتبة:(٦)

عُودوا مريضَكُمُ أهْلَ الغَريض ولَوْ بأسطرٍ منكُمُ للصبِّ روّادِ

---

(١) المصدر السابق ٣٧
(٢) نفسه ٩
(٣) الديوان (المخطوط) ١١٧
(٤) المصدر السابق ١١٠
(٥) المصدر نفسه ١١١
(٦) نفسه ١١١

ويثني على عبدالله بن أسد وولديه ويمدح محلة الغريض، ويشبهها ببيضة الإسلام وهي مدينة نزوى لوجود العلم والعلماء في كُلٍّ. فيقول:(١)

عـبدَ الإله وشـبليك الذين هُمـا غـايات سُؤْلي وتَطلابي وإسنادي
أكـرمْ بهم عَيْبَةً سـرُّ الإله بهـا فَضْلاً تـسلـسل زُهـاداً لـزُهّاد
غَريضُكم بَيْضـة الإسـلامِ لا بَرِحَتْ بِكُم وكُلُّكم بل حـيَّةُ الـوادي
نَخْلٌ بكم جَنّةُ الفـردوس خـالدةٌ فـيها المحلون من حضر ومن بادي

ويختم قصيدته بالسلام عليهم وعلى قبيلتهم وعلى القاضي سالم وعلى كُلٍّ من يرتاد ذلكم المسجد الذي يُصلّون فيه. فيقول:(٢)

أزكى السّلام عـليكمُ والـثـنـاء بـه نـادى المـنـادي بـه يـا مدْرَه الـنّادي
يخـصُّكُمْ يابني قَيْسٍ بأشـعـثـهِ لـوالدٍ مـنـكُمْ زاكٍ وأولادِ
وبلّغـوا سـالمَ القـاضي تحـيَّتَنا ومن بمسـجـدكم أو كُلّ مـرتادِ
وبالعـتـيكِ عـتـيكُ الحيُّ من يمنٍ أزكى السنا وتحـيـاتي وإنشـادي

ويؤملهم بأن يزورهم إن مدّ الله في عمره كما يقول:(٣)

وإن أطـال الإلـهُ الـعُمْرَ زُرْتـكـم لو كنْتُ أمشي على خدي وأكبادي
لأدْرِكَ الثـأرَ من دَهْرٍ بنا لعـبتْ أيـامُهُ لـعـب أزواجٍ وأفـرادِ

وكتب قصيدة رَدٍّ بها على الشيخ أسد بن عبدالله، أظهر فيها براعته في الصنعة اللفظية، إذ أن معظمها رد فيها الأعجاز على الصدور، ففقدت بعض معانيها التي يريدها. ومطلعها:(٤)

مُدامُ اشـتـيـاقي والتّيـاعي إليكُمُ سكرتُ بهـا لا سُكْرَ شـربِ مَدام
مـوامي الجـوى تهنا بهـا بَعْدَ بُعْدِكُمْ ولا كـمـوامي البين تيـهَ مـوامي
مـشـامي بروقـاً لا مـحـاتٍ يَمُرْنَكُمْ أذاب فـؤادي مُذْ أشمْتُ مَشـامي

إلى أن قال:(٥)

مـلامي على نفـسي لفـرقِ أحِبَّتي وليس على غـرْمِ المشـيح مـلامي
مـضـامي على أسـواءِ رأيٍ رأيْتُه وليس على حُكْمِ القـضـاء مضامي
مـصـامي لنفحِ من نسـيم جِنابِكم ولـولا هواكُمْ مـا أطلْتُ مـصـامي

---

(١) نفسه ١١١ (٢) نفسه ١١١، ١١٢ (٣) الديوان (مخـ) ١١٢ (٤) المصدر السابق ٨٦
(٥) المصدر نفسه ٨٧

وقصيدة أخرى طويلة قوامها اثنان وسبعون بيتا(١) كتبها لعبدالله بن أسد، جعل الحروف الهجائية مطلع كل بيت، بدءاً بالخاء حتى انتهى إلى الياء، وجعل لكل حرف بيتين، والتكلف في المعاني بادٍ عليها، والبحث عن الحرف الذي يناسب مطلع البيت؛ جعل بعض المعاني ركيكة. إلا أن خفة بحر الهزج جعلها حلوة رشيقة على اللسان. نختار منها هذه الأبيات:(٢)

سلوتُمْ يا أحبّتَنا ... وقلبي ما عَزا وسَلا
سلا دَمْعي على خَدّي ... وما للبين يومَ سلا
شللتُ ولا شوى سوقي ... لكم قَدْ أحْدَثَ الشللا
صَلا قلبي الهوى جَمْراً ... تظنّ به عليه صَلا

إلى أن قال:(٣)

فَلَلْتُ جيوشَ أحزاني ... بذكركُمْ بَدَتْ فَللا
قلا أحشايَ جمر هوى ... وحبّات الفؤاد قلا
قلا قلبي مُعَذّلُهُ ... فَعَنْكمْ من لحاه قلا
كلاكم من أعزكُمْ ... ولا كالٍ سواهُ كلا
كلالٌ مسّني حبي ... لِلَحْمي بعدكم أكَلا

مكاتبات متعددة: وهي قصائد أرسلها إلى أصدقائه إمّا راداً عليهم على مراسلتهم، وإما تحية لهم. وهي قصائد متعددة، منها مكاتباته لأهل الرستاق؛ ومنهم عبد السلام بن أبي الحسن الرستاقي ولجدة بن أبي الحسن، وقصيدة وجهها تحية للشيخ العالم محمد بن سعيد بن عبد السلام، وكتب قصيدة رداً على كتاب جاءه من الطبيب العالم طالب بن علي بن مبارك الهاشمي، وكتب تحية للشيخ العالم أحمد بن مداد الناعبي، وجواباً لصديقه الشيخ القاضي عبدالله بن عمر البُهلوي في قصيدتين الأولى رداً عليه عندما طلب من ابن غسان القصائد التي قالها في مدح الرسول -صلى الله عليه وسلم- والأخرى رداً على تهنئة وجهها له القاضي بقدومه من الحج. وقصيدة جواباً للشاعر عبدالله بن سعيد البُهلوي، وقصيدتين وجههما إلى مشيخة أهل إزكي. وسنأخذ نماذج من بعض هذه القصائد للتمثيل عليها. من ذلك ما قاله للعلامة عبد السلام بن أبي الحسن، بعد أن قدم للقصيدة بمقدمة في وصف الرياض والرعد والبرق وهطول الغيث. فقال متخلصاً:(٤)

(١) تنظر هذه القصيدة في المخطوط من ١٠٢-١٠٧
(٢) نفسه ١٠٣
(٣) الديوان (مخـ) ١٠٤
(٤) المصدر السابق ١٤٤

وقــد ضَرَّجَتْ خَدَّ الرِّياضِ شـقـائقٌ　　وناحتْ على أعـلا الغُصـونِ حـمـائمُ
بأطيبَ نشـراً من كـتـابٍ مُضَمَّنا　　خـلائقَ من أمـثـاله الدهرُ عـادمُ
كـتـاب لنا عـبـدُ السـلامِ أجادهُ　　كـمـا قـد أجادَ الدُّرَّ في السلكِ ناظِمُ

وفي ترحيبه بالكتاب قال:(١)

فـأهْلاً به من زائرٍ غـيـر زائر　　ومن ذائع بالحبِّ والوجـدِ كـاتمُ
وسَهْلاً به من قـادمٍ غـيـر قـادمٍ　　وقَدْ قُصِّصَتْ بالبين منّي القـوادمُ

وعن وقع الكتاب على خاطر الشاعر قال:(٢)

فكانَ لنا أحْلا من الما على الظَّمـا　　وكـانَ لداءِ الشـوقِ بالوصلِ حـاسِمُ
وأطْيبَ من شَرْخِ الشـبـابِ وغـيِّهِ　　لوامِعُ أسْطارٍ لهـا أنا شـايمُ

ويذكر أن من يتسلى بالكتاب عن صديقه فذلك الرجل غير خالص في مودته، لأن الكتاب وإن أطفأ حرقة الشوق إلا أنه يثير الجوى كما يقول:(٣)

وكُلُّ امـريءٍ يسليـه بالبين كـاغدٌ　　فـذلك في دعـوى المحـبـة ظالمُ
وإن كـان قَدْ أهْدى سـروراً فـإنَّهُ　　أثار جـوى منه تُفَكُّ الحـيـازمُ
فَمَنْ يدّعي دعـوى الأحـبَّة مـثلنا　　عليـه دليلٌ بالشـهـادةِ قـائمُ

إلى أن قال وهو يوجه له الزيارة:(٤)

أعـبـدَ السـلامِ المرتضى هل زيارةٌ　　كـمـا منكَ زارتني أيادٍ جـسـائم
مـسـائل علمٍ منك أصْلَحْنَ مـذهبي　　ونـيـلُ يدٍ منهـا تُذاعُ المكارمُ

وقال في مطلع قصيدته للشيخ العالم محمد بن سعيد بن عبد السلام:(٥)

أمـحـمـدُ يا ابنَ السـعـيـد سـعـيـدِ　　قـاضي القـضـاة أخي العـلا والجـودِ
يـا أعلمَ العـلمـاءِ بل يا أحْلَمَ الـ　　حلمـاءِ بل يا ملجـأ المضـهـودِ
يا أصلحَ الصلحـاءِ بل يا أفـصح الـ　　فـصـحـاءِ ياذا المنهل الموردِ

فهو يثني على علمه وحلمه ومكانته في المجتمع. وفي جوابه للطبيب العالم طالب بن علي الهاشمي يثني على صفاء سريرة طالب بتسطير تلك الألفاظ له قائلاً:(٦)

---

(١) نفسه ١٤٤　　(٢) الديوان (مخـ) ١٤٤
(٣) المصدر السابق ١٤٥
(٤) المصدر نفسه ١٤٥
(٥) نفسه ١٥٨
(٦) نفسه ١٦٠

كَشَفَتْ سـرائرُ وُدِّهِ ألفـاظُه ... كَشْفَ الغـزالة عن قناع غـياهبِ
أهدى إليّ غـرائبـاً من لفظِه ... فَجَعَلْتُهُنّ تمائمـاً لغـرائبي
وعـجـائبـاً أبدى لنا من فكره ... فَظَلَلْتُ أكـرعُ في ورودِ عـجـائب
هُنّ النجـائبُ بالمعـاني أرْقَلَتْ ... قـصـدي فَكَلّتْ دونَهُنّ نجـائبي
سَلَبَتْ أسـالبُه فـؤادي مُذْ أتَتْ ... فـوزاً له مُذْ صـار فـوز السـالبِ
مـتـزاوجٌ مـتـمـازجٌ مـتـدارجٌ ... مـتناسجٌ مـتـمـاشجٌ يا سـالبِ
إنْ قُلْتُ نَظْمـاً فـهـو نظمُ مـواكبٍ ... أو قُلْتُ نثـراً فـهـو نثـرُ كـواكبِ

وفي رده لصديقه القاضي عبدالله بن عمر البُهلوي نلاحظه يبالغ في مدحه بقوله (يا من جَلّ عن مثل في العالمين). وإني لأرى في هذا المدح غُلُواً فلنستمع إليه:(١)

وافى كـتـابُك يا مَنْ جَلّ عن مَثَلٍ ... في العـالمين فكان الشَوْلُ في الأملِ
أهْلاً به من كـتـابٍ زارني فـشـفى ... قلبي من الهَمّ أو جسـمي من الوَهَلِ

ويفدي الكتاب وكاتبه؛ لأن أسطره ضمنها خالص الحب كما يقول:(٢)

أفْديكَ من كـاتبٍ هذا الكتـابَ كـمـا ... أرسلـتَه وبيـان الحبّ فـي الرُسُلِ
ضَمّنْتَ أسـطُرَهُ مَحْضَ الـودادِ عـلـى ... شَحْطِ البـعـاد بوصلٍ غـيـر مُنْفَصلِ
أرْعَيْتَ لـي ذمماً لـمْ يـرْعَهـا أحَدٌ ... سـواك لي بحـفـاظٍ مِنْكَ لم يَحلِ

إلى أن قال له:(٣)

عـبـد الإله الرضي الزاكي فـتى عُمَر ... أجَلّ حـــاف عَلَمْنـاهُ ومُنْتَعِلِ
هنأتَني بقـضـا فـرضٍ ركـبْتُ إلى ... قـضـائِه سُفُناً أوْ كُورَ مُعْتَمِلِ

أما سمات الإخوانيات؛ فيمكن أن توصف بعض رسائل ابن غسان بذكر الأمكنة التي يقطن بها أصحابه، وتسمية أصحابه في إخوانياته وامتداحهم، ويختم رسائله بالسلام على آل صديقه الذي وجه إليه الرسالة، وذويه وعلى أصدقائه كذلك.

واتسمت بعض رسائله بالنثرية الخطابية، وابتعدت عن روح الشعر الذي تتناغم معه الأحاسيس. كالأبيات التالية:(٤)

أأحْبـابَ قلبي كـيفَ أنتُمْ ودَهْرُكُمْ ... عـسى في سـرورٍ بالسـعـادة شـاملِ

---

(١) الديوان (مخ) ١٦٥ — (٢) المصدر السابق ١٦٥
(٣) المصدر نفسه ١٦٦ — (٤) الديوان (المخطوط) ٣٠

وَهَلْ وصَلَـــتْ سُفَّارُكُمْ بَعْدَ بُعْدِهِمْ   إلى دارِهم ذاتِ المَقَرِّ ســمائلِ
وعـلْمُهُمْ فـي صِحـــةٍ وسَلامَةٍ   وإقبــالِ جـدٍّ بالغنائمِ قــابِلِ

وكقوله:(١)

وقُرَّةُ عــيني بلُغــوهِ تحــيتي   وخُصّوا عليّانا تحــيــاتِ ناسِلِ
وأبناءكم طرّاً وحــتى عـبــيدكم   وجيـرانكم أو منْ ضـيوفٍ وواغلِ

واتسمت إخوانياته بالحديث عن الصلات الاجتماعية؛ كتبادل الهبات والهدايا، كما ظهر عليها التكلف والتصنع والبحث عن الألفاظ الغريبة والمحسنات البديعية، كقصيدتيه التي وجههما إلى عبدالله بن أسد وولده أسد.

ووجود تكرار في ألفاظه وعباراته بل ويكرر أشطرا في بعض الأحيان كقوله:(٢)

إذا لاحَ لي بَرْقٌ بجرعا سَمائلٍ   يَظَلُّ له طرْفي وقلبي يبرُقُ

فقد تكرر الشطر الأول في قصيدة أخرى فقال:(٣)

إذا لاحَ لي بَرْقٌ بجرعا سمائلٍ   أصافحُهُ عن ناظري بأناملي

وتكررت بعض المطالع في إخوانياته من ذلك قوله:(٤)

لمّا ظَفَرْتُ إليكم بالواصل   لم أعتذرْ من خدمةٍ ومواصِلِ

فهذا المطلع تكرر شطره الأول في قصيدة أخرى فجاء فيها:(٥)

لمّا ظَفَرْتُ إليكمُ بالقاصدِ   ألزَمْتُ نفسي حقَّكم بمقاصِدي

وفي إخوانياته أساليب وعبارات لا يصلح أن تصدر من عالم مثله في ممدوحيه. من ذلك تنزيهه أبناء غريب بن محمد عن الضد فقال:(٦)

كلاكُمْ من الأسواءِ ما قد براكُمُ   ونزّهكم في العالمين عن الضّدِ

وكقوله مخاطباً خاطر بن غريب:(٧)

وألْثمُ تربَ نعلِك في ســلامي   فلثــميــه لعلّتيَ الشــفــاءُ
لتــعلمَ يا ضــيــاءَ العيْنِ مني   على بُعْدي فــأنتَ ليَ الضــيــاءُ

وكقوله:(٨)

أخــاطرُ أنتَ في قلبي وعــيني   مــحلٌّ لا يغــيِّرُكَ افــتــراقُ
وإني عــبــدُكم المملوكُ رِقّاً   ومــالي عن مكـارِمِكُمْ إباقُ

---

(١) الديوان (مخـ) ٣٠   (٢) المصدر السابق ٥٢   (٣) المصدر نفسه ٥٤   (٤) نفسه ٦٢
(٥) نفسه ٧١   (٦) نفسه ٦١   (٧) نفسه ٤٢   (٨) نفسه ٣١

قضايا اجتماعية في شعر اللواح

أما الأمور والقضايا التي ناقشها أبو حمزة في شعره فهي أمور اجتماعية، منها الجدب والجفاف الذي حدث في بعض مدن عُمان وقُراها، وطُلبَ منه أن يستسقي لها. ومنها بعض الوقائع والفتن التي حدثت أو كادت أن تحدث. فأسقط عليها شعره، وحذر منها أهله وأقاربه وأصحابه فنصح أهل عُمان عامة، وكأنه قد وجه لهم نصيحة قبل هذه كما يقول:(١)

نصحْتُ أهلَ عُمانَ قبلَ ذا فأبوا ... عن القبولِ ولا عن غَيِّهم آبوا
فحلَّ منهم بهم لمّا عَصَوا عَطَبٌ ... وكُلُّ نكرٍ فللنَّعماءِ عَطّابُ
تناطحوا فَغَدَتْ أوراق دولتهم ... مثلَ السحاب به الحدواء سحابُ

ومنها يقول:(٢)

يا بئسها بِعُمانٍ قَدْ فَشَتْ فِتَنٌ ... فالحاضرون لها مِنْهُمْ كَمَنْ غابوا

ولعل الفتن التي يشير إليها هي انتشار بيع الخيار في ذلك الوقت. والذي تحدثنا عنه في أثناء حديثنا عن الأحداث في عصر الشاعر.

وقد جعل الناس في تلك الفتن في ثلاث صور فقال:(٣)

وهم ثلاثةُ أقسامٍ قد اقتسموا ... راض وفاعلُ والباقي فخلابُ
وهم غَدَوا بعُمان بين أربعة ... وكُلُّهم لمعاصي الله خبابُ
فجاهلٌ سايدٌ ساءتْ مذاهبُه ... وعالم لتراث الناس ذَهّابُ
وزاهد ما درى فرضاً ولا سُنَنا ... أو كيف يوجب أو ما فيه إيجابُ
ومتربٌ فاتحٌ أبواب بيع ربا ... إنْ لَمْ يتبْ فله للنارِ أبوابُ

فأولئك القوم كما صورهم:(٤)

لقد أجابوا دعا الشيطان حيثُ دعا ... كيما يجوبوا ومما جابه جابوا
أحزابُ إبليس قد صاروا فليتَهُم ... لله صاروا وهُمْ لله أحزابُ

واستثنى منهم قلة وهم الصالحون فقال:(٥)

---

(١) الديوان (المخطوط) ١٧٤ (٢) المصدر نفسه ١٧٤ (٣) نفسه ١٧٤
(٤) نفسه ١٧٥
(٥) نفسه ١٧٥

حـاشـا القليلُ وهم أين القليلُ لهم في مـحكمِ الذكـرِ تمجيـدٌ وإنداب
فـالصـالحـون مـضت إلا الحـثـالة لا بهم ببـالي عظيمُ الشـان وهّابُ

ويصف قلوب أولئك الحثالة من أهل عمان بقوله:(١)

قلوبُ أهل عُمـان كـالقـسيِّ غَدَتْ ونطقـهم مـسـهـد كـالغـيث نشّابُ

ويستعظم تلك الفتن أن تقع في عمان ويَلَغُ فيها غالبيتهم:(٢)

الله أكـبـرُ هذي فـتنةٌ وَقَعَتْ لم يَنجُ من وقـعـهـا حـضـرٌ وأعـرابُ
وكلُّهم أولغـوا فـيـهـا كـأنهم سِيـدٌ لهـا أظفرٌ تفري وأنيـابُ

ويصف الناس وأحوالهم في تلك الفتن بقوله:(٣)

وهم عـصـائبُ قـد صـاروا وكلُّهم لأسطُرِ الطمع المرذُولِ عـصـابُ
لا عـالمٌ عـاملٌ تلقـاه مُغْتَـسلاً من المعـاب ولا الموجـودُ أوّابُ
حتى المسـاجد فـيـما بينهم درستْ لا منْبَرٌ غـيـرُ مـهـجـورٍ ومـحـرابُ
وقـد فشـا النكرُ فـيما بينَ أظهُرِهمْ وللعـمـارِ لعَمْري النكرُ خـرابُ
وقـد تَظاهَرَتِ الأحْقـادِ بينَهم عـابَ الزَمـانُ بَهِمْ مِنْ بَعْدِ مـا عـابُوا
تَرَوّسَتْ ذَنَبُ الأقـوام سـائدة وأرؤس القـومِ صـارتْ وهي أذنابُ
وإن تَقَدّمَ مـرتـابٌ بذي ثِقـةٍ فـالكلُّ منهمْ على مـا فـيـه مـرْتابُ

ثم يُقْسِمُ الشاعر لأهل عمان إن لم يرجعوا عن تلك الحالة التي هم عليها ليصبحوا مثل أهل الجنتين كما يقول:(٤)

تا اللّهِ إنْ لم يجـوزوا عن طريقـهم ولا يفكّ لهم قـصـدَ الرضى بابُ
ليُصْبِحـوا مـثل أهْلِ الجنتينِ لهم عن جنتـيـهم أراكـات وتنضـابُ
وَيَغْتَدوا وَهُمُ لـلـصّبْرِ أكـلـة وللنغـائصِ والأحـزانِ شـرابِ

وصور مآثر أهل عُمان الصالحين الذين ضمهم التراب فقال:(٥)

---

(١) الديوان (المخطوط) ١٧٥
(٢) المصدر السابق ١٧٥
(٣) نفسه ١٧٥
(٤) المصدر نفسه ١٧٦
(٥) نفسه ١٧٦

مَضَتْ رجالُ عُمانٍ في التـرابِ ثوتْ ... ومـا بقي لهُمُ في الجـيلِ أتْرابُ
دينُ الإله بهم قـد كـان ذا شَرَف ... وهو النَّجيبُ وهم فيه فـانجابُ
وقَدْ مَضَتْ رحمةُ الرحمنِ تُنْعِشُهمْ ... وأعْقَبَتْ بعدهم في العـقب أعـقابُ

ويوازن بين أولئك الصالحين الماضين، وبين الباقين. فيرى الباقين قوماً قد:(١)

تَشَهَّتْ الجـورَ فـاحتـالتْ طبـاعُهُمُ ... وأسْغَبَتْ وَوُلاةُ النُّكْرِ سـغـابُ
هابوا الجـبابرَ فـانقـادوا لَدَوْلَتِهِمْ ... لو أخلصـوا دينَهم لِلّهِ مـا هَابُوا
وكُلَّمـا سَخِطَ البـاري على بَشَرٍ ... ينالُهم من ذوي العـصيـان إرْعـابُ

فإذا بقي أربابُ تلك الدولة على ما هم عليه من النكر فإن عمان لم تبقَ لهم، بل تغدو وهي دارسة المعالم منهم:(٢)

عـمـانُ إن بقـيتْ أربابُ دَوْلَتِهـا ... في النكرِ مـاهُمْ لهـا أهْلٌ وأربابُ
تَغْدو المعـالمُ منهُمْ وهيَ دارِسـةٌ ... ورُبَّ نـادٍ فَيَغْدُو وهـو ربـابُ

ويطلب منهم أن يتوبوا إلى الله حتّى يتقوا عذابه فيقول:(٣)

تـوبُوا وأوبُوا فـإنَّ اللـه ذو كَرَمٍ ... فـلا يُعَذبُ أقـوامـاً وقـد تابُوا

ثم يقول لهم ستذكرون نصحي لكم في يوم ما فإنه نصح يوقظ الموتى لوتسمع وتنطق وتحس:(٤)

سَتَذْكُرونَ نصيحـاتي متى انحَطَمَتْ ... منكم على الذلّ أعْتـاقٌ وأصـلابُ
نُصْحي لكم يوقضُ الموتى ولَو سَمِعَتْ ... لأنْطَقَتْ بالرضى فـوز واعـذاب

والقضية الثانية التي أسقط ابن غسان شعره عليها هي الاستسقاء، وذلك أنه عندما أصاب مدينة سمائل جدب، طَلَبَ منه صديقه خاطر بن غريب أن يستسقي لهم فقال:(٥)

---

(١) الديوان (المخطوط) ١٧٦
(٢) الديوان (المخطوط) ١٧٧
(٣، ٤) المصدر السابق ١٧٧
(٥) المصدر نفسه ٥

أخي سنادي حبيبي عصمتي ثقتي　　منص ديني لدين المصطفى المدني
سألتني أستقي والاستقاءُ له　　شرائط يرتضيها الله لم تُخنِ

فعندما سأل ربه الخصب لأهل سمائل قال:(١)

فاسمع دُعايَ ولا تكسر وعايَ فذي　　يديْ مَدَدْتُ لنيل العفو والمنن
واخصبْ سمائل بالغيثِ المغيثِ هَما　　طَلاً وَوَبْلاً فمن ميكال للمُزنِ
فالمزْنُ مُرْتكمٌ والبرقُ مضطرمٌ　　والرعدُ مرتزمٌ والغيثُ في رَزَنِ

إلى أن قال مصوراً الغيث وهو يروي سمائل:(٢)

فللشِّراجِ خريرٌ لا تزال ولـلـ　　بُطان فيها هدير البُزّل الغدن(٣)
أروى سَمائلَ أعلاها وأسْفَلَها　　ودارَ كالفَلَك الدّوارِ بالحُضُنِ
وحانَ بالحاجرِ الغَرْبيّ حيثُ غَدَتْ　　أنهاره منه كالتيار للسُّفنِ

ودعا أيضاً بالسقيا لبلدة نخل وخص بدعائه وادي الغريض يقول:(٤)

وادي الغريض سقاك الله من وادي　　برائح سارياً أو باكراً غادى
هتانِ منبعقٍ رزانِ مُنْدَفِقٍ　　مرنانِ صهصلقٍ رجاسِ جلاد

إلى أن قال مصوراً:(٥)

ذاك الحيا لم يزل مسْحَنفِراً هَطِلاً　　مغتلفطاً وابلاً مستدبراً بادي(٦)
سقى الغريض فرواها وأخصَبَها　　وجادَ نَخْلاً من الأعقابِ للهادي

بل يدعو لكل القرى التي قرب نخل من مثل مُسْلِمات وأفيَ وحُبْرا والمِسفاة، ويصور مياه الغيث والمناطق التي حول نخل بقوله:(٧)

وعَمَّ كُلَّ مَسافي نَخْلَ من أمَمٍ　　ومن وراء فاغوار وأنجاد

---

(١) الديوان (المخطوط) ٥
(٢) نفسه ٦
(٣) الشَّرْجُ: مسيلُ ماء من الحَرّة إلى السَّهل، كالشَّرْجَة: والجمع شِراجٌ وشُروج (التاج: شرج)
(٤، ٥) الديوان (المخطوط) ص١١٠
(٦) مسحنفرا: لم اجد لها معنى، ولا توجد مادة حنفر في التاج.
مغتلفطا: لم أجد لها معنى ولا توجد مادة غلفط في التاج ويقال: سمعتُ غَطْمَطيط الماء، ارادوا، صوته، وتَغَطْمَط الماءُ: اضطرب (التاج. غطمط)
(٧) الديوان (المخطوط) ص١١٠

فللشـعـاب خـريرٌ نَحْوَ أوديةٍ ... لهـا هديرٌ هدير الأعـيس الغـادي
قـد هدَّه العـصم بالحمـام فـاختلطت ... بالزبد حـتى تلاقى البـحـرُ والوادي
فـأصْبَحَتْ نَخْلُ والدُّورُ التي علـقتْ ... بهـا كـذي روضـةٍ مَيْثـاءَ مَشْـآدِ

وقد استسقى لمدنية نزوى، وذلك بعد أن طلب إليه بعض مشيختها، فأنشأ قصيدة طويلة تقع في ثلاثة وثمانين بيتاً. مطلعها:(١)

إليك صَبَتْ أفـيـدتُنا ولاها ... أبا الله غـيـرُك لا إلاها
عظُمْتَ عن التّبـعُّض والتـساوي ... وأن تُحكى لشيء أو تضـاهى

فاستغفر الله تعالى فيها، ودعا واستسقى لعُمان عامة ونزوى خاصة فقال:(٢)

تَوسّلْنا بأطفـال صـغـارٍ ... وعُجْفٍ بهـائم مُنعتْ كَلاها
وعلَّ مـشـايخـاً في الأرض تدعـوا ... لنا وتجـيبُ أنت لهـا دُعـاها
فـإنّ المحْلَ قـد أبلى عُمـاناً ... وأنْتَ فـقـادرٌ تشـفى بلاها
فنطلُبُ منك أن تُنشي سـحـاباً ... ورَعْداً بَعْدمـا نشـأتْ حـداها

ومن دعائه لمدينة نزوى وتعليله استسقاءه وتخصيصه لها من بقية مدن عُمان قوله:(٥)

فـيـا ربّاه دعـوةَ مـسـتـغـيثٍ ... أجِبْ دعـوات ذي أمَلٍ ثناها
علـى عَجَلٍ بلطْفِكَ يا كـريمُ ... أغـثْهـا بعْدَ مَحْلٍ قـد عَفَاها
بلادُكَ بيـضـةُ الإسـلامِ نزْوى ... لجـا اللاجي الضـهـيـد إذا لجـاها
قـرارُ العـلم والعُلمـاءِ نَزْوى ... وأهلُ الزُهْدِ ناديهـا حـواها

ثم يتوجه بالنصح إلى أهل نزوى بقوله:(٦)

أطيـعـوا الرّبَّ يا أربابَ نَزْوى ... أريضـوا النَّفْسَ لا تركبْ ثآها
مُرُوا بالعُرْفِ وانهـوا عن نكيـرٍ ... وتَقْـوى اللـه لا تَضِروا عُراها

---

(١) الديوان ١/ ٣٨٧
(٢) المصدر السابق ١/ ٣٨٩
(٣) المصدر نفسه ١/ ٣٨٩
(٤) نفسه ١/ ٣٩٠
(٥) نفسه ١/ ٣٩٠
(٦) الديوان ١/ ٣٩١

فداركم الجنانُ وما سواها فنيرانٌ ولا بلدٌ سِواها
متى بالعدلِ نزواكم أصِينَتْ فَكُلُّ عُمانَ تَحْتَ لِوا لِواها
فكل عُمان من نَزْوى ونَزوى فمن رَجُلٍ أطالَ سما عُلاها

ويذكر الشاعر الأماكن العُمانية التي يقيم فيها أصحابه، فخاطر بن غريب يسكن في الحاجر الشرقي من سمائل، وابن غسان يقول له:(١)

يا نازلي الحاجرَ الشرقي لا فُقِدتْ أخلاقكم ومواليكم فلا فُقِدا

يدعو لمدينة سمائل بالسقيا ويعلل دعاءه لها، وهو أن قلبه استقر بها. وإن بَعُدَ عنها، فطيفها يأتيه في النومِ واليقظة:(٢)

سُقِيَتْ سَمائلُ كلَّ يومٍ صَيِّباً هَطِلاً يُواصِلُ وَبْلَهُ بِسِجالِه
بَلَدٌ بها قلبي اسْتَقرَّ ومُقْلَتي فَهُما لِشَحْطِ البين من خلالِه
في يقظتي يرتاعُ قلبي عنده أو نمتُ طارحني خَيالُ خيالِه
لا أبتغي عنها البديلَ وأهلُها لمحبتي فيها هُدى إبدالِه

وفي موضع آخر يقول: (٣)

لي في سمائل حاجاتٌ جَنَحْتُ لها يا ليتها لي على شَحْطِ النّوى جَنَحَتْ

ويرى أن سمائل في قلبه وعينه وغير سمائل فهي مثل الشوك في عينيه كما يقول:(٤)

سمائلُ في قلبي وعيني جديْدة وإنْ سِواها فهي في مُقْلَتي سَمْلُ
فأموالها مالي تُصَرِّفُها يَدي وَمعْقِلُها عقلي وأهلي لها أهلُ

ودعا شاعرُنا بالسعد لبُهلى فقال:(٥)

لا فارقَ السَّعْدُ بُهلى والذين بها عاشوا بأرغَدِ عيشٍ دِغْفَلٍ نَضِرِ
أكرِمْ بها بلداً والنازلين بها لَمْ يبْرحوا من فؤادي لا ولا نظري
إنْ نمتُ طارحني عنهم خيالُهُمْ أو انْتَبَهْتُ فَهُمْ في جوهرِ النَّظرِ

---

(١) الديوان (المخطوط) ص٧
(٢) المصدر السابق ٢٠
(٣) نفسه ٢٦
(٤) الديوان (المخطوط) ٣٧
(٥) نفسه ١٦٩، ١٧٠

ودعا بالسقيا لمدينة إزكي.فمما قاله فيها:(١)

يا عـارضـاً جُدْ على إزكي بِعـرّاضٍ من الحـيـا مُسـبَكرٌ غـيـر فيّاض
هـتّانِ منبَعـقٍ رزّان صـهْصَلَقَ مرنـان مـنْدَفـقٍ وكّاف نـبّاضِ
من الحـواملِ مـاء المزن راكـضـة بِكُل أسْحَمَ ملأ الأفقِ ركّاضِ

ويخص من أزكي مغيوث والمسفاة وسَدّي فيقول:(٢)

سقى الغيثُ (مَغْيوثاً) وَعَذْبَيْ عِذابَها وشف علـى (المِسْفـاة) يَفْتَرُّ باسِمَهْ
وأسدى (بِسَدّي) حيثُ زكّتْ جميعها من الماء إزكي وارجـحنَّتْ حـيـازِمُهْ

كما يخص بالذكر منها بعض أحيائها فيقول:(٣)

على (نزار) وأهل الفضل من (يَمَنٍ) وجمعة المرتضى والمرتضى القاضي

وفي ذكره للأودية التي تمر قرب إزكي يذكر منها وادي (حَلْفين) فيقول:(٤)

لِكُلِّ وادٍ هديرٌ والشّعابُ لهـا فيها خريرٌ فمن مستقبل ماضي
وسال (حلْفِينُ) من أعلى شمارخه لـهُ دَوِيٌّ بتَحْنـانٍ وتقضـاضِ

أما عن سمات شعر أبي حمزة في عُمان، فإنه ناقش بعض القضايا الاجتماعية التي وقعت آنذاك مثل انتشار ظاهرة الربا. فنصح الشاعر أهل عمان وحذرهم من أن يحل بهم عذاب أليم من الله، وكانت ألفاظه سهلة عذبة جزلة رشيقة.

ومن الأمور التي ناقشها قضية المحْل الذي حلَّ في مُدُنِ عُمان وقراها فطُلب من شاعرنا أن يستسقي لتلك المدن والقرى، فاستسقى لمدينة سمائل ولمدينة نزوى وإزكي ونخل ودعا بالسقيا أيضاً لمدينة بُهلى.

---

(١) نفسه ١٧٠
(٢) نفسه ١٨١
(٣) الديوان (المخطوط) ١٧٢
(٤) نفسه ١٧٠، ١٧١.

النصائح والحكم والمواعظ

تنقل ابن اللواح في بلدان كثيرة من مدن عمان وعاشر أقواماً مختلفة، وجالس الملوك والأمراء والعلماء والفقهاء والأدباء، وصاحب أناساً مختلفي الطباع، فأخلص له بعضهم وتنكر له بعضهم الآخر. وأثرت هذه الحياة الغنية بالتجارب في نفس شاعرنا. فأتحفنا بآراء قيمة ونصائح جمة وحكم خالدة تنتظم حياة البشر، أخذت حيزاً كبيراً في ديوانه، بعضها تناثر في موضوعاته المتعددة كالرثاء والإخوانيات وبعضها أفرد لها قسماً في ديوانه أخذ جانباً كبيراً منه.

وقد رأيت أن أقسم الحديث في هذا الجانب إلى قسمين:

النصائح

الحكم والمواعظ

النصائح: وهي النصائح الخلقية التربوية التي وجهها إلى ولده حمزة وغيره من أوفياء أصدقائه ومعارفه.

من ذلك قوله لولده حمزة طالباً منه أن يجتهد هو وأخوه في طلب العلم والسهر في الليل على القراءة كقوله:(١)

يا حمزة الثالث الباقي لعلكَ في — ستر من الله بالإخلاص تستَتِرُ

حرِّضْ أخاكَ على التعليم لا ضجِراً — فآفةُ الطلب التهويمُ والضّجرُ

أهدى الدليل إلى دنيا وآخرة — لمن يوفقه ذو المنّة الأثَرُ

والقال والقيلَ دَعْهُ عنْكَ مَكْرُمَةً — فلا تقل قال لي زيدٌ ولا عُمَرُ

اطلُبْ ووالدُك الباقي عليك فلا — تَدري أباكَ متى في القبرِ يُقْتَبَرُ

إلى أن قال له:(٢)

وارغبْ بِنَفْسِكَ عمّا يُسْتهانُ به — فالمرءُ منطقُه والقلبُ لا الصُّوَرُ

وفي قصيدة أخرى يناديه ويأمل أن يتحقق ظنه فيه:(٣)

يا قُرّةَ العَيْنِ يا بَرْدَ الفؤادِ أمَا — تُغْريكَ بي نُدبَتي من حيث أنْتَدِبُ

وفيك تحقيقُ ظنٍّ صادقٍ شرفاً — بأنك الشِّبْلُ للطِّيثارِ تَنْتَسِبُ

(١، ٢) الديوان (المخطوط) ١، ٢

(٣) الديوان ٢/ ٤٩

ومن نصائحه له مصاحبة أهل العلم والتقى، فقد شبّههم بالنجوم التي يستضاء بها في الليل الحالك(١).

وكُنْ بأهل التـقى والعلم مـقـترناً ... وعن أولي الجهل صاري الحبل مُنْتَوحا
صاحبْ أخا العلم والتقوى وكن فهماً ... فيما يفيدُ واحفظ كُلَّ ما شُرحا
أهلُ العلومِ نجومٌ يُستضاءُ بها ... إذا تراكمَ ليلُ الجهْلِ وانسدَحا

وقد وجهه أن يخدم أهل العلم وأن يتردد على أبوابهم وأن يقصدهم في الرفد ويلين لهم جانبه، فقد جُوِّز لطالب العلم أن يتملق لاستاذه وأن يكثر من المساءلة والمناقشة ولا يستح من ذلك:(٢)

وكُنْ لذوي العلمِ ما عِشْتَ عَبْداً ... لِتُعْبَدَ مُذْ كُنْتَ عبداً لعَبْدِ
وقِفْ قَصْدَ أبوابِهِمْ طالباً ... فَرِفْدُ ذوي العلمِ أبْرَكُ رِفْدِ
ولِنْ وتَملَّق لهمْ فهو حِلٌ ... يُقالُ وفي غيرهم فهو مُرْدِي
ولا تستحي منْ سؤال فإنّي ... رأيتُ السُّؤالاتِ للعلمِ تُجدي

وينصحه بتقوى الله سبحانه وتعالى وبر الوالدين ورضاهما فقال:(٣)

تَقْوى الإلهِ فَقَدْ أوصيك فاتّقِه ... تُفْلِحْ إذا أفْلَحتْ في الموقفِ الفُلَحا
والوالدين فقد أوصيك بِرَّهُما ... فاغضَبْ إذا غضبا واصفَحْ إذا صفحا
رضاهما من رضا الباري عليك فإن ... تُغْضِبْهُما تَلْقَ مِنْ إغضابِك التَّرَحا

ومن نصائحه أن لا يأمن نصيحة الأحمق؛ لأن الأحمق يظن بحمقه الشر خيراً. فإذا نصح دهى:(٤)

لا تأمنِ الأحْمَقَ الطَّياش نصحتَه ... كم منْه دارتْ على رأس الصديقِ رحا
من يصحَبِ الأحمقَ الثرثار غودِرَ في ... بحر من الجهل يَغْرقْه ولو سَبَحا

ونصحه بأن لا يأسف على ما فات ولا يفرح بما يمتلك من مال، وإذا قدر على فعل الخير فليسرع إليه ولا يتردد، وأن لا يفتح أبواب الشر، وإن أودع سراً فليكتمه ولا يبح به فقال:(٥)

---

(١) الديوان ٢/ ٦٠
(٢) الديوان (المخطوط) ١٢٣
(٣) الديوان ٢/ ٥٩
(٤) المصدر السابق ٢/ ٦٠
(٥) نفسه ٢/ ٦١

وعزّ نفسَكَ عــمّا فــاتَ مَطْلَبُه ولاتكنْ بنمــوٍّ المقــتنى فَرِحــاً
وإن قَدَرْتَ على خــيــر لتــفــعله أسْرِعْ وخـالف هوى الشيطانِ والبرَحا
وإن تعــرض بابُ الشــرِّ منغلقــاً دَعْهُ وأغلقـه إن لاتـاك مـفــتـتـحـا
وإن تـودِّعْتَ أســـراراً فـكـن أذناً صماءَ ما سمعتْ في الحال ما شرحا
وإن قَعَدْتَ بـنـادٍ كُنْ بـه جــبلاً وإنْ دَعَتْكَ الورَى كُنْ بـارقــاً لمحــا

ويأمره بأن يتحلى بحليّ أهل العلم كالحلم والصبر والزهد وأن يتعلم العلم لأجل العلم لا للمصالح الدنيوية ومُمَاراة الجهلاء، ولا للرياء كما يقول:(١)

وصـنْ حِلْيَةَ الـعـلـم بـالحِلْمِ والحـلــ ـمَ صُنْهُ بملبـوس صــبــرٍ وزُهْد
وكنْ صــاين العلم للـه فــرداً تعشْ فــيــه فــرداً به أي فــرْدِ
ولا تجــمع العـلم تـرجــو بـه مــصــالح دُنيــاك أو للتــعــدي
وإيــاك إيــاك بُردَ الـــرِّيـــا فــبُردُ الرِّيا قــيـل أقــبح بُرْدِ

وقد نصحه بأن يكون شخصيـة مستقلة برأيها لا تقتاده الرِّجال، وأن لا يكن ثرثاراً وأن يسكت عن السفيه، ويتئد في الجواب إذا سئل، وأن يجازي الصديق بوده كما يقول:(٢)

ولا تَكُ إمَّعــةً في الرجــال وثـرثـارة بـين هـزْلٍ وجــدّ
وجــازِ الســفــيــهَ بِتَرك الجــوابِ وجــازِ مُجــازيك وُدّاً بـودّ
ومــهــمــا سُئلتَ اتّئد في الجــوابِ لتــعــرفَ عُقــبى جــواب وردّ

ويمزج أبو حمزة النصائح بالحكمة. من ذلك قوله:(٣)

كــفى بتــصــاريف الأمــور أدلةً وبالدهرِ وعْظاً والعــقــولِ منادِحــا
فــهـذا زمــانُ القــالِ والقــيـلِ والقــلا فــلا ألسنٌ إلا وصــارَتْ جــوارِحــا
فَكَمْ مــاتِحٍ دلواً ومــاذاق شــربة وأنْقَعَ منهُ الغَلّ من لـيس مــاتحــا

---

(١) الديوان (المخطوط) ١٢٣
(٢) المصدر السابق ١٢٣
(٣) نفسه ١٣١

ومن نصائحه لأصدقائه المخلصين نصيحته التي وجهها لمحمد بن أبي العرب العفيفي:(١)

مُحـمـدُ يا ابْن بـلعَرَبِ مُشـافَهَةً وفـي كـتُبِ
نـصـحْتُكَ نـصحَ مُحْتَسِبِ وفي اسـتـبـقـاك من تَعبِ

ونصحه بأن يكون من الذين يتحملون المهمات الجسام لترتفع منزلته عند قومه، وأن يكون سيفاً مسلطاً على رقاب الأعداء، وأن يشارك أبناء عمه في السراء والضراء؛ فيصلهم إن قطعوه ويمنعهم إن منعوه كما يقول:(٢)

فـكُنْ مـن جُمـلـة الحُمَلا لـتـنـزلَ رتـبـة الـفُضَلا
فـإن الـقـادةَ الـعُقَلا لَفـي الـعـالـي مـن الـرُّتَبِ
فـكـنْ سـيـفَ بـنـي الـعَمِّ يـقَطِّعُ هـامـة الخـصْمِ
وفـي الـسرَّاءِ والـهَمِّ شـريـكاً غـيـرَ مُغْتـصَبِ
وَصِلْهُمْ إن هُمُ قـطعُوا وواصـلـهـم وإن مـنـعـوا
وانـزل كُلَمـا طـلـعـوا لـنـجـد فـيـك بـالـثُّلَبِ

ونصح شخصاً يسمى دهمان فقال له:(٣)

دهمـانُ بئسَ مـعـيـشـةٍ مَحْلوبةٍ بقـوارضٍ تشـوي الوجـوهَ لوافحِ
الـرزق مـن يـد رازقٍ يـأتـي ولا مـسـتـجلب رزقـاً بكدح الكادحِ
لا تـطلُبَنْ رزقـاً بـهـجـو إنما الـ أرزاقُ تُدْركُ بـالـقـضـاءِ الفـاتحِ

ونصح السلطان محمد بن أبي العرب بن صلت قائلاً له في مطلع القصيدة:(٤)

ألا من مبلغٌ مني السلاما محمد ابن بلْعَرَبِ الهُماما

وعندما بدأ النصيحة قال:(٥)

---

(١) الديوان ٢/ ٥٢
(٢) نفسه ٢/ ٥٢
(٣) المصدر نفسه٢/ ٥٦
(٤) الديوان (المخطوط) ١٤٢
(٥) الديوان (المخطوط) ١٤٢

وشـــرحُ نصـــيـــحـــةٍ مني إليـــه وإن كـــرِهَ النصـــيـــحـــة أو آلامـــا
إذا مـــا المجـــدُ ســـيَّده صـــبيٌّ فـــلا يَقْوى الزمـــانُ له انهدَامـــا
وكُلُّ فـــتى نشـــا للمـــجـــدِ ســاعٍ فـلم يَسْمَعْ لِلائـمِه مـــــلامـــــا
وبـــرُّ الـــوالـــديـــن أجـــلُّ شـــيءٍ فـــالزمْ فـــيـــهـــمـــا الصـــبرَ التـزامـا
فـــلا تجـــعلْ خـــتـــامَهُـمـــا جـــفـــاءً بل الحُسنى لهُمْ منْك الخـــتـــامـــا

الحكم والمواعظ: القصائد التي قالها ابن المُلَوَّح في الحكم والمواعظ كان لها مصدران أساسيان؛ هما الموروث الثقافي، ويشمل الديني والتاريخي وأخبار الأمم القديمة.

ثم التجربة الذاتية. فالعمر الطويل الذي أمدَّه الله سبحانه وتعالى لشاعرنا جعل منه إنساناً محنكاً خبيراً بالحياة مطلعاً على أسرارها، وقد تعرف على الناس وخبرهم وعلم غثهم من سمينهم وهو القائل:(١)

إنّي امـــروءٌ قـــد عَرَفْتُ الدّهرَ مَعْرِفـــةً أكـــلاً وشـــرباً وَمَسْمُوعـــاً وملتـــمـــحـــا
وقـــــــد حَلَبْتُ مـن الأيـام أشطُرَهَا وقـــدْ قَدَحْتُ زِنادَ الدهرِ فـــاقْتَدَحـــا
فَكِدْتُ أعلمُ مـــا كنّتْ ضـــمـــائرُهم ولو أردتُ بهـــا التـــصـــريح لا نصـــرحـــا

وختم حياته باحتقار الدنيا، وأخذ يذكر الغافلين بالموت والحساب والعقاب، وأرشد الناس إلى عمل الخير ونفرهم من المعاصي وهو القائل في دعائه ربه:(٢)

ولا تجـــعـل الدنيـــا قـــرينةَ مطلبي ولا تجـــعـل الأخـــرايَ عني على بُعْدِ
ومن لُطفِكَ اللُّهمّ أن تجـــعـل الردى بقلبي وعيني في منامي وفي سهديَ
وكُنْ قـــابلاً كـــدّى لأُخـــرايَ إنني أحبُّ لهـــا منِي تكون شـــقـــا كـــدي
وبغِّض لي الدُّنيـــا بحـــبـــيِّك إنهـــا حِبـــالة سُوءٍ تقـــبضُ الروحَ بالفَرْدِ

لذلك غلب على مواعظه التذكير بالموت والحساب والثواب، وأبلغ موعظة وأطولها عنده تلك التي سماها (الريحانة الفائحة) حيث بلغت أبياتها ١٤٧ بيتاً استهلها بقوله:(٣)

هذي ديارُهم وذي أطلالُها دَرَسَتْ فأيْنَ تأهّلَتْ أهَالُها

---

(١) الديوان ٢/ ٦١
(٢) المصدر السابق ١/ ٣٢١
(٣) الديوان ١/ ٣٩٣

فبدأ موعظته بذكر الأطلال الدارسة التي كانت دوراً وقصوراً لأصحاب أولئك القبور. فقال: إن كنت تسأل تلك الديار، فمن المحال أن تجيبك. فقد تغير حال أصحابها كما تغير حالها؛ غيرتها الطبيعة بعواملها، من سحب ورعود وبروق ورياح وأمطار فأضحت خالية يبابا بعد أن:(١)

كانوا بها في نعْمَةٍ وسعادةٍ حَسِبوا الدوامَ ولا يكونُ زوالها
كانتْ نواديهم إذا غصَّتْ بهم قالتْ لها الوفادُ: حلّ حلالُها
الخيلُ هُمْ قوادُها لوفودِها والإبلُ والذّهَبُ النُّضارُ نوالُها

فوصف حال أولئك القوم ونخوتهم وكرمهم وقيناتهم ولمعان سيوف فرسانهم وجمعهم للأموال. إلى أن نزل بهم المنون وشربوا كأس الردى فصاروا:(٢)

بَعْدَا الفضا نزلوا دياراً في الثرى صُم الجنادلِ فوقَهم أقفالُها
فيها تغير حُسْنُ أوجُههم وقد قُطِعَتْ لرابعِ ليلةٍ أوصالُها

إلى أن قال:(٣)

للنفخةِ الأخرى التي قامتْ بها من رَمْسِها أمواتُها غفالُها
وتَبَعْثَرتْ عنها القبورُ وأُخْرِجتْ من كل أرضٍ بُدِّلت أثقالُها
وتَحَدَّثتْ أخبارُها عن حالِها وتكشَّفتْ عن سِتْرِها أعمالُها
يا ساعةً ذُهِلَتْ مراضعُها بها والحاملاتُ تساقَطَتْ أحمالُها

فقد ذكّر الناس بذلك الموقف العظيم والهول الجسيم الذي تعطى فيه الخلائق صحائفهم ويقسمون على ضوئها إلى شقي وسعيد:(٤)

فأولو الشقاوة للجحيم مَضَتْ بها شُدادُها خزانُها كبالُها

ويحلق بمخيلته إلى وصف عذاب أهل النار كيف يجرون على أنوفهم بالسلاسل والأغلال، تجرهم ملائكة غلاظ شداد، يقمعون بمقامع من حديد ويُدَهْدَهُون في نار جهنم حتى يصلوا

---

(١) المصدر السابق ١/ ٣٩٤
(٢) نفسه ١/ ٣٩٦
(٣) المصدر نفسه ١/ ٣٩٦
(٤) نفسه ١/ ٣٩٦

قعرها فيستغيثون ولا من مغيث، ثم يصعدون من قعرها إلى جبال شاهقة بئست تلك الجبال، ويظلون في ارتقائها ألف عام، فإذا ما انتهوا إليها هُدتْ بهم تلك الجبال فيسقطون في قعر جهنم:(١)

قالوا أمالِكُ هَلْ لنا مِنْ رَجعة أو مُذْ عثَرْنا عثرةً نُقالُها
قال اخسأوا فيها وويلكمُ بها النار مثواكم وأنتم صالُها

فهم بين أفاعي كجذوع النخل وعقارب كالبغال تنهشهم كنهش الذئاب وأقل ذلك العذاب أن يلبس الكافر نعلين من نار يغلي بها دماغه، يدعو فلا يستجاب له، مسرمدا فيها.

ثم يأتي إلى ذكر الفئة الأخرى:(٢)

وأولوا اليمين إلى الجنانِ تزفها أملاكُها زفَّ العرايس آلَها
دَخَلتْ برحمةِ ربِّها وسعادةٍ سَبَقَتْ لها من فضلِه أفضالُها

فينثني إلى وصف نعيم أهل الجنة حين يقال لهم: «ادخلوها بسلام آمنين» تستقبلهم الحور العين فرحين مستبشرين، يرتقون القصور العاليات ترابها من المسك ورملها من الزعفران، وفرشها من الحرير وبها الكراسي الحسان:(٣)

ونمارقٌ مصفوفةٌ وزَرَابيٌ مَبْثوثةٌ ومصوراً هلهالُها
ظلَّ الوليُّ يعانقُ الحَورا بها في خُلوةٍ ما أحضرت فيُقالُ ها
سبعون عاماً في لذاذةِ شهوةٍ لا يَسْتَقِرُّ معالجاً إنزالُها
وتعودُ بكراً مثلَ ما يفتضها وكذلك الحور الحسانُ مثالُها

ويصف جمال الحور العين بأنهن مثل الشموس كواعب أتراباً يجررن خلفهن ذوائبا. وأقل نعيم أهل الجنة بأن يعطى الولي ملكاً مسير الأرض لا يخشى الإقلال، وتجري الجداول سائحات في ذلك الملك، فيها أنهار من ماء وأنهار من لبن وأنهار من عسل مصفى وأنهار من خمر، وفي تلك الفراديس الفواكه المتنوعة، من كل ما تلذ الأعين وتهوى الأنفس، فالطلع منضود، والنخل باسقات، والرمان يتدلى على أغصانه:(٤)

---

(١) الديوان ١/٣٩٧
(٢) المصدر السابق ١/٣٩٧
(٣) المصدر نفسه ١/٣٩٨
(٤) نفسه ١/٣٩٨

والطيـرُ مَشْوِيًّاً ومطبـوخـاً أتتْ ... قـد جُرِّدَتْ قِطعـاً وهم أكّالُهـا
ويقـالُ أسـواقٌ بهـا جُعِلَتْ لهـا ... فيـهـا المجـالس ما يغب مقـالها

إلى أن يقول:(١)

ولكَمْ بهـا من نعـمَةٍ لم أحْصِهـا ... عَدّاً ووَصْفـاً دونَ تلك رِمَالهـا
فـاقلُهـا العُمـرُ الطويلُ مُسَرْمَداً ... لا غُصَّةٌ يرثُ المشـيبَ كـلالُهـا
هذا الجـزاءُ ونِعْمَ فـألاً فَألُهـا ... يا فـوزها تيـحتْ لهـا أنفـالُهـا
هَلْ عـامِلٌ أعمـالَها فيـرى جزا ... أعمـالِها يوم الجزا عمـالُها

ثم يدعو ربه أن يغفر له خطاياه، ويحشره في زمرة أصحاب اليمين، وأن يوفقه لحج بيته العتيق، وزيارة قبر رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

ويتضح في هذه الموعظة جليا، الموروث الثقافي الديني واقتباسه من القرآن الكريم في مواضع متعددة.

وللشاعر قصائد أخرى في ذكر الجنة والنار ووصف عذاب الأشقياء وثواب الأولياء.(٢)

ومن مصادر المواعظ والحكم عند أبي حمزة الموروث التاريخي وأخبار الأمم، فيوعظ الناس ويذكرهم بالأمم السابقة القديمة والملوك الأشداء الذين حكموا الأرض من طغاة وعدول. والأنبياء والرسل. كمثل قوله:(٣)

ألَمْ تَعْتَبِرْ بالأُلى الغـابرين ... كطسمٍ وحـيَّيْ ثمـودَ وعـادِ
وأيـن ملـوكُ بـنـي حِمْيَرٍ ... وأبـنـا مَعَدٍّ وآل هـداد
وأين الذي مَلَكَ المغـربين ... وَعَمَّرَ ألـفـين فـي الالـتداد
وأين الذي أبْعَدَ الغـزوتيـ ... ـنِ سَبْعين عـامـاً لنيل المرادِ

ومن مصادر المواعظ والحكم عند شاعرنا التجربة الذاتية فهو يقول:(٤)

تَمَرَّسْتُ أبناء هذا الزّمـانِ ... فـأكْلُ هُمُ لي وهُمْ لي شـرابُ
فـشَهْدٌ مَقـالُهُمُ دونـه ... وأفـعـالُهم فـهـو في الطعْم صابُ

---

(١) الديوان ١/ ٣٩٩
(٢) ينظر تلك القصائد في الصفحات التالية ١/ ٢٨١، ٢٨٢، ٣١٧- ٣١٩، ٤١٣، ٤١٧.
(٣) الديوان ١/ ٣١٥ (٤) نفسه ١/ ٢٧١

ويقول:(١)

سَلْني فإنّي بهذا الدّهرِ مُخْتَبَرٌ   وعالمٌ ببنيه الكُلّ غير غَبي

ويرى أن المال إذا لم تُكسب به المحامد أو تقضى به الحوائج فلا فائدة منه؛ لأن المال تُفدى به النفوس، فلا يتكل المرء في كسب المحامد على أصله ومحتده؛ لأن المجد لا يورث من الآباء والأجداد كما يقول:(٢)

والمالُ لا مالَ إلا ما كسَبْتَ به   فوز المجلّينَ أو قضّاكَ حاجاتِ

بالنفس غالٍ ولا ترخصْ مسامتَها   نفسُ الكريم تُغالى في المساماتِ

والحمدُ أنْفَسُ حُلاّتِ الرجالِ فلا   تلبس سواها من الحُلاتِ حُلاتِ

لا يُدركُ المجدُ مِنْ جَدٍّ زكٍ وأبٍ   بغيرِ جِدٍ وإقبال السعاداتِ

ومن حكمه التي استقاها من تجاربه وخبرته مع الناس والأيام قوله:(٣)

إذا دَعَتِ الحاجاتُ لي عندَ صاحبٍ   تزاور عنّي جانباً وهو عابسُ

وإن كانتِ الحاجاتُ عندي له أتى   يُبَصبِصُ مَثَل الهِرِّ في الحالِ بائسُ

فحين رأيتُ الدهرَ من قاس ما أتى   بماضٍ وبئس المرء من لا يقايسُ

ومن لا يُوفّي عِرضَهُ مِنْ دسائسٍ   له جَلَبَتْ ماليس يرضى الدّسائسُ

هو الدهرُ إنْ فكرْتَ فيها دهارِرٌ   وإنّ كثيرَ الناس فيه النسائسُ

وكثيراً ما يرد في مواعظه العبرة بمجئ الشيب، فاقترابه دلالة حتمية على اقتراب الموت. نجد ذلك في الأبيات التالية: (٤)

أخَيّ رأيتُ الشيبَ موتاً وإنْ بكى   له منبتٌ حيّ ففي إثره يَقْفُو

إذا شاب شعرٌ صَحّ مُذْ شابَ موتُه   وإن قصارى ما بقي بَعْدَهُ يَقْفُو

ومن حكمه التي تدل على تجربة طويلة وحنكة متميزة أبياته التالية:(٥)

رأيت الزمانَ وإخوانه   يدُورون في الحال دورانَهُ

إذا ما أسى أو أسَرَّ الفتى   يكونونَ ما كانَ أعوانَه

ومَهْما وَفى عَهْدُ حُرٌ وفوا   وخوانه عندما خانه

---

(١) الديوان ١/ ٢٧٣   (٢) المصدر السابق ١/ ٢٨٩- ٢٩٠   (٣) المصدر نفسه ١/ ٣٤١
(٤) نفسه ١/ ٣٥٩   (٥) الديوان ١/ ٤٠٥

فيرى أن الصديق الوفي عديم في هذا الزمان كما يرى أن مخالطة الناس في أمورهم تجلب للمرء عكس ما ينشده. فيقول:(١)

ومن خَالَط الناسَ في شأنِهمْ رأى مَنْهُمْ كُلَّ ما شانَه
ومن عَزَّ أو بَزَّ عنهُم عَلا رأى في العواقِبِ مازانَه

ومن الموروث الثقافي عند ابن اللواح قراءته للشعر القديم، واستقاء حكمه منه، وتضمينه بعض تلك القراءات من الحكم في شعره. فمن ذلك قوله:(٢)

وَمَنْ لم يَزِنْ عقلُهُ نُطْقَه أخَفَّ لدى الناس ميزانُه
لسانُ الفتى عنه عنوانُه فكن راصداً عنه عنوانَه
فَمَنْطِقُ كُلِّ امرئٍ مُظْهِرٌ على ما رأيناهُ ألبانَه
ولا تنظُرِ المرءَ وانظُرْ إذا أردتَ الحقيقةَ أقرانَه
وصاحِبْ إذا ما صَحِبْتَ امرأً يَغُضُّ عنِ القذعِ أجفانَه

ومن حكمه أيضاً:(٣)

إذا جَهِلَ المرءُ مِقْدارَه تجاهلتِ القومُ أثمانَهُ

وقد اتسمت قصائد الحكم والنصائح عند أبي حمزة، بأن جعل بعضها في قصائد الموضوعات التقليدية كالرثاء والاخوانيات، فيمزج هذه القصائد بالحكم والمواعظ، وأفرد جزءاً كبيراً في ديوانه لقصيدة الحكمة والموعظة ذات البناء الموضوعي الواحد.

وكانت قصائده واضحة في معانيها وألفاظها، ومركزة تركيزاً شديداً، وعلى الرغم من أنه قد صاغها في إطار النصائح الفردية، إلا أنها أخذت طابع التعبير عن الجماعة، فالموروث الثقافي والتجربة الذاتية اللذين اعتمدهما مصدران لحكمته، عالج بهما أموراً عامة، جعلت نتائجها شاملة للمجتمع.

وقد اتسمت بالطابع التعليمي التربوي؛ لذلك كان أسلوبُها أسلوباً خطابياً مباشراً. كأن يقول (حرض أخاك، وارغب بنفسك، لا تجهد النفس) كما اتسمت بعض تلك المواعظ بالطول حتى تجاوزت المئة بيت، مما يشهد بطول نفس الشاعر. وأخذ طابع العظة عند أبي حمزة وصف الجنة

---

(١) المصدر السابق ١/ ٤٠٥
(٢) المصدر نفسه ١/ ٤٠٥
(٣) نفسه ١/ ٤٠٦

والنار، وصفة نعيم أهلها وعذابهم، وجاءت بعض تلك النصائح في قالب المسمطات من القصائد.

واتسمت بعض مواعظه بتردد (الأنا) عنده، وذلك في مثل قوله:(١)

أنا العبْدُ الذي ركِبَ المعاصي ... رُكوبَ القاسطِ الفَطِنِ المريثِ
عَطَفْتُ على الذُّنوبِ خَطاً وَعَمْداً ... عُطوفَ الرائثِ الحَدِبِ الرَّغُوثِ
وها أنا مُسْتحٍ ألقاكَ ربي ... بلُبْسِ حِيكَ مِنْ عَمَلٍ وليثِ

---

(١) الديوان ١/ ٢٩٩

ثالثاً: الاتجاه الديني

المديح الديني:

يعد الشعر الديني غرضاً من الأغراض التي لها مكانتها في العصر الإسلامي، حيث برز فيه عدد من الشعراء الذين ملكوا ناصيته، من أمثال ابن الفارض والبوصيري وابن الفارقي وعبد الرحيم البرعي. وقد احتل هذا الشعر مكاناً واسعاً في ديوان ابن اللواح، وجعله في المقام الأول من بين سائر فنونه الشعرية حيث قال في مقدمة ديوانه:(١) وجعلت له من المعاني فروعاً وأصولاً، فأصوله مدائح المولى جل وعلا، ومدائح ليلى الشريفة، ومدائح محمد صلى الله عليه وسلم.

فالمديح الديني عده ابن اللواح أصلاً من أصول ديوانه، وكانت بقية الأغراض الأخرى فرعاً. ولا غرو في ذلك، فقد تعددت بواعث هذا الشعر الديني عنده، فهو من أسرة بني خروص؛ أسرة العلم والإمامة، أسرة التقوى والصلاح، إضافة إلى ما تبوأه الشاعر من مكانة علمية وتقوى وصلاح، جعله في مصاف شخصيات قومه البارزين، ليس مع الشعراء فحسب، بل مع العلماء.

وقد أنبأتنا عن ذلك ثقافته الدينية والتاريخية واللغوية، وشهادة العلماء من قبيلته وغيرهم.

ومجالات المديح الديني عنده ثلاثة؛ مدائح الحق جل جلاله، ومدائح ليلى الشريفة ومدائح سيد المرسلين. فنبدؤها بمدائح الحق جل جلاله

مدائح المولى جل جلاله: القصائد التي قالها ابن المُلَوَّح في مدائح المولى جل وعلا، ليست بالكثيرة، فهي ثماني قصائد متفاوتة الطول، فأطولها واحد وخمسون بيتاً، وأقصرها أحد عشر بيتاً.

يعدد الشاعر في مدائحه صفات الله تعالى وآياته؛ فهو مدبر لملكوته، عالم سميع خالق جميع المخلوقات، وهو القابض والباسط، وهو مقسم الأرزاق على مخلوقاته من إنسان وحيوان وطيور. ومن معجزاته أنه هو الذي يمسك الطير في الهواء أن تقع على الأرض، وهو باسط الأرضين؛ الأرض اليابسة والأرض التي تحت الماء، وهو مرسي الرواسي الشماء الثابتة، وهو الباقي وكل شيء فانٍ من مخلوقاته، وهو صاحب الكبرياء.

---

(١) الديوان ١/ ٥٧

فبعد هذه المقدمة التي كانت في عشرة أبيات وذكر فيها صفات الله ومعجزاته ودعاه بأسمائه الحسنى، يسأله باسطاً يديه بقوله:(١)

هذي يَدي باسِطةٌ وعَائي	أن تَهْدني مناهِجَ الإهداءِ
وتُبْلِغَنّي غـايةَ الرّجاءِ	أسألُكَ التوفيق في الدّعاءِ

فهو لا يكتفي بأن يرفع يديه لاهجاً بالدعاء، وإنما غاية رجائه أن يوفقه الله في دعائه وبأن يصادف دعاؤه ساعة إجابة. ويسأل ربه فيقول: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» يتمثل ذلك في الأبيات التالية:(٢)

وغـايةُ السُّؤالِ في المناءِ	أرجوهُ حِفْظاً منْكَ في قراءِ
في المالِ والأولادِ والأذواءِ	أطلُبُ منكَ منْهَجَ الهُداءِ
أن تهدني بمنهجٍ فَيْحاءِ	أفوزُ بالنّجاةِ والنَّجاءِ
من عمدٍ كسبِ الذنبِ والخطاءِ	أطلُبُ منْكَ جـازةَ الدُّنيـاءِ
حـلا بلا حُوَبٍ ولا إربـاءِ	أسألُكَ التوفيق في أخرائي
تُدخِلَني في جنّةِ المأواءِ	إني عزمت راكب الهوجاءِ

دعا ربه أن يأتيه خيراً في دنياه وأخراه، فما طلبه في دنياه أن يحفظه في ماله وأولاده وأهله، ثم طلب أن ينجيه من ذنوبه التي اقترفها، المتعمدة منها وغير المتعمدة، وطلبَ في أخراه أن يدخله الله جنة النعيم، وذلك هو الفوز العظيم.

ثم يذكر عزمه على زيارة مكة المكرمة ويصف حالته التي يكابدها في قطع الفيافي والقفار على ناقة هوجاء:(٣)

إنّي أقدُّ حُلّةَ الظّلمـاءِ	أطوي المهاريقَ من الزوراءِ
طَيَّ السجلِّ بيدِ القرّاءِ	أبيتُ بالسملقةِ البَهْماءِ
مَبيتَ طيّارٍ على الهَواءِ	أقيلُ بالقيلولةِ الحراءِ
تحتَ ظِلالِ دوحةِ الفضاءِ	أو بطنِ ذاتِ مَيْعةٍ قرواءِ

---

(١) الديوان ١/ ٧٥

(٢) المصدر السابق ١/ ٧٥ ، ٧٦

(٣) الديوان ١/ ٧٦

ويستبشر هو ومن معه بعد قطع تلك الطريق الموحشة، ومشاهدتهم أعلام مكة المكرمة(١):

حتى بدا الأبطحُ الأعلى وشاع لنا ... وضواضُ ليلى ولاح الصدرُ والجيدُ
فَهَلّلَ الركبُ من قبل المناخ بها ... وأرزم الحقُّ والأجذاعُ والعودُ

وفي قصيدة أخرى يعلن توحيده لله سبحانه وتعالى، ويجتهد في ذلك. فيقول:(٢)

رضيتُ باللهِ ربّاً والنبيِّ هدى ... وملتي ملة الإسلام فهي وقا
يا من تفرّدَ باللاهوتِ والملكو ... تِ الضخم لا والدٌ حاشا ولا عمقا

ثم يأخذ في بيان قدرة الله سبحانه وتعالى وعظمته بعد تنزيهه عن الصفات والأمثال والحلول، وهذه العظمة تتجلى في مخلوقاته جميعاً في السموات والأرض، وفي البحر والبر، وتجري هذه المخلومات بمشيئته تعالى حسب المقتضيات التي يريدها:(٣)

على مَشيئتِهِ أنشا الخلائقَ لا ... يَعْيا ولا آدَهُ حفظُ الذي خَلَقا
وفي تصرّفِها كانَتْ إرادتُهُ ... تَقضي ويبقى ولا ضاهى بقاهُ بَقا
بنى السموات أطباقاً بقدرتِهِ ... والأرضَ أمْهَدَها ضدّ السما وَثقا
وأركَدَ الراسياتِ الراسياتِ بها ... كيما تسيح فأرسَتْ بَعْدما سَمُقا

ومن تعداده لعظمة الله أيضاً فيها:(٤)

والما على الغيم حيث الغيمُ فوق هوى ... تكوينُ من خَلَقَ الأشيا وَمَنْ رَزَقا
وكان ميكالُ فيها الماءَ مُحْتَسِباً ... بحيثُ ما شاء المولى الرحيمُ سقى

إلى أن يصل إلى مقصده الذي يريده وهو الإذعان لعظمة الله وقدرته. فيقول:(٥)

سبحانَ مَنْ أوْجَدَ الموجودَ مِنْ عَدَمٍ ... وفالقَ الصبحِ إثرَ الليل فانْفَلَقا
وأرسَلَ الرُّسْلَ تَبْشيراً ومُنْذِرَةً ... فبلَغَتْ صدقَ مولاها الذي صدَقا

وهذا منهج مقنع في إيراد الآيات الدالة على عظمة الله تعالى ثم اتباعها بالإذعان لعظمته تعالى في ألفاظ شعرية مرصونة.

---

(١) نفسه ١/ ٨٣
(٢) نفسه ١/ ٨٥
(٣) نفسه ١/ ٨٥، ٨٦
(٤) نفسه ١/ ٨٦ (٥) نفسه ١/ ٨٦

ثم يأتي ببعض أركان الإيمان فيقول:(١)

شــهدتُ أنْ لا إله غــيــرهُ أبَداً ... وأحــمــدٌ فنبيٌّ بالهــدى نَطَقــا
ومــا أتانا به من عند خــالقــه ... حقٌّ من اللهِ صدْقــاً ليس مـخـتلَقـا
والموتُ والبَعْثُ حَقٌّ والوعــيــدُ ومــا ... في الوعدِ جاءَ وما في النص قد نمقا

ويستمر إلى أن يتوب ويستغفر الله من أقواله وأعماله السيئة التي اقترفها خطأ أو عمداً، فيقف على عتبة باب مولاه ماداً يده قائلاً:(٢)

إني وقفتُ على بابِ الرجاءِ وذي ... يدي مدَدْتُ لنيلِ منْكَ مُرْتَزقا
حاشاك أن تَردُدِ الرَاجيكَ لاهِبَةً ... ولا صَفوحاً ولا مِـنْ ذنبه عُتقَا

ويختم قصيدته مستشفعاً بالرسول الكريم قائلاً:(٣)

إليك بالمصطفى يارِبُّ مُشتَفِعٌ ... حاشاك حاشاك أن ألقى العداة لقا

ومن الملاحظ أن كثيراً من المعاني تتكرر عنده، ويكاد يكررها بألفاظها فقد كرر معنى البيت التالي من هذه القصيدة:

على مشيئته أنشا الخلائق لا ... يعيا ولا آده حفظُ الذي خلقا

في قصيدة أخرى فقال:(٤)

خَلَقْتَ على مشيئتك البرايا ... فَكَانتْ وهي مِنْكَ كما تشاها

وكرر المعنى في البيت التالي:

وأرسل الرسل تبشيراً ومنذرةً ... فبلَغتْ صِدْقَ مولاها الذي صَدَقا

فقال في تكراره:(٥)

بَعَثْتَ الرُسْلَ إنذاراً وبُشراً ... لها وبها فَقَدْ وَقَعَ ابتلاها

وكرر المعنى التالي في البيت التالي وجعله في بيتين:

شهدتُ أن لا إله غيره أبداً ... وأحمدٌ فنبيٌّ بالهدى نطقا

فقال:(٦)

---

(١) الديوان ١/٨٦ (٢) المصدر السابق ١/٨٧ (٣) نفسه ١/٣٨٧
(٤) المصدر السابق ١/٣٨٧ (٥) المصدر السابق ١/٣٨٧، ٣٨٨
(٦) المصدر السابق ١/٣٨٨

شَهِدْتُ بأنَك اللهم فَرْدٌ شهادةَ مُخلِصٍ لك في أداها
وأنَّ محمداً لكَ فَهْوَ عَبْدٌ رسولٌ والرِّسالةُ قد فَشاها

إلى غير ذلك من المعاني التي كررها، ولا داعي لأن نكثر منها وبعد فما سمات هذا الفن عند أبي حمزة؟ إن قصائد أبي حمزة في مدح المولى متوسطة الطول، فهي لم تتجاوز الخمسين بيتاً، ولم تقل عن أحد عشر بيتاً.

وألفاظه واضحة المعاني سهلة جزلة متدفقة، فلم تخرجه تلك السهولة إلى الابتذال ولم تدخله الجزالة إلى الوعورة، اللهم إلا بعض الألفاظ التي جاءت في الوصف كـ(السملقة، المهاريق).

وعباراته مؤثرة، وقوة هذا التأثير تكمن في القدرة على التعليل؛ حيث أثبت وجود الله من خلال وجود مخلوقاته، وحين توصل إلى وحدانيته من خلال تعدد معجزاته وآياته. إلا أن بعض هذه القصائد، مثل القصيدة الهمزية الأولى، لا تخلو من بعض الهنات التي تلازم البشر. فاتسمت في بعض ألفاظها بمد المقصور وهي (الورى، الهدى، المنى) فقد مد الشاعر هذه الكلمات وهي مقصورة في الأشطر التالية: (القاسم الرزق على الوراء)- ومدُّ الوراء يفسد المعنى، فقد يتحول المعنى من الخلق إلى الخلف. وهذه من الضرورات القبيحة-. (وغاية السؤال في المناء) و(أطلب منك منهج الهداء).

مدائح ليلى الشريفة، وتوديعها وتوديع مقاماتها:يرمز ابن المُلَوَّح بليلى الشريفة إلى الكعبة المشرفة أو مكة المكرمة. وقد تعلق قلبه بحب الكعبة المشرفة منذ طفولته. إلى أن أصبح شيخاً؛ فيشتاق ويحن إليها إذا سمع بركب يَمّم إلى الديار الحجازية:(١)

أحِنُّ إلى ليلى وليلى مُنى قلبي حنينَ خماسٍ أو فَروقٍ على سَقْبِ
ومَنْ لا ئمي إنْ ذاب قلبي صبابةً لليلى وحقٌ أن يذوبَ لها لُبّي
تَعَلَّقْتُها طِفْلاً وشَيْخاً ويافعاً وَعِشْتُ بها صبٌّ الهوى أيّما صبٍّ
وحسبي بما بي من جوى وصبابةٌ لليلى وحسبي ما شُغِفْتُ بها حَسْبي
وَمنْ لي إلى الركبِ الحجازيِّ إنني أخو لوعةٍ تَعْنو إلى ذلكَ الركْبِ

---

(١) الديوان ١/ ١٠٣

ويكرر شغفه وحبه لليلى منذ شبابه إلى أن شاب كعادته في تكرار المعاني فيقول:(١)

شُغِفْتُ بليلى والشبابُ رداؤهُ ... قَشيبٌ إلى أنْ صار غيرَ قَشيبِ

ويرمز للكعبة المشرفة بامرأة حسناء، فتعلقه بأستار الكعبة ودعاؤه، كأنه يلثم فاهاً لليلى:(٢)

ترشَّفْتُ فــاهــاً والعـيـونُ نواظِرٌ ... إليّ ولم أحْذَرْ عـيـونَ رقـيـبِ

وكُلُّ امـريءٍ يهـوى العُلا في طِلابه ... تجـشم في الأخطارِ غـيـرَ هيـوبِ

فـتلك المرأة التي يرمـز لهـا ابن اللواح:(٣)

هي الخَلَّةُ الحَسْناءُ من غـيـرِ ريبـةٍ ... ومن يتـسبنّاها فـغـيـرُ مُريبِ

حـصـانٌ وإن ألقتْ جـهـاراً ثيـابهـا ... مَثُوبٌ مُدانيـهـا وأيّ مـشـوبِ

وهـي أيـضـاً:

إذا خـوطِبتْ كـان الثـوابُ خطابَهـا ... ومـا خُطِبَتْ إلا لـكـلِّ خـطـيبِ

وعندما يعزم الشاعر على الرحيل إلى البيت الحرام، يقف داعياً الله سبحانه وتعالى أن يبلغه مناه، وأن لا يقطع رجاه، وأن يسهل إقباله وإدباره:(٤)

وَقَدْ عَزَمْتُ على البـيْتِ الحـرام ولا ... فـيـمـا أرومُ سِواكَ اللهُ مُعْتَمَدي

فـاجْعلْ لديْكَ رجـائي غـيـر منقطِعٍ ... واجـعـلْ بلوغَ مُناي مـنك في مَدَدِ

وَهَبْني اللهُ شُكْرَ الفَضْلِ جـائزةً الدّ ... نيـا لما أنتُ لي تَرْضى وفـوزَ غـدِ

وسَهِّلِ اللهَ إقـبـالي ومنصَرَفي ... وقـوِّمِ اللهَ مـني كُلَّ ذي أوَدِ

ويدعو ربه عند وداع أهله أن يكون خليفته في أهله وماله، ويدعو ربه عند صلاته وداع المنزل:(٥)

متى أودِّعُ أهلي عند مُنْصَرَفي ... كُنْ لي الخليفةَ في أهلي وفي سَبَدي

وإنْ أصليّ وداعاً قد دعوتُكَ يا ... ربّاهُ فاقبلْ وكُـنْ غـوثي ومُلْتَحَدي

ويدعو ربه أن يحفظه في سفره كما حفظه في حضره، وأن يسهل عليه الطريق، ويطوي له البعد، ويكفيه مراصدة الأعداء، ويوقيه من كل شر يخشاه ويحذره. وهذه الأدعية من جملة أدعية المسافر- المأثورة- إذا ركب على دابته:(٦)

---

(١) الديوان ١/ ١٠٦ (٢) نفسه ١/ ١٠٦ (٣) ١/ ١٠٧

(٤) نفسه ١/ ١٢١ (٥) نفسه ١/ ١٢١ (٦) نفسه ١٢١، ١٢٢

يا ناظري بعيـون الحـفظِ في بلدي　　كُنْ حافظاً سَفَري كالحفظ في بلدي
وقـرِّب البُعـدَ في حلّي ومُرْتَحَلي　　واكـفـني رَصَدَ الأعـداء والرصَدِ
واجـعلْ طريقي أمـاناً لا يُصادِفُني　　من جـملةِ الخَلْقِ والعُدوانِ من أحَدِ
ووقنا شـر مـا نخـشى ونحـذرُه　　واجـعل لنا عـدة من أمنع العُددِ

إن هذه الأبيات لم ترق إلى مرتبة الشعر وإنما هي إلى النظم أقرب منها إلى الشعر، فقد رصف الشاعر فيها معاني ونظمها في قالب نثري خطابي، ففي معظمها جمل طلبية مثل قوله: (وقرب البعد، واكفني، واجعل طريقي، ووقنا، واجعل لنا) فهذه أفعال طلبية خطابية نثرية، لم يرق الشاعر بها إلى التصوير والتخييل، فابتعدت عن روح الشعر.

ومن كثرة تعلق الشاعر بالكعبة المشرفة -التي يرمز لها بليلى- يخيل إليه أنه رآها في المنام. ولكنه يبقى متعجباً كيف يهتدي هذا الطيف في غسق الليل وبُعد الشقة على الشاعر، فيأتي ليحييه:(١)

طيفٌ لليلى على شحْطِ النّوى طرقا　　ليـلاً وطرْفي بأمـواجِ الكرى غَرِقـا
أنّى اهتـدى والدجى وخفّ غيـاهبُه　　يشقُّهُ ويـجـوبُ المهـمَهَ العَرَقَا
حـتّى أتاني وَحَيّاني بهـا ولَهـا　　نَشْرٌ على الأفْقِ من أنفاسِها عَبِقا

قد حلقت مخيلة الشاعر به من عمان إلى مكة المكرمة:(٢)

فـبتُّ ألثُمُ خـدّيْهـا وألزمُهـا　　وأرشفُ الشّنْبَ المعسولَ مـعتَنِقـا
ألقيتُ وصـواصـهـا عنهـا وحُلّتَها　　وبتُّ منهـا مكانَ العقْد مُعْتَنِقـا
حـتّى تَهَجّدَ عُصـفـورٌ على عَلَمٍ　　مُبَشّراً أن وجْهَ الصُّبحِ قـد شَرَقـا
فَقُمْتُ والدّمعُ فـوقَ الخـدِّ منحـدرٌ　　أجـرُّ ذَيلي على وجـهِ الثرى ولقـا

فقد أحس الشاعر نفسه أن ذلك ما هو إلا من وحي شاعريته؛ لأنه لم يقبض من ذلك اللثم والرشف إلا كمن قبض بكفه الأفق:(٣)

فـمـا قـبـضْتُ من الطّيـفِ الملمِّ بهـا　　إلا كـمن قـبـضتْ أكـفـافُهُ الأفُقـا
مـا أكـذبَ الطيفَ لولا طيبُ زَوْرَتِهِ　　لمـن تحبُّ ولا طـيفٌ بـه صَدَقـا
رُعـيـاً لليلى وياسُقـيـاً لا بْطحِهـا　　ويا سـقى الله حـيفَ الحيِّ والبَرَقـا

(١) الديوان ١/ ١٥٥　　(٢) نفسه ١/ ١٥٥　　(٣) نفسه ١/ ١٥٥

وبعد أن أيقن أن ذلك طيف خيال مرّ عليه في نومه، شدّه الشوقُ إلى تلك الأماكن ورجا أن يمتطي العيس ليقطع بها المفازات الشاسعة:(١)

متى متى العيسُ ينكحْنَ الهجولَ بنا ... وتمسحُ المعْجَ والإيغـال والعَنقَا
وتخبطُ الآلَ بالأخفافِ تحسبُها ... بناتِ ماءِ الغوادي تخبطُ الغَدَقَا
تُخفي وتظْهرُ ساعاتٍ فتحسبها ... أهلَةً في السحابِ انْضَمَّ وافترَقَا
إنْ هجّرتْ روّحَتْ أو أصلَتْ بكرتْ ... وتوضِحُ الليلَ بالإرقالِ مُذْ غَسَقَا

هذه المشقات التي تتكبدها الإبل في قطعها الصحاري. أوردها أبو حمزة في ألفاظ جزلة تسودها الغرابة، فالبيت الأول ملأه بالغريب فالـ (الهجول، والمعج والإيغال والعنق) كلها ألفاظ غريبة تحتاج إلى تأن لفهمها واستعانة بقواميس اللغة، إلا أنه لم يَرُصَّ هذه الألفاظ دون أن يحسن استخدامها، فقد استخدمها في مواضعها المناسبة، فارتفع بها إلى اللغة الشاعرة، فانظر إليه كيف بث الروح والإحساس في (الهجول) وهي الصحاري، وحرك العيس لتنكحها.

ثم يأتي إلى ذكر أصحابه الذين يجدون السُّرى معه، ويستعذبون الأرق فهم يبيتون ويقيلون على أكوار تلك الإبل. ومثلهم بالبزاة:(٢)

وعُصبةٍ فارقوا أوطانَهَمْ وإلى ... ليلى أجَدُّوا السُّرى واستَعذَبُوا الأرَقَا
باتوا وقالُوا على أكوارِها فَهُمُ ... مثلُ البُزاةِ على أكوارِها سُبَقَا

وفي سيرهم يتناشدون الشعر:(٣)

تَنَاشَدُوا الشّعرَ في ليلى لمجلسها ... ما كان في الشّعرِ مَقْبوضاً ومُنْطَلقا
لا يَرْقُدونَ سُروراً من مَحَبّتها ... حتّى أضاءَ منارُ الصُّبحِ مُؤتلِقا

وهؤلاء العصبة لما اقتربوا من جدة وأحرموا، قربوا إبلهم العُتُق، ذاهبين إلى مكة المكرمة يحدوهم الرجاء. فعندما شارفوا بيوتها، هلل الركب تكبيراً، فانهلت دموعهم فرحاً:(٤)

لما أتوا جُدّةً مِنْ بعدما حَرَمُوا ... فقرّبُوا اليَعْمُلاتِ الذُّمّلَ العُتُقا
راحوا لليلى على حسْبِ الرجاءِ بها ... يغدو بهمْ أخمشُ الساقين مُخْتَرِقا
وعنْدَمَا شارفُوا ليلى وقَدْ نَظَروا ... تلك المنائرَ في حافاتها السّمقا
فَهَلّلَ الركْبُ تكبيراً ومن فَرَحٍ ... بكوا ويبكي أخو الأفراح مشتفقا

(١) نفسه ١/١٥٦ (٢) الديوان ١/١٥٦ (٣) المصدر السابق ١/١٥٦ (٤) نفسه ١/١٥٦، ١٥٧

ثم يأخذ في وصف مناسك الحج والعُمرة مفصلة فيبدأ من دخولهم الحرم من باب السلام، وطوافهم طواف القدوم، وشربهم من ماء زمزم، وإهراقهم الماء على رؤوسهم، وسعيهم بين الصفا والمروة، ثم مبيتهم في منى ليلة التاسع من ذي الحجة، وخروجهم بعد طلوع الشمس إلى عرفات، ثم وقوفهم بها إلى غروب الشمس، ودعائهم الله في ذلك الموقف أن يعتقهم من نار جهنم، وأن يدخلهم برحمته في جنته، ثم إفاضتهم من عرفات إلى مزدلفة ومبيتهم بها وجمعهم للحصى الذي ترمى به جمرة العقبة في يوم عاشر، وخروجهم من مزدلفة إلى منى بعد صلاة الفجر لرمي جمرة العقبة، ثم الذبح والحلق. إلى أن انتهى بإحلالهم من إحرامهم. كل هذه المناسك ذكرها مفصلة فقال:(١)

وبعدما دَخَلوا بابَ السَّلام بها ... طافُوا سبُوعاً وما جَفُّوا بها عَرَقا
حتّى أتوا زَمْزَماً من مائِها شَرِبُوا ... وما بقي فَعَلى أثْباجِهم هُرِقا
ونحو بابِ الصفا قد أقبلوا ولقد ... بالمروتين سَعَوا في سَعْيِهم دُفَقا
وفي مِنى ليلَهم باتوا ومُذْ طلَعَتْ ... ذُكا على عَرَفاتٍ كُلُّهمْ فرقا
دَعَوا به اللّهَ عَتْقاً مِنْ ذنوبِهمُ ... يا فوزَ عبْدٍ بذاك اليومِ قد عُتِقا
وبالغروب إلى جمعٍ فَقَدْ نَزَلوا ... ليَجْمَعوا اليزمَعَ المجموعَ مُفْتَرِقا
بالمشعر الصبح هُمْ صلّوا وقد قصدوا ... رَمْيَ الجِمارِ قُبَيْلَ الشَّعْرِ ما حُلِقا
وبَعْدَمَا حَلّوا إحرامَهم قصَدوا ... قبرَ النبيِّ فَجابوا السَّمْلَق الصّلَقا

وفي قصيدة أخرى يخاطب ناقته أن تستريح من بعد عناء الطريق ومشقتها في ذهابه إلى الحرم المكي يقول:(٢)

أريحي الوجا يا ناق ما بعد ذا وجا ... فقد نِلْتِ ما نِلْناه من مُقْتَضى الرجا
فهذا هو البيتُ الحرامُ دخلتِهِ ... فلا تطلبي عن مَخْرِجِ البيتِ مخرجا

ثم يذكر الأماكن التي يقف بها في البيت الحرام، وكأنه يعرّف ناقته هذه الأماكن، في الحرم وخارجه فهو يقول:(٣)

وبابَ الصفا هُوَّ الذي قدْ ولجتِهِ ... وبالعلمين الخُضْرِ أحسنْتِ مولجا
وَذي زَمْزَمَ منها اشْرَبي وانْقَعي الصَّدى ... ولا تحذَري من شُرْبِ عَلٍّ تخرُّجا
وعُودي إلى وادي منى ثم عرِّجي ... إلى عرفاتٍ عِنْدَ مَنْ كانَ عَرَّجا

(١) الديوان ١/ ١٥٧ (٢) نفسه ١/ ١١٢ (٣) نفسه ١/ ١١٢

وما يزال يخاطب ناقته ويذكرها اشتياقها للكعبة المشرفة، وهو وإن كان يوجه الخطاب للناقة إلا أن الشوق مخصوص به ذاته، فهو يقصد اشتياقه لا اشتياقها وتعبه لا تعبها، ووروده للمياه الآجنة لا وردها، فالمشاق التي يذكرها وقد واجهت ناقته يذكرها لأجل مواجهتها له، يقول:(١)

إذا ذكـرت ليلى ترزّمْتِ مـثلما ... ترزّمَ مـخلولٌ على الخلف أزْعجـا
صـبـوحُك بالإبكار أعـلاك حـرّةٌ ... وأمـثـالُهـا بالليلِ إذْ جَنّ أو دَجَا
وحـرِّمْتِ رعْيَ الرّوض وهو مُحَلّلٌ ... وغيـرُكِ يرعى منه شيـحاً وسلّجا
تركتِ مـيـاهَ السـبْتِ وهي غميـرةٌ ... وأنشجْتِ من ماء الضبيعة منشجا
وتـكْتُبُ قَصْداً عن رمـاحٍ ووردةٍ ... ومن حَرَضٍ أوردْتِ مـاءً فـهـمّجـا

إلى أن قـال:(٢)

أناخَكِ بُعـدُ النّحضِ والنيّ مـا غـدا ... قتـيلاً ترى ما بعد ما كان مُدحـجا
على بابك اللهم ألقـيتُ أرحُلي ... مُحَمّلَةً ذنبـاً ومـحـشـوّةً رجـا

ثم يبدأ يلح في دعائه ربه، لأنه يعلم أن باب الله مفتوح للتوابين:(٣)

إذا أرتجتْ أبوابُ خلقِكَ خـالقي ... فـبـابُكَ مـفـتـوحٌ ومـا ليس مُرْتجى
إذا لـم أرَجّ منْكَ عـفْواً ونـائلاً ... فَمَنْ لِسواكَ اللهُ مـولايَ مُرتجى

فالله يعلم سر عباده وجهرهم عليم بحالهم، والشاعر يناجي ربه سراً وعلانية فيقول:(٤)

فـأنتَ بحـالي يا عليمُ فـعـالمٌ ... فـمـا لسواكَ اللهُ ملجا وملتـجـا
ولا مـنْهَجاً إلا إلـيـكَ طويّتُهُ ... فـأوْضِحْ ليَ اللهُمّ للعفْوِ منْهَجا

إلى أن يذعن عن خطأه وذنبه الذي جناه حتى إنه ليتلعثم في حديثه ودعائه لله جلا وعلا:(٥)

إلهي ومـعـبـودي سـألتك مُذْعناً ... ببـابكَ يا مـولايَ أوقـفنيَ الرجـا
وسِرتُ النجـا ياربّ للعـفـو قـاصـداً ... وفـوزَ امرئٍ سـارَ النجـا فلقي النجـا
أنا المذنبُ الخاطي إذا قـمتُ داعـيـاً ... لكَ اللهُ من قبـحي لسـاني تلجلجا
إذا قِسْتُ ذنبي لم أجدْ عنه مـخْرجـا ... ويوسِعُني حُسْنُ الرجـا فـيك مَخْرجـا
فـكـمْ كُرَبٍ حـلّتْ بمـثـلـي مُذنبٍ ... دَعـاكَ على تفـريجـهـا فَتُفَرِّجـا
دعـوتُك يا مـولايَ تقـبلُ دعـوتي ... وتغـفـرُ زلاّتي وتُفـرجُ مـا شَجَا

---

(١) الديوان ١/ ١١٢، ١١٣ — ٢) نفسه ١/ ١١٣ — ٣) نفسه ١/ ١١٣
(٤) نفسه ١١٣ — ٥) نفسه ١/ ١١٤

ومن الملاحظ على هذه القصيدة وجود المحسنات البديعية من الجناس ورد الأعجاز على الصدور، وطباق، وإيطاء، وتكرار العبارات بألفاظها ومشتقاتها. فمن أمثلة الجناس قوله:

وسِرتُ النجا ياربِّ للعفو قاصداً   وفوزَ امرئٍ سارَ النجا فلقي النجا

ومن أمثلة ردّ الأعجاز على الصدور قوله:

ولا منْهَجاً إلا إليكَ طويْتُهُ   فأوْضِحْ ليَ اللهُمَّ للعفْوِ مَنْهَجَا

ومن أمثلة الطباق قوله:

وحرِّمْتِ رَعْيَ الرَّوض وهو مُحَلَّلٌ   وغيرُكِ يرعى منه شيحاً وسلْجا

ومن أمثلة الإيطاء قوله:

إذا أرتجتْ أبوابُ خلقِكَ خالقي   فبابُكَ مفتوحٌ وما ليس مُرتجى

إذا لم أرَجِّ منْكَ عفْواً ونائلاً   فَمَنْ لِسِواكَ اللهُ مولايَ مُرتجى

فقد كرر لفظة (مرتجى) في البيتين المتجاورين، أما تكرار العبارات ومشتقاتها، فقد كرر ألفاظ (الرجا ورجا ومخرج) وغلب اشتقاق لفظة الرجا على هذه القصيدة، وهذا التكرار في هذه الكلمات التي تنتهي بحرف الجيم ربما ألزمه إياه امتطاؤه لقافية الجيم.

وما يزال أبو حمزة يرمز إلى الكعبة المشرفة بمعشوقةٍ يحبها ويتلهف إلى رؤيتها ويشتاق إلى زيارتها ووصلها، حاله حال من سبقه في هذا الفن كابن الفارض وغيره.

يبدأ قصيدته بقلقه من ملاحاة العذال، ثم يعرض حالته المضنية من العشق والصبابة، حتى أن الحب أضحى أكله وشربه ولبسه:(١)

العذلُ يُقلِقُ والصبابةُ تلبِسُ   والحبُّ يَطمَعُ والمواطنُ يؤنِسُ

وأخو الهوى في شَرْعِ أحكام الهوى   رِقٌّ له وعلى الهوانِ محبسُ

لا تعذلوني في الهوى إن الهوى   أكْلي وشُرْبي وهُوَ لي فالملبَسُ

كَمْ عَبْرةٍ قَدْ ربّعتْها زفْرةٌ   دَرَسَتْ ومجرى وقعِها لا يدرسُ

رحمتْ حُشاشتي الضلوعَ لأنها   تَنْقدُّ منها عندما أتَنَفّسُ

لقد أيقن الذين يرونه أن تلك الدموع التي تنهمر من عينيه ليست دموعاً، وإنما هي غدران منبجسة تجري على خديه. وما حالة من يكون الهوى في مهجته ونواظره مقيلاً ومعرسا إلا هكذا:(٢)

(١) الديوان ١/ ١٣٧   (٢) نفسه ١/ ١٣٧

ظَنَّ السُّراةُ مـقـابِسـاً بخـيـاشـمي ... فـأتَتْ إليَّ لعلّهـا تَتَقبّسُ
وتحقّقَ الرائونَ أنَّ مـدامـعـي ... غـدرانُ سـاريةٌ سَرَتْ تَتَبَجّسُ
إن الهـوى في مـهـجتي ونواظري ... وأفـيـدتي فـمـقـيِّلٌ ومـعـرّسُ
بيتُ الهوى عندي على شحطِ النوى ... من غـيـر جُرْمٍ مُطْلَقٌ ومـؤسّسُ

إلى أن أفصح عن سر ذلك الوجد والهيام، وهو كلفه بليلى التي يكنّي بها عن الكعبة المشرفة:(١)

لـيـلـي إلـى لـيـلـى أحِنُّ وإنْ بَدا ... فلقُ الصـبـاحِ لِفَيْحِهـا أتأنّسُ
كلي عـيـونٌ إنْ بَدَتْ أو حَدّثُوا ... عـنـهـا فـكُلي مَسْمَعٌ يَتَوجَّسُ
مـازال ينظرُها الفـؤادُ ومُقْلتي ... يقظى ويطرقُ طيـفُهـا مُذْ أنعسُ
إنْ نمتُ يدرسُهـا الفـؤادُ تلاوةً ... ومـتـى انتـبـهْتُ لهـا أهذُّ وأدرسُ

إنها ممتزجة بسمعه وبصره، ويستشعرها قلبه في المنام وفي اليقظة، وبعد أن ذكر ولهه بها يذكر المجاهل والفيافي التي تحول بينه وبينها، وأنه يقطعها بناقة سقاء، أو جمل أعيس متحدياً كل العقبات التي يمر بها بتلك المجاهل فيأخذ في تعداد وذكر تلك المخاوف التي يمر بها:(٢)

من لي بهـا ومـجـاهلٌ مـا بَيْنَنَا ... حـالتْ تَتيـهُ بهـا الجـواري الكُنّسُ
هل تُبْلغنّيـهـا على شحط النوى ... سَقّاءُ جـاريةٌ وأرْحبُ أعـيَسُ
إنـي لألـبسُ كُلَّ ديجـورٍ دجى ... لوصـالهـا في خَلْع مـا أتَلَبّسُ
وأتيتُ والسِيـدانُ تعـوي حـولنا ... والأسْدُ تُعْلِنُ بـالـزئـيـرِ وتَفْرسُ
وعلى ردايانا ابن دايةَ حـائمٌ ... وابْنُ العـيـشل وابن حـثلِ الأفطسُ
ولكم وردْنا طامسَ الأرجـاءِ لم ... يرد الحـمـامَ به المعـزى الأطمس
ريشُ القَشاعمِ حـولـه فـكأنّما ... نُثِرَتْ حرابٌ للصـيـاقل طُمّسُ
ومـسـاحِبُ الحـيـاتِ في أرجـائه ... فكأنهـا سُحِبَتْ رمـاحٌ دُعَّسُ

وفي وصفه لتلك المخاوف يلاحظ على ألفاظه جزالة ورشاقة، وله ميل في استعمال الغريب من الألفاظ فـ (ابن داية وابن العيشل وابن حثل والقشاعم) كُنى لحيوانات وطيورمتوحشة، وألفاظها غير مألوفة الاستعمال إلا أن ابن اللواح استخدمها رغبة منه في إبراز شيء جديد

---

(١) الديوان ١/ ١٣٧ (٢) نفسه ١/ ١٣٨

في شعره غير مألوف الاستخدام.

ثم يصف الناقة التي يمتطيها ليقطع بها تلك الطريق الشاقة مع فتية شم الأنوف، كما يصف أحاديث أولئك الفتية في تلك الطريق ليقصروا بها الوقت:(١)

مَرَقَتْ مُرُوقَ السهم لي عيرانةٌ ... هوجاءُ مأمونٌ تسيرُ عَرَنْدَسُ
في فتيةٍ شُمِّ الأنوفِ بُني لَها ... في كُلِّ كورٍ بالأيانقِ مجلسُ
يتحدثون بوصف ليلى عندما ... حُميَ الوطيسُ بهم وحين تغلَّسوا

وتجرهم الأحاديث ولا يشعرون بمرور الأيام حتى تظهر لهم أعلام مكة المكرمة التي هي مقصدهم، فيا حبذا ذلك الوصول، ويا حبذا تلك الأيام السعيدة التي يقضونها فيها، ويختم قصيدته بدعائه الله جل وعلا، أن يوفقه إلى حج بيته الحرام فيقول:(٢)

حتى بَدَتْ أعلامُ ليلى قُدِّسَتْ ... اسم الإله وهم بها فتقدَّسوا
طوبى لمن ألقى العصيَّ بركْنِها ... وبها سعى ومضى وخاب الأتْعَسُ
يا حبذاك اليومُ فهو مباركٌ ... يوماً به فازَ السعيد الأكيَسُ
وفِّقْني اللهُمَّ حَجَّ البَيْتِ واقـ ... بَلْ ما سَعَيْتُ وما عليه أُسِّسُ

وفي وداع ابن اللواح للكعبة المشرفة يجعل منها امرأة قد كلفه الوجد بها، ويوجه إليها الخطاب المباشر:(٣)

أيا ليلى الشريفة حنَّ قلبي ... إليكِ إليكِ يا ليلى الشريفة

ثم يبث وجده ولوعته وسهره، وأنه نظم فيها المعاني البكر وقد شداها وتغنى بها، ومن شغفه بها فإن الناس قد تاقت نفوسهم إليها واشتاقت قلوبهم لها:(٤)

كلفتُ بكِ الشبابَ وفي مشيبي ... فليتَكِ كُنْتِ بي مثلي كليفَةْ
سهِرْتُ عليكِ طيِّبةَ الليالي ... تُراعي النَّجْمَ لي مُقَلٌ وَطُوفَة
وفيك نظمت أبكار المعاني ... وفيك شدوتُها تحت السقيفَة
واكثرتُ اللهيفَ إليك شوقاً ... ويُكْثرُ ذو الجوى مني لهيفَة
ومن شغفي فقد شُغِفَتْ قلوبٌ ... إليكِ ولم تكن قبلي شغوفة

(١) الديوان ١/١٣٨ (٢) نفسه ١/١٣٨
(٣) نفسه ١/١٤٩
(٤) نفسه ١/١٤٩

وفي ذهابه إلى توديع الكعبة المشرفة هو وصحبه، وكانوا يمتطون مطاياهم، ويجدون السير إليها، تذكر أنه ذهب لوداع البيت، فهاج بقلبه رسيس الهوى، وسالت دموع عينيه على خده:(١)

تَذَكَّرْتُهــا والمطايا الجــواري ... حَدَتْهــا إليــهــا رياحٌ لَطيــفَة
وفي الركبِ والركبُ في مــهلكاتٍ ... تنصُّ بهم يعــمــلاتٌ وجــيــفَة
فــهــاجَ بقلبيَ رَسِــيسُ الهــوى ... لهيــبــاً يُسيــلُ العيــونَ الحـفـيـفـة

وعندما يخلع ابن اللواح على الكعبة الشريفة حلة الخطاب الإنساني عند التوديع يشبه تعلقه بأستار الكعبة بعناقة لمحبوبته، ورقة قلبه وخشيته عند التوديع الذي يسبب له انهمار عينيه، بخشيته على محبوبته وبكائه على فراقها، فهو لا يطيق هذا الوداع وتلك الفرقة:(٢)

أيا ليلى ويا ليت التــلاقي ... يـدومُ ولا يـؤولُ إلى افتــراقِ
عَنقْتُك بعــد مَطْلٍ من وِصــالٍ ... فــزادني الهــوى طيبَ العناقِ
وقــد أجـرى هواك دمــوعَ عــيني ... غــداةَ ضَمَمْتُ عطفَك للتّلاقِ
وكــيف أطيقُ يا ليلى وداعــاً ... وبَيْنُك حِمْلُه فــوقَ المطاقِ

أما الخصائص التي اتسم بها هذا الفن من موضوعات شاعرنا، فهي الغرابة في الألفاظ والجزالة والعمق خاصة في وصفه لمجاهل الطريق ومخاوفها كما اتسمت بالتكرار في المعاني والعبارات والألفاظ، فهو يكرر أشطراً، بل يكرر أبياتاً بأكملها فمثلاً أبياته التالية:(٣)

متى بنا العيسُ ينكحن السماليقا ... فـتنتج الخرمَ والخرم المخاريقا(٤)
تطوي بنا مُهْرَقَ الهَجْلِ التنائف لا ... تألو كما تطوي الأيدي المهاريقا(٥)
مهالكاً ما بها تلقى العسيس ولا ... أحلى وسرباً ولا غَدْقاً مناعيقا(٦)
بحالِها وهي بالجَرْعاء عالقةٌ ... تظُنُّ أقوازها فيها المعاليقا(٧)
والشُّهبُ منها وفيها لا تزالُ بها ... ليلُ التمام مغاريساً مساريقا
بهماءُ تَسْمَعُ فيها الجنّ عازفةً ... والريحُ خافقةٌ والصوتُ مخفوقا

---

(١) نفسه ١/ ١٥١ (٢) الديوان ١/ ١٥٣

(٣) نفسه ١/ ١٦٥

(٤) السماليق: الصحاري والأرض البعيدة الطويلة (التاج ٢٥/ ٤٦٧) الخَرْم: خُرْمُ الأكمه منقطعها و مَخْرِمُ الجبل والسَيل، أنفه. والمخارِم: الطرق في الغِلَظ. (ترتيب القاموس المحيط٢/ ٤٦) الخَرْق: القفر والأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح. (نفسه ٢/ ٤٣)

(٥) مُهْرَق: كَمُكْرَم: الصحراء الملساء (نفسه ٤/ ٥٠٢)- الهَجْل: المطمئن من الأرض (نفسه ٤/ ٤٨٥) التنائف: التنوفة: المفازة أو الأرض الواسعة البعيدة الأطراف، أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس. (نفسه ١/ ٣٨٢). (٦) عَذْقا: العَذَق: محركة: الماء الكثير. (نفسه ٣/ ٣٧٤)

(٧) الجَرْعاء: رمل يرتفع وسطه وترق نواحيه (التاج ٢٠/ ٤٣٠)

ونحن نرى الغرابة والجزالة في الألفاظ التالية (السماليق، الخرم، المخاريق، مهرق، الهجل، التنائف، المهاريق، العسيس، غدقا، مناعيق، الجرعاء، أقواز، المعاليق، معاريس... الخ)، والأبيات تكتظ بهذه الألفاظ الغريبة وكأن الملوحي مولع بالغرابة.

أما تكرار الألفاظ والعبارات فيتجلى في مطلع هذه القصيدة:

متى بنا العيسُ ينكحن السماليقا فتنتج الخرَم والخرم المخاريقا

الذي هو تكرار عن البيت التالي:(١)

متى متى العيسُ يَنْكحْنَ الهَجُولَ بنا وتمسحُ المعجَ والإيغالَ والعنقا

وكذلك يتضح تكرار المعاني في الأبيات التالية:(٢)

وأنْشَجُوها فمن ذي ركبةٍ بركا قد صفقتها رياحُ الصيف تصفيقا
مواردُ كَمُنَتْ أمواهُها وَسَنَتْ فتحسبُ الماء تحت الأرض عيُوقا
ولَوْ تواردَها الطيشارُ نَوَّحَ في أرجائها وبقي حيران زهليقا
والذئبُ يقتله ترسيم قامته من خوفها ويخالُ الظَن تحقيقا
قالوا وباتوا عليها فوقَ أرحُلها مثل البُرود بأكوارٍ سباريقا
تناشدوا شعرَ ليلى كلما انتبهوا ما كان في الشّعرِ مَخْروماً ومفْرُوقا
حتى إذا فَلَقَ الإصباحُ فالقها والعيسُ فَلّقت البيداءَ تفليقا
لاحت شوارعُ ليلى والمنابرُ والـ أعلامُ تحسبُها سُفُناً مطاليقا

فإن هذه المعاني تكرار عن المعاني في الأبيات التالية:(٣)

أقيلُ في كورها كالصقرِ مرتقيا به أبيتُ وجَنْحُ الليلِ مَمْدودُ
فكلما جُبْتُ بيداً بعدَها عرضت أمثالها وعلى أضعافها بيدُ
مجاهلاً ما بها من وحْشِها أنسٌ وما بِها مَنْهَلٌ للركب موروُدُ
لو حلّتِ الأسْدُ فيها تَوَحّتْ زهقاً والخوف من ظلمها ماتَتْ به السِّيدُ
واليعملاتُ بها يُعلينَ من مَرَجٍ لها رفاقٌ وإيغالٌ وتوخيدُ
والركْبُ من ناعسٍ في الكورِ من لَغَبٍ ومن مُجدٍ به شوقٌ وتسهيدُ
حتى بدا الأبطحُ الأعلى وشاع لنا وصواصُ ليلى ولاح الصدرُ والجيدُ
فهلّلَ الركبُ من قبلِ المناخ بها وأرزم الحقُّ والاجذاع والعودُ

أما ماكان من تكرار الأشطر والأبيات فهي في مثل الأبيات التالية:(٤)

(١) الديوان ١/١٥٦ (٢) نفسه ١/١٦٦ (٣) نفسه ١/٨٢، ٨٣ (٤) نفسه ١/١٦٧

وبالغـــروب إلى جَمْعٍ فـــقـــد نزلوا ليجمعوا يزمعاً للرمي مفروقا
بالمشعر الصُّبح هُمْ صلّوا وقد قصدوا رَمْيَ الجمار قُبَيْلَ الدّم ماريقا
وبَعْدَمَا حلّلوا إحرامهم قصروا بَعْضَ الشّعور وبعضٌ صار محلوقا
مُذْ شارفوا طيبة المختار فانتخجوا ويمُّوا البابَ للتسليم مطلوقا

فإن تلك الأبيات تكرار للأبيات التالية:(١)

وبالغُروبِ إلى جَمْعٍ فـــقـــد نزلوا ليجمعوا اليزمع المجموعَ مُفْترقا
بالمشعر الصبح هُمْ صلّوا وقد قصدوا رَمْيَ الجمارِ قبيلَ الشعرِ ما حُلِقا
وبعدما حللوا إحرامهم قصدوا قبر النبيِّ فجابوا السمْلَقَ الصلقا
مُذْ شارفوا طيبة المختارِ كلُّهم بدمعهِ من رسيس الشوق قدْ شرِقا

المدائح النبوية:

لابن اللواح قصائد في مدح سيد البرية عليه الصلاة والسلام، لأنه- كما عرفنا- الرجل الورع التقي المتبتل ، وهو الذي تعلق قلبه بالبيت الحرام، فأنشأ فيه بدائعه.، فلا بد أن يتعلق قلبه برسول الهدى ومسجده، وأن يحلي قريضه بمدائحه، كيف لا وقد جاء امتداح الرسول الكريم في محكم التنزيل حيث قال عز من قائل: «وإنّك لَعَلى خُلُقٍ عظيم»(٢).

وسار ابن اللواح في مدحته على نهج القدماء من الشعراء، فقدم لقصيدته بالمقدمة الغزلية أحياناً ومزج بين الغزل والفخر أحياناً، وفي مخاطبته للرسول صلى الله عليه وسلم يدخل مباشرة أحياناً من غير أن يقدم له بشيء. وسنمثل لكل نموذج من هذه النماذج.

وإذا كان أبو حمزة يستهل مدحته بالغزل؛ فلأن الغزل يستهوي القلوب، وتهواه الأسماع، فيكون بذلك مدعاة لجذب انتباه السامعين، وشدهم إلى الغرض والمقصد الذي يريده من قصيدته. وقد مزج بين طرائق أهل البادية وأهل الحاضرة من القدماء في تغزلهم من حيث الحمول والطلول، والشكوى والشوق والحنين(٣)، فمن مقدماته الغزلية قوله:(٤)

أعدْ نظراً في السِّربِ بالرَّمْلِ من حزوى وجالسْ إذا كررْتَ للرشأ الأحوى
ولا تطرِ شيئاً من أحاديثِ عالجٍ وإنْ كان لا يخفى بناظرِك الطَّوى

(١) الديوان ١/١٥٧ (٢) سورة القلم آية ٤

(٣) ينظر: ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني. العُمدة ١/٣٩٧. وفيه: مذاهب الشعراء في افتتاح القصائد بالنسيب.

(٤) الديوان ١/١٥٧

ومن هذه المقدمات قوله في وصف صورة المحبوبة:(١)

كـفى البـدرُ حُسْناً أن يُقـالَ نديدُها ... فـيـزهو ولكن عن مـثـالٍ يذُودُها
وحـسبُ غـصـونِ البـانِ أن قـوامَهـا ... يقـاسُ به مـيـاسُهـا ومـيـودُها

وقصيدة أخرى يستهلها بالتحسر على الظاعنين:(٢)

أسيرَ الهوى قُلْ لي فما أنْتَ صانعُ ... إذا مـا بَدَتْ للظاعنين المصـانعُ
وأنت بأخـفـاف الملاكـد واقفٌ ... وطرفُك مطروقٌ وعنسُك ضـالعُ

ومقدمة أخرى يذكر فيها الأطلال العافية:(٣)

بنفـسي رسـومٌ بين نفـعى وغُرّبِ ... تلوح بعـيني كـالرِّداء المذَهّبِ
مَحَتْ آيهـا الأرواحُ وابْتَكرتْ بهـا ... بواكـرُ سـحبٍ بالأتيِّ المسَحَّبِ

ومن مقدماته التي يدخل فيها مباشرة لمخاطبة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهو بالروضة الشريفة قوله:(٤)

يا رسـولَ الله هذي أجـملي ... عُقِلَتْ عـندَ حِمـاكَ المعـقـل
يا رسـول اللهِ كم كلَّفـتُهـا ... لك تطوي مَجـهـلاً في مَجـهْلِ

واتسمت مقدمة الغزل عند ابن اللواح بذكر اسماء المحبوبات، كسعاد وعلياء، كما اتسمت بأسلوب المسألة والخطاب، وفي ذكره للظعن يسمي بعض أصحاب هذه الظعائن من أي حي؟

ولا بد أن نتحدث عن العنصر الثاني من عناصر اكتمال قصيدة المدحة النبوية عند ابن اللواح، إذ تكتمل عنده بعنصرين، هما: المقدمة ثم المعاني التي يصل إليها الشاعر بعد وصف رحلته عبر الفيافي والقفار وما يصاحبها من متاعب ومشاق.

وقد تضمنت قصيدة المدحة النبوية عند ابن اللواح المعاني التالية: مشاق الطريق التي واجهها الشاعر قبل أن يصل إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم- ، والمدح الديني للرسول عليه الصلاة والسلام، والسيرة، وفيها معجزات الرسول- صلى الله عليه وسلم- والاسراء

---

(١) نفسه ١/ ٢٥٣
(٢) نفسه ١/ ٢١٥
(٣) نفسه ١/ ٢١١
(٤) نفسه ١/ ٢٣١

والمعراج، وطلب الشفاعة، والمغفرة والرضى منه عليه الصلاة والسلام، ثم الصلاة على النبي (ص) وذكر الآل والصحابة. هذه هي مجمل معاني المدحة النبوية عند شاعرنا الخروصي وسنمثل لكل هذه المعاني.

فقد حدثنا ابن اللواح عن وسائل النقل المستخدمة في ذلك الوقت التي كان يستعين بها في قطع تلك الطريق الشاقة الطويلة من عُمان إلى الحجاز فيقول:(١)

فَطوْراً بــأثــنــاءِ الجَواري وتــارة　　ركــبْنا إليكِ الأرحــبــيــات وضَّعــا
وطوراً على ظهــر الحــمــيــر وتارة　　ركــبنا لكِ النعلَ الخصــيف المُرَقَّعــا

فوسائل النقل هي السفن والإبل والحمير، وتارة نجده يراوح فيمشي على رجليه. ولا يفوته أن يذكر صفة مسيرهم إذ يواصلون الليل بالنهار والنهار بالليل، وإلا لطالت عليهم المدة في قطع تلك المسافة الطويلة:(٢)

وصَلْنا الضحى بالليلِ والليلَ بالضحى　　إذا المُنْعِمُ الخــالي انْطوَى وتَهَجَّعــا
نُراقبُ إفــراطَ النجــومِ إذا هَوَتْ　　غــوائر أو تبــدو من الشــرق طُلَّعــا

وفي وصفه لمشاق الطريق والصعوبات التي يواجهها، يقول عند ذكره الصحراء المقفرة:(٣)

ومجهــولةِ الاعــلام طامسةِ الصُّوى　　بأجــوازِها ضَلَّتْ وقــد حــدتِ الحَدْوى(٤)
مُتيَّهــةَ السَّاري من السُّهْبِ إنْ سَرى　　تخــيله يغــتــاب في قــمــة الســروى(٥)
ويقــتــبسُ الركــبــانُ نارَ سُهــيلِهــا　　بأكــفــافــهم خــالوه من كَثَبٍ كــفــوى
تَضلُّ القطافــيه أفــاحــيصَ بيضِهــا　　فــتنبُتُ في رجوى أفــاحــيــصــهــا الكنوى(٦)
وتَسْمَعُ للجِنَّانِ فــيــه تغطْمُطاً　　وينسي مهــيب القلب في جــوزها الرجوى(٧)

---

(١) الديوان ١/ ٢٢١
(٢) نفسه ١/ ٢٢١
(٣) نفسه ١/ ٢٦٠
(٤) الصُّوى: الأعلام المنصوبة (المخصص ١٠/ ٨١) الأجواز: الأوساط وجوز كل شيء وسطه (اللسان ج و ز)
(٥) السُّهْب: ما بعد من الأرض واستوى في طمأنينة (التاج، سهب)
(٦) أفاحيص: جمع افحوص وهو مَبيضُ القطا (التاج. فحص)
(٧) الجنّان: الجانُ من الجنّ وجمعه جِنّان. (اللسان. جنن) تغطمُطاً: الغطمطة اضطراب موج البحر (ترتيب القاموس المحيط. غطمط)

ولا يفوته أن يصف المياه الآسنة الراكدة التي يمر بها الركبان في تلك المفازة وصفاً دقيقاً بقوله:(١)

ومنهدم الأعضاء، طلحب ماؤه   وبنّتْ عليه العنكبوتُ لها مأوى
كأن تساحيبَ النضائضِ حَوْلَه   مَجَرُّ رِماح الحيِّ في المأقط الألوى(٢)
كأن عليه الريشَ من كل جانب   حِرابٌ جلاها صَيْقَلٌ للوغى جلوى
به يبحثُ الضرغامُ يحمي وروده   ومن حوله السيدانُ من ظَمَأ نَشْوى

وفي وصفه للصحراء والمياه الآسنة نراه يختار الألفاظ الغريبة الحوشية والمعاني المتقعرة، التي لا يكاد يفهمها المتخصص إلا بالاستعانة بمعاجم اللغة، وكدٍّ الذهن فيها. فمن الألفاظ الغريبة التي استخدمها في وصف الصحراء هي: (الصوى، أجواز، تغَطْمُطاً، السُّهْبَ) وفي وصفه للمياه الراكدة في الصحراء استخدم (منهدم الأعضاء، النضائض، المأقط).

ولا ينسى أن يصف معاناة الإبل التي يقطع بها تلك الصحراء، وحالتها في تلك المفازة. فتلك الإبل:(٣)

إذا هَبَطَتْ غوراً تغورُ عيونُها   وتُنْجِدُ إن غصَّتْ بهنّ نجودُها
وتعدو كبنتِ الجونِ طوراً وتارةً   لتركع حتى يستكينَ سجودُها
يُطَلِّحها المسْرى ويلغبُها الضحى   ويدئبُها إيغالها ووخيدُها

وتتضمن قصيدة المدحة النبوية عند أبي حمزة، شوقه إلى الأماكن المقدسة وإظهار مشاعر الوجد والغزل الرمزي. من ذلك قوله:(٤)

أمحدِّثي بنقا العقيق أعِدْ لنا   فيه الحديث موشحاً بدواتِهِ
ظبياتُهُ هل هُنَّ هُنَّ كعهدنا   فقلوبنا أسرى هوى ظبياتِهِ
ولحبذا نسماتُ فيحٍ من قُبا   بكرتْ فعطّرنا شذى نفحاتِهِ

ومن المعاني أيضاً المدح الديني لسيد البرية. كيف لا وهو خير من يمشي على الأرض من حاف ومنتعل:(٥)

يا رسولَ اللهِ يا خير الورى   خيرُ حافٍ كان أو مُنْتَعِلِ

---

(١) الديوان ١/ ٢٦١

(٢) النضائض: حية نضناضة ونضناض، لا تستقر في مكان لشرتها ونشاطها. أو هي إذا نهشت قتلت من ساعتها (التاج. نضض) المأقط: المضيق في الحرب. (التاج. أقط)

(٣) الديوان ١/ ٢٥٥   (٤) نفسه ١/ ١٤٨   (٥) نفسه ١/ ٢٣٢

يا رســـــولَ اللـه لـولاك لمـا   كوْنَ الـكوْنـين مَوْلانـا الـعَلـي
يـا رســـــولَ اللـه لـولاك لمـا   مُحـيَ الـشِّرْكُ ولا الآي تُلـيَ
يـا رســـــولَ اللـه لـولاك لمـا   جَنّةٌ كـــانـت لأواهٍ ولـي
يـا رســـــولَ اللـه لـولاك لمـا   أمْهِلَ الـعـاصي وبالـنارِ صُلي
يا رســـولَ الله لولاك فـما   مـن نـبـيّ ورســـولٍ مُرْسَلَ
يـا رســـولَ اللـه لـولاك على الـ   أنبـيـاءِ الكُتُبُ لمّا تـنـزل

إن مدحة الرسول- صلى الله عليه وسلم- عند أبي حمزة تتسم بالتكرار، سواء تكرار في المعاني أو تكرار في الألفاظ، فهذه القصيدة من أولها إلى آخرها يلح فيها بلفظة يا رسول الله. وهذا أسلوب يحمل النزعة الخطابية، والملوحي يمزج بين أسلوب النظم الشعري وأسلوب النزعة الخطابية «ولعل من أثر هذا المزج بين الأسلوبين ما نراه من ترداد الشاعر لبعض الألفاظ بصورة مكرورة في أوائل أبياته، محاولة أن يجعل لإنشاده ما ينظم به وقعاً صوتياً مؤثراً في نفوس السامعين وعلى آذانهم»(١)

ولعل هذا الإلحاح مبتغاه غفران ذنوبه التي جاء بها كما يقول:(٢)

يا رســولَ اللّهِ قــد جـئتُ وبي   علـةٌ شنـعـاءُ لا كـالعِلـل
يا رســولَ اللّهِ إني مـبـتَلى   مـن أذاهـا داوِ داءُ المبـتـلى
يا رســولَ اللّهِ ذي أحـرفُهـا   ذالُ نـــونٍ واوُبـــاءٍ فَصِلِ

فالعلة الشنعاء التي جاء بها هي الذنوب؛ لذا يطلب من النبي الكريم أن يستشفع له لغفران ذنوبه وأن يمن الله عليه بالرحمة فقد قال:(٣)

فـاسـألْ إلهك أن يَمُنّ بفـضله   وبِستّةٍ من أحـرُفٍ فـيـجـود لي
ألفٌ ولامٌ راءُ حـاءُ مـيـمُهُ   من قـبل هاءٍ فـهي بُرءُ المبـتلى

وفي خطابه للرسـول- صلى الله عليـه وسلم- لا بد أن يذكـر مـوطنه واسـمـه ونسـبـه. إذ المسَلّمُون على الرسول في مسجده كثر، فلا بدّ أن يميز نفسه من بينهم بذكر اسمه:(٤)

أنا العُمانيُّ واسمي سالمٌ وأبي   غسانُ والأزدُ هُمْ قومي وهُمْ عصبي

(١) د. محمد عويس. الحكمة في الشعر العربي. مكتبة الطليعة بأسيوط- مصر.
دار نافع للطباعة ج١/ ١٢٧
(٢) الديوان ١/ ٢٣٢   (٣) نفسه ١/ ٢٣٧
(٤) نفسه ١/ ٢٠٨

ومن خروص إذا أنسبتني نَسَبي | وأنتَ حسبي ومولاي ومنتخبي

وفي خطابه للرسول الكريم عندما يطلب الشفاعة يقول له:(١)

ببابِ حُسْناكَ قَدْ أَلْقَيْتُ أرحالي | وقد حمدتُ إليك اليوم تَرْحالي
فليس يخفى عليك اليوم من حالي | شيء فإنَّكَ بَعْدَ الله أعلمُ بي
أمسيتُ ضيفَكَ في تعداد أضيافِ | أنتَ المآلُ وأنت المالُ للعافِ
وإنني منك أرجو ضعفَ أضعافِ | من الشفاعةِ والتفويضِ في النُّشَبِ

وينادي الرسول الكريم باسمه إذ يقول:(٢)

يا أحمد يا ابن عبدالله يا أمَلي | أرجوك لي ولنظمي فيك مستمِعا

وفي مدحته يستدعي الشخصيات التاريخية فيسترجع بذاكرته كعب بن زهير في مدحته للرسول الكريم، ويطلب أن يكون جزاؤه من الرسول كجزاء كعب إذ جاء بمدحته:(٣)

فَهَبْني وهبْ لي مستحاناً ورحمةً | وقل يا أسيرَ الذنبِ قد مُحيَ الذَّنْبُ
وقابلْ ثنائي بالقبولُ وأجزني | جزا ابنَ زُهيرٍ إذا أتى بالثنا كَعْبُ
بمدحِكِ أرجو حَجتي وهو حُجتي | غداً يرتضيها إنْ رضيتَ بها الرَّبُّ

ومن المعاني التي تضمنتها المدحة النبوية سيرة رسول الهدى مع قريش وأصحابه، فمن سيرته مع قريش قول ابن اللواح:(٤)

واللهُ أنذرهُ بحيث تجمَّعتْ | سفهاءُ مكةَ تَسْعَ في هجماتِهِ
منهم أُبَيٌّ والمغيرة ثم بو | جهلٍ وإبليسُ أخو لعناتِهِ
منهم أشارَ بقتلِهِ وبحبسِهِ | بعضٌ أشارَ وبعضهم بشتاتِهِ

إلى أن نزل جبريل الأمين، عليه السلام، على الرسول الكريم، فأمره أن يهاجر بدينه إلى يثرب هو وصحابته، فقال ابن اللواح:(٥)

نزل الأمين من السماء معرِّجاً | لمحمدٍ بجميع رأي شناتِهِ
قال الأمينُ لهُ عليكَ بطيبةٍ | فانهضْ بليلكَ واسْرِ في وفَراتِهِ
واقصدْ إلى الأنصارِ هُمْ لكَ عُصْبَةٌ | تُغنيكَ عن بُوطالبٍ وحُماتِهِ
ولَسَوْفَ تَدْخُلُ مكةَ رُغماً على | أنفِ المغيرةِ أو ذرى سرواتِهِ

(١) الديوان ١/٢٠٨ (٢) نفسه ١/٢١٩ (٣) نفسه ١/٢٠٤
(٤) نفسه ١/٢٤٨ (٥) نفسه ١/٢٤٩

ومن سيرته مع أصحابه رواية ابن اللواح لقصة هجرة الرسول (ص) وصاحبه أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- ودخولهم في الغار وبناء العنكبوت بيتاً له على الغار وتعشيش الحمام في ذلك الغار:(١)

فسرى وثانيه أبو بكر إلى الـ ـغارِ المنيفِ فأولجا بلجاتِه
ومضى أبو بكر يُشقِّقُ ثوبَه خوفاً على المختار من حيَّاتِه
وبنى الخدرنقُ بيتَه في بابه والورْقُ عشَّشَ في سما عتباتِه
حتى إذا يئسَ العَدُوُّ لطيبةٍ قَصَدَ اقتضاءَ محققا نياتِه

ويذكر التقاء الأوس والخزرج بالرسول الكريم وصحابته، وذكرَ فضائلهم على الدعوة الإسلامية(٢).

لقيتْه آلُ الأوس ثم الخزرجُ الشُـ شُمُّ الكرامُ وهم حمى راياتِه
واللهُ أيّدهم وعظّمَ ذكرَهم في الفتح بيعتهم لدى بيعاتِه
كم بيعةٍ قد جددتْ لهم به قبلَ النُّزول لهم لدى عقباته
وبهم لقَدْ فَتَحَ المهيمنُ مكةً باسم النبيِّ مضَوا على بَركاتِه

ومن السيرة النبوية، الحديث عن معجزات النبي الكريم، فقد تحدث الملوحيُّ عنها بشيء من التفصيل فقال:(٣)

بمولدِه قد أخْمدَتْ نارُ فارس وإيوانُ كسرى خرَّ وانهدَّ من علوى
تحطّمَتِ الأصنامُ مُذْ شاع ذكرُهُ وحلّتْ على نسْرٍ بمبعثِهِ البلوى
وحيّاهُ بالتسليم عودٌ وظبيةٌ وسبَّحَ في كفّيْه صلْدُ الحصى يطوى
وشُقَّ له البدرُ المنيرُ كما جرى براحته للقوم ماءٌ لكي تروى
وقد ظلّلتْهُ في القفارِ غمامةٌ وردُّ الضُّحى بالقومِ يَهْبو الحصى هَبْوَا

ومن الملاحظ أن هذه المعجزات تتكرر في ثنايا قصائد ابن اللواح، فمن تكراره لها قوله:(٤)

خُمِدَتْ بمولدِه مقابسُ فارسٍ وتهدَّمَ الإيوانُ من شُرُفاتِه

وإذا كرر المعاني يتوسع في شرح المعجزة النبوية، كما توسع في شرح معجزة جريان الماء من بين أصابع الرسول- صلى الله عليه وسلم- فقال:(٥)

(١) الديوان ١/ ٢٤٩ (٢) المصدر السابق ١/ ٢٤٩
(٣) نفسه ١/ ٢٦٢ (٤) نفسه ١/ ٢٥٠ (٥) المصدر السابق ١/ ٢٥٠

والبـــــدرُ شُقَّ بِكُمِّهِ والظبيُ كلـــ ـــمَهُ وحــيّاهُ البــعــــيـــرُ بذاته
وغــمـــامــةٌ قــد ضلّلتــهُ بَعْدَمــا رَقصَ الســـرابُ على مطارِ بواته
والقــوم مُذْ ورد الهــلاك من الظمــا في صــحـصح قـد عـام في هفـواته
أجرى لهم مـــاءً براحـــة كــفِّه منه ارتوى وَرَوَتْ جـمـيعُ سقـاته

ومن تكراره للمعجزات قوله:(١)

جـاء البـعـيـرُ فـحـيّاهُ وكلمــه ظبيُ العـرار شـفـاهاً لا يخـافـتُهُ

ومن معجزات الرسول التي ذكرها أبو حمزة معجزة الإسراء والمعراج فقد قال:(٢)

سـبـحـانه جلَّ من أسـرى به شَرَفـاً ليــلاً إلى مـوقفٍ فـيــه سـعــادتُه
أرقـــاهُ في درَج لم تلقـــهـــا رُسُلٌ من قـبله فـحــوتْ مـجــداً رقـايتُه
فـفاز بالشرَفِ الأعلى وقد محضَتْ وأبـلـغـتْ كـلَّ ذي رُوحٍ رســـــالتُهُ
ياليلةً باتهـــا لِلهِ مــقـــتـــرِباً كـــقـــاب قـــوسين أو أدنى شـفـــاهتُهُ
وللمـــلائكِ تســـبــيـحٌ تحفُّ به والنـورُ قـــد مـــلا القُطرينِ باهتُهُ
وكم رأى من عجيباتِ الغيوب بها وكم أفـــادتْهُ من فَضلٍ غـــيـــابتــه
وآب والليلُ مـا عـاج الصبـاحُ به والديكُ مـــا سُمِعَتْ منه صـداحـتُهُ

ومن مـعـاني المدحة النبوية التي ذكرها شـاعـرنا، الصلاة على النبي الكريم وذكـر الآل والصحابة، فمن ذلك قوله:(٣)

عليك صلى إله العرش مـا صَدَحَتْ وُرْقٌ على الأيكِ أو ريحُ الصَّبـا نفـحتْ
ومـــــا هَمَلَّعَةٌ في وَخْدِها بَرِحَتْ ومــا جـدى راعــدٌ مـســحنفـرُ السُّحُبِ
ثم الضـجيـعيك أهل المجد والشرفِ وآلك الغُرِّ ثم التـــابـعـين فـــفي
آثارهم وطءُ عــزٍّ غــيــرُ منهـدفِ هم خــيــرُ مـاضٍ أولو الإسنادِ في العَقِبِ
هل مثلُ صاحبِكِ الثانيك في الغارِ ومـــثلُ بوحـــفصٍ العـــاري من العـــارِ
هُمـا هُمـا عـينا حـفظٍ وأسـرارِ والنـاصـــراكَ فـــبـــالأرواح والنَّشبِ
كـانا وزيريك في الدنيـا ومُذْ تَلَفـا كـانا ضـجـيـعـيك ما خـانا ومـا انهـدفـا
عليـهـمـا رحـمـةُ الرحـمن والرأفـا تتـرى بقـــبـــريهـــمـــا والموقف الكربِ

(١) الديوان ١/ ٢٤٤ (٢) المصدر السابق ١/ ٢٤٥
(٣) نفسه ١/ ٢٠٨

وهذه القصيدة من القصائد المسمطة، وهي من فنون الشعر الذي نهجه ابن اللواح في المدحة النبوية وفي المراثي.

وسنتحدث عن مسمطات أبي حمزة في الدراسة الفنية من بحثنا هذا إن شاءالله.

وبعد هذا التطواف في قصيدة المدحة النبوية عند ابن اللواح، فما هي خصائص هذه المدحة؟.
إن مقدمات هذه المدحة اتسمت بالغزل، وذكر الأطلال العافية، والتحسر على الظاعنين، ويذكر أسماء الظعن وأسماء الحبيبات. فتارة ينادي سعاداً وأخرى ينادي علياء، كما اتسمت بعض المقطوعات بأسلوب المساءلة والاستجواب. وبعض القصائد لا يقدم لها بمقدمة وإنما يدخل مباشرة في مخاطبة الرسول- صلى الله عليه وسلم-.

ذلك من حيث المقدمة، أما من حيث المضمون، فإنه لم يخرج فيها عن سابقيه من مداح رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- فقد ذكر فيها وسائل النقل من عمان إلى الحجاز ومواصلته السير في الليل والنهار. كما يصف الصحراء المقفرة والمياه الراكدة الآسنة في ألفاظ جزلة أحياناً وغريبة متقعرة أحياناً أخرى، وقد وصف معاناة ناقته في الصحراء. ومن سمات هذه المدحة أيضاً تشوقه إلى الأماكن المقدسة وإظهار مشاعر الوجد في غزل رمزي. واتسمت القصيدة بالتكرار في المعاني والألفاظ والمزج بين النظم الشعري والنزعة الخطابية، مما جعل لإنشادها وقعاً صوتياً مؤثراً.

وقد اتسمت القصائد بالطول، كما جاءت بعضها مسمّطة في أربعة أشطر.

شهر رمضان في شعره

يجد المؤمن في أيام شهر رمضان ولياليه لذة في العبادة، فذلك الشهر الفضيل يقضي المسلم فيه نهاره صياماً، ولياليه قياماً، وفرحته تكون عند إنطاره، فعند الغروب يلتقي مع إخوته المسلمين في المسجد فيشاركهم الإفطار، ثم يصلون المغرب في جماعة، وبعد ذهابهم إلى بيوتهم بعد صلاة المغرب بعد أن تناولوا عشاءهم يعودون إلى المسجد لصلاة التراويح، فتجد المساجد تعج بالمصلين في هذا الشهر الكريم، فيجد المؤمن في هذا الشهر روحانية تحلق به، فيطلب المغفرة والصفح. وفيه تفتح أبواب الجنان وتقفل أبواب النيران وتصفد الشياطين.

فإذ ما أزف الشهر على الرحيل تاقت روح المؤمن له، وحزن على فراقه، وتمنى من مولاه أن يمدَّ في عُمُره ليلاقيه في العام القابل فيفوز بفضائله.

وشاعرنا ابن غسان من الذين تأثروا بفراق هذا الشهر فاعتصرت قريحته ثلاث قصائد في وداع هذا الشهر الفضيل.

ففي إحدى هذه القصائد، يستهلها بالوداع دون أن يقدم لها، فيقول:(١)

وداعاً أيُّها الشّهرُ الوداعا ... فقدْ أزِفَ الرحيلُ وَقَدْ تداعى
وقد راع الفراقُ قلوبَ قومٍ ... وكَمْ حِبٍّ على فقْدٍ أراعا

ثم يقول: كيف يمكن سلوّ هذا الشهر، وقد جمع شمل المحبين وقد تحابوا فيه لحبهم إياه، فكان لهم حبيباً، وكانوا يخشون فراقه فيتفرقون. ولكن لا محالة من ذلك:(٢)

وكيفَ لنا سلُوُكَ بَعْدَ بَينٍ ... وقد نَسَخَ الفراقُ الاجتماعا
وقد كُنْتَ الحبيبَ لنا وكُنّا ... نُحاذرُ منك أن تنْوي زِماعا
ولكن كُلُّ جمعٍ صاح فيه ... غُرابُ البَيْن ينصدع انصداعا
ألَعْتَ قلوبنا بالبين حتى ... لَذِكْرُك يا أبا فِطْرٍ ألاعا

ويذكر ليالي الشهر وقصرها عليهم، فكأن مرورها عليهم كمرور الطيف كما يقول: (٣)

لياليك الحسانُ مَضَيْنَ عَنّا ... بأيامٍ بنا مرّتْ سِراعا

---

(١) الديوان ١/٣٤٩
(٢) نفسه ١/٣٤٩
(٣) نفسه ١/٣٤٩

مَرَرْتَ بنا مُرُورَ الطَّيفِ حيًّا   مُحَيِّيَةً وما أهنا اضطجاعا

ويذكر بعض فضائل هذا الشهر مشخصاً إياه في الخطاب قائلاً:(١)

أشهرَ الصومِ هل لك من رُجوعٍ   فندركُ بالرُّجوعِ الارتجاعا
لقد أجليْتَ أفئدةً صُداةً   وقدَّستَ المذائعَ والمذاعا
ملائكةُ السماءِ بِكَ اصْطَحَبْنا   وآلفنا المساجدَ والجماعا
وكم ألبستَ نورك من وليٍّ   كما ملأ المدائن والبقاعا

وذكر من تلك الفضائل في هذا الشهر وجود ليلة القدر فيه، التي هي خير من ألف شهر فقد قال:(٢)

إذا ما الليلُ أظْلَمَ شاعَ فيه   وفي السبع الطِّباقِ الكُلُّ شاعا
وفيك الليلة المقدورُ فيها   جميع الأمر ضُراً وانتفاعا
فليلُ القدْرِ تعدلُ ألف شهْرٍ   مُوفَّقَةٌ لمجتهدٍ أطاعا
وكم لكَ من فضائلَ ليس تُحصى   رحلْتَ بها وبرٌّ منك ذاعا

إلى أن يختمها بقوله:(٣)

فَرَعياً شَهْرَ رَمَضانٍ فَرعياً   فراقُك بَعْدَ إلفكَ قَدْ أراعا
لَعَلَّ اللهَ يَسْمَحُ بالتَّلاقي   ويُبْدِلُ بالرضى العملَ المضاعا

أما القصيدة الثانية فيجعل مقدمتها في اثني عشر بيتاًوقد مزج في هذه المقدمة بين الموعظة والحكمة والتوديع فقال:(٤)

شَمْلٌ تَصَدَّعَ عند باكرة النوى   لولا النوى ما كان فيه صُدُوعُ
شِيَمُ الليالي هكذا بصروفها   يبلى الجديدُ ويُفرِّقُ المجموعُ
قد ترفعُ المخفوضَ جداً تارة   منا وطوراً يُخفَضُ المرفوعُ
كم مُدْقِعٍ تلقاه دهقاناً وكمْ   دهقانها بصروفها مَدْقوعُ

---

(١) الديوان ١/ ٣٥٠
(٢، ٣) المصدر السابق ١/ ٣٥٠
(٤) نفسه ١/ ٣٥١

إلى أن قال وهو مازج الحكمة بالتوديع:(١)

كُنّا بِشَهْرِ الصَّومِ ننجحُ عندنا   أن لا يُلِمَّ بركنِهِ تصديعُ
أمسى غرابُ البين فينا ناعقا   صوتُ الغرابِ مُشَتِّتٌ ومُريعُ
آهَالَها من وقفةٍ لوداعِهِ   فكأنها حَيْنٌ أحين ذَريع
كم مُقلةٍ شكرى عليه بِدَمْعِها   وحشا تذوبُ وآخرُ مَنجوعُ

ويكني شهر رمضان أبا فطر قائلاً له: متى نجتمع بعد هذه الفرقة، فنحن لا نرجو اجتماعاً بغيرك:(٢)

هذا الفِراقُ متى يكونُ لنا أبا   فِطْرٍ لقاكَ ونَحْنُ ثم جميعُ
فَرَّقْتَنا مِنْ بَعدِ ما جَمَّعْتَنا   بسواكَ لا يُرجى به التجميعُ

ويختم قصيدته بدعاء ربه أن يتقبل منه صيامه، وإن أساء فيه، ثم يصلي على الرسول-صلى الله عليه وسلم- قائلاً:(٣)

أدْعُوكَ دَعْوَةَ خائف راجي الرضى   بحماك ألجأُ إنه لَوَسِيعُ
فاقبلْ صيامي لو أسَأتُ فأنْتَ يا   اللهُ غَفَّارُ الذنوبِ بديعُ
وعلى رسولِكَ صلِّ فهو نبيُّنا   أرْجوهُ عِنْدَكَ فهو لي شَفيعُ

---

(١) المصدر السابق ٣٥١/١

المذهب الإباضي في شعره

لابد في أي من المجتمعات البشرية من قيام صلات وعلائق بين مختلف فئاته، لا تقتصر على الرابط القبلي، أو الرابط في القطر الواحد، بل تتعدى تلك العلائق الأقطار قربت أم بعدت.

وتزداد العلائق ارتباطاً وتماسكاً وعمقاً إذا جمع بين فئات المجتمعات المختلفة رابط المعتقد والدين.

وللمجتمع العماني صلات عقدية مذهبية مع بعض أهل المجتمع المغربي في المغرب العربي الذين يدينون بالمذهب الإباضي.

وقد كتب ابن اللواح قصيدة طويلة لإخواننا الإباضية في ذلك القطر تقع في أكثر من مئة بيت، وظهر تأثره بالمذهب الإباضي جلياً في شعره، إلا أنه لم يفرد له قصائد في ديوانه غير هذه القصيدة، بل يأتي ذكر المذهب عرضا في شعره؛ وذلك في إخوانياته عندما يمدح أصدقاءه أو يكاتبهم، من مثل الشيخ القاضي عبدالله بن عمر البُهلوي وأبناء عبد السلام، وعبدالله بن أسد الأغبري وولده أسد.

ونبدأ بالهائية الرائقة التي وجهها إلى أصحابنا إباضية أهل المغرب فقدم لها بديباجة نثرية غلب عليها طابع السجع المتكلف. فكان مطلعها بعد البسملة (الحمدلله المتفرد بالدوام الأبدي والوحدانية، المنزه عن الحركات والسكون والآلات الجسمانية، المعبود باختلاف لغات المخلوقات العربية، واليونانية، وسائر لغات الهوام والبهائم الحيوانية)(١).

وقال في توجيه التحية لهم نثراً: (أما بعد: فإنا نخدم بالتحية العاطرة الريحانية، مطالعة المشايخ النفوسية الوهبانية، أهل البنادر والثغور والجبال العلوانية، ومن ساير بلدانهم الدانية والقصوانية، من الراسبية الوهبية الضبهانية، تحية إخوانهم المحبوبية العمانية)(٢)..

واستهل قصيدته بقوله:(٣)

ما روضةٌ بات ساريها يُباكرُها ... وراح فيها مراح الشَّوْلِ ماطرُها

---

(١) ابن رُزَيق: الصحيفة القحطانية ٢/٣٩٨

(٢) المصدر السابق ٢/٣٩٨

(٣) ابن رُزَيق: الصحيفة. ٢/٣٩٨

فقدم للقصيدة بوصف الرعد وحنينه، والبرق وإيماضه، والسحب الحاملات للمياه، ثم وصف سقوط الغيث وشبه تناثر قطيرات المطر بتناثر اللآلئ النفيسة من العقد، ووصف ارتواء الأرض بالمطر، وما أعقب ذلك الارتواء من نباتات وأشجار وأزهار:(١)

من أبيضٍ يَقِقٍ أو أخضر نضر أو أحمر فاني، سوداً غدائرُها
فالرندُ مُنْتَصِبٌ والنفض منخفض والشيخ ترفعه عنها صنابرُها

ووصف الماء الذي ينصرف من الغدران تحت ظلال الأشجار، ووصف الظل وشبهه بالساحر الذي يسترق الأبصار، والشمس التي تتخلل بأشعتها جزيئات الأغصان، والأوراق في الأشجار ذات الظل الوارف.

وقد أوردت هذه المقدمة في ثنايا حديثي عن الوصف في شعر الشاعر، فلا داعي لتكرار تلك الأبيات.

فلما انتهى من المقدمة، تخلص منها إلى موضوعه الرئيس فقال:(٢)

ينضاع نشر الخزامى من تحيّتنا وقد أذاع ثناها المحضَ ناشرُها
بها فخُصَّ وإن حالت نوى قُذُفٌ وَمَهْمَهٌ ضل كالمعتوه جابرُها

فبدأ بذكر جزيرة جربة والثناء على أهلها فقال:(٣)

حَيِّاً بِجربَةَ هُمْ أعلامُ دعْوتِنا وهم قواعدُ أسّاً عوامرُها
الباسطين التي أقْوَتْ حفائرُها والعائشين التي تحوي حوائرُها

ثم أخذ يعدد الاعلام المشهورين بالعلم والزهد مع ذكر أماكنهم فقال:(٤)

فأحمدُ القصبي بل عبدُ خالقه سليلُ أحمدَ زاكي النّفْسِ قاهرُها
وغُصبَةٌ بمقام البُرْجِ حلتُها أبو عليٍّ بنوه هم نحايرُها
سليلُ يحيى وعبدُ الربِّ سيدنا وابنه أحمد السامي ونادرُها

(١، ٢) المصدر السابق ٢/٣٩٨
(٣، ٤) نفسه ٢/٣٩٨

إمـامُنا أحـمدُ المهـدي فـتى عُمَر وصـدغـيـان فـإنني الآن ذاكـرُها
والحـبـرُ داود الهـوارُ نسـبـتُه بـالعـلم والحلمِ أهل الأرض هـائرُها
واخْصُصْ بيـخلف يحيى ثم قدوتُنا عـيسى وعمراً رفيع الصِّيتِ عـامرُها
قلوع فـاضل يرعى اللهُ سـاكنَهـا من كـان حـيّاً ومن ضـمّتْ مـقّابرُها

ثم ينتقل إلى أهل جبل نفوسة وذكر أماكنهم فيقول:(١)

وفي نَفُوسَةَ قـد هاجَ الجـوى جَبَل بهـا ديارٌ وليت العـبـدَ زائرُها
لا لُوتُ تيـغيتُ تيـريتُ لقَدْ سلبت لُبـابَ قـلبي وأنى لي تـزاورُها
دارٌ تبنى أبو مـرداس عـقـوتَهـا حـيّاً ومـيْتاً تبكيـه مـشـاعـرُها
سَقْيـاً لبـغـدادَ وريوري وتيـرتَ بَلْ كـاباو أو ذكـر قُرْسُطَةَ ذاكـرُها
تلكَ المنازلُ أشـيـاخي بهـا نَزَلوا يا أسْعَدَ اللهُ مـسْعـوداً يجـاورُها

يلاحظ أن الشاعر يذكر قرى صغيرة لا يعرفها إلا أهلها، وكأنه قد ذهب إليها. إلا أنه يستنتج من البيتين الأولين في قوله: (وليت العبد زائرُها، وأنى لي تزاورُها) أن الشاعر لم يذهب إلى تلك الديار إلا أنه أخذ وصفها وأسماءها من مشايخ أهلها الذين كان يلتقي بهم في الحج.

ويلاحظ وصفه الدقيق للقرى التالية:(٢)

وجـايز راشـوس حـبـذا بلدا وفي مـسـفـار قـد نصّتْ سـفـائرُها
واربعْ ببـقـالةَ العليـا المحل بهـا نوحُ بن برهام هاديهـا وناصـرُها
واعطف ببقـالةَ السفلى وزاجيَ واجـ ـريجن فطرسٍ عـبـدلله نادرُها

إلى أن يقول وهو يصف الأودية الواقعة بين تلك القرى، ويذكر المسجد الذي يتعبد فيه العباد:(٣)

وبين زاجي ومـرسـاون قـيلَ لنا وادٍ بـه جنّة والماءُ غـامـرُها
ومـسجدٌ عندها كانَتْ به امرأةٌ قد تعـبَّدتْ وَصَفَتْ حـبّاً ضـمـائرُها
شـاقني حُبُّهـا في اللهِ حـيثُ زكَتْ منهـا وقَدْ خلُصتْ فـيـه سـرائرُها

---

(١) ابن رزيق: الصحيفة ٢/ ٣٩٩
(٢) المصدر السابق ٢/ ٣٩٩
(٣) نفسه ٢/ ٣٩٩

إلى أن قال: (١)

هي الديارُ فكمْ فيها ثوى عَلَم تَحْتَ الثرى وثوابُ الله ساترُها
وكم بقي عَلَمٌ فيها حوى علَما زواخِرُ العلم لم تَنْضُبْ زواخرُها

ثم ينتقل إلى ذكر أهل وارجلان وبني مصعب فيقول:(٢)

ويوسفُ ثم أيوبُ بن خالدةٍ داود أحمد وارجلان زائرُها
نوانُ أحمد من تحنينه طلَعت شمسٌ وعيسى لها سَعْدٌ مناظرُها
واذكر بني نُورا بابكر بن صالحةٍ أهلَ العفافِ فلا أقوتْ منابرُها
مليكةُ المرتضى عيسى المقر له في صَنْعةِ العِلْم محبوبٌ وجابرُها
الواضحُ النُّورِ والبرهان تعرفه بفضله الجم باديها وحاضرُها

وعندما يذكر غرداية؛ يذكر منها أربعة من حجاج بيت الله الحرام الذين ربما كان يلتقي بهم ويأخذ منهم أوصاف هاتيك الديار وعلما ءها فيقول:(٣)

غردايةُ المصعبي ابراهيم عاضده محمدٌ ابن منصورٍ مناظرُها
بلقاسمِ المرتضى يحيى أبُوهُ وقُلْ محمدَ بن سليمان مشاطرُها
فتلكَ حجاجُ بيتِ الله أربعةٌ أهلُ الجمارِ مثوبات جمائرُها

وعندما يثني على تلك القرى يمزج ثناءه بشوقه إليها، وتمنياته أن يكون من أهلها لا من زوارها فيقول:(٤)

سَقْياً ورَعْياً لهاتيك الديارِ ومَنْ فيها ومن لي بها قُربي يقاصرُها
لا لذة في البقا ما لم أحلّ بها إحلالَها أهلها لا مَنْ يزاورُها
هي المحاريبُ أعلا عليين ومَنْ فيها هُمُ الشُّهْدا واللهُ ناصرُها
لا يفخرون بأموالٍ مُتلّدةٍ مالم يكُنْ برضى الباري مفاخرُها

ويدون ابن اللواح مذهب هؤلاء الذين ذكرهم ويقول بأنهم من أتباع عبدالله بن وهب الراسبي إمام المذهب. فيقول:(٥)

---

(١) ابن رزيق: الصحيفة ٢/ ٣٩٩
(٢) المصدر السابق ٢/ ٣٩٩
(٣) المصدر السابق ٢/ ٣٩٩
(٤، ٥) المصدر السابق ٢/ ٣٩٩

وخـاطرُ بن غـريب ثم إخـوتـه السّــ ... مـــوئلـيُّ بكم طابتْ خـــواطرُها
يقــــرونكم وهُمُ أُذنٌ لأمـــــركم ... تحـيــةً فـــاتحٌ بالمسكِ عـــاطرُها
أجل وعـبـد الإله الحـبـرُ قـدوتُنا ... وابنه أسـدُ الأواه حـــاضـــرُها
هُمـا يخـصـانِ من منكُمْ يقـابلُها ... حـسنَ القـبـولِ ومن منكمُ يناظرُها
كـذاك كـاتبُهـا يُهـدي تحـيَّتَه ... إليكمُ ما امتطتْ في البيدِ سافرُها
عـبـدُ الإله بِبُهْلى حَلّ مـسكنُه ... نجْلُ الفـتـى عُمَر مـا سـارَ سـائرُها
تقـريكم منه تسليـمـا تحـيـتُه ... يا أكـرمَ الخلقِ تُنبـيكم سـرائرُها

وكذلك يرد ذكر المذهب في مراثيه لعلماء عمان ومفكريها آنذاك. كما يترسم المعتقد الإباضي في شعره في مسألة الخلود في الجنة أو النار وفي الولاية والبراءة، وفي رؤية الباري جل وعلا. وسنضرب أمثلة للتدليل على ذلك.

فمما قاله في خطابه لعبدالله بن أسد الأغبري:(١)

والملّة البيـضـاء عن جبـريلها ... ومـحـمـد والعَبْدَلي والراسـبي(٢)
صلى الإله عَلَيْهما وعليـهـمـا ... مـا يمَّمَت ليلى قــلاصُ نجـائبِ
مـا عِشْتَ فـالدينُ الإباضي أبْيَضٌ ... أوْ مُتَّ منكَ وعَنْكَ غـيـرُ الذاهبِ
فَلَعَنْكَ تُسْنِدُهُ بَنـوكَ لـكـلِّ مَنْ ... في الأرضِ بين أعـاجم وأعـاربِ
فـقُلوبكُم كـالدُّهْنِ من زيتـونةٍ ... زَهراءَ ذات مـشـارقٍ ومـغـاربِ

وفي خطابه لأبناء عبد السلام يقول:(٣)

فـأنـتـم مِلّةُ الديـنِ الإبـاضـي ... وإنْ كُنْتُمْ شـمـوسـاً للأنامِ

وفي خطابه لصديقه القاضي عبدالله بن عمر البهلوي يقول:(٤)

(١) الديوان (مخـ) ٩٧
(٢) العبْدلي: لعله عبدالله بن إباض المري التميمي: إمام أهل الطريقة وجامع الكلمة لما وقع التفريق. وإليه النسبة اليوم في العقائد، معدولاً بها عن اسم الولد إلى اسم الوالد. (الدرجيني. الطبقات ٢/ ٢١٤)
والراسبي: عبدالله بن وهب. سبقت ترجمته.
(٣) الديوان (مخـ) ١٤٧
(٤) المصدر السابق ١٦٦

بكَ الإباضيُّ أمسى أبْيَضاً يَقَناً ... ولو فُقِدْتَ لأضحى وهو كالطَّفَل
لا أعدَمَ اللهُ هذا الدينَ مِنْكَ فما ... له بقيتَ بقي حالٌ بلا عَطَلِ

ويقول:(١)

عسى يحيا بك الدينُ الإباضي ... ويبقى وهو مَحروسُ الجنابِ

وفي رده للشيخ نجدة بن عبد السلام بن أبي الحسن يقول:(٢)

فأنسَبْتَني للذَمِّ فيك وللهِجا ... أأنْظِمُ في شَيخ الإباضيّة الذَمّا

وفي نفس القصيدة يقول:(٣)

أأثلِمُ ديني أمْ أمَزِّق مَذْهبي ... وأهتِكُ عرضي أطْمِسُ الآيةَ العُظمى

أما في مراثي العلماء فقد أوضح أبو حمزة دفاع العلماء عن المذهب. من ذلك قوله في رثاء أبي عبدالله محمد بن سعيد بن محمد بن عبد السلام النَخَلي:(٤)

قد كُنتَ ذا جَدَلٍ بعلمكَ دونها ... إنْ أسْندَ السنّيُّ والمتشيّعُ
فالدينُ بعْدك يا محمد هُدِّمَتْ ... أركانُهُ والحلمُ فهو مُضَيّعُ
ضَعْضَعْتَ أركانَ الإباضي والرجا ... بك قد أشِيدَ وكان لا يَتَضَعْضَعُ
وإذا بنو عبدِ السلامِ بَقوا لنا ... فالعلمُ طام والإباضي أنْصَعُ

وفي رثاء القاضي صالح بن أبي الحسن بن عبد السلام الرستاقي قال:(٥)

دينُ الإباضي صارَ منهم أبْيَضاً ... والعلمُ منهُمْ زانَه التّوريعُ

وفي رثائه للشيخ العالم علي بن أبي القاسم محمد بن سليمان الأزكوي قال:(٦)

حَتّى أقرَّ الدينَ في أصْلِهِ ... وعَزَّ مظلوماً على الظالِم

يقصد به الدين الإباضي.

وقال لأسد بن عبدالله في تعزيته له في ابنته:(٧)

---

(١) الديوان (المخطوط) ١٦٤
(٢) المصدر السابق ١٥٥
(٣) المصدر نفسه ١٥٧
(٤) الديوان ٢/ ١٧١, ١٧٢
(٥) نفسه ٢/ ١٧٨
(٦) ٢/ ٢٤٤
(٧) نفسه ٢/ ١٣٥

فَحُزْنُكَ يا نورَ الإباضيِّ بَعْضُهُ ليَحْرِقَ منّا مَعْلَقَ الروحِ لا الجِلْدِ

أما من حيث معتقد المذهب الإباضي في شعر الشاعر، فقد اتضح جلياً عنده في أبيات متفرقة أشار فيها إلى بعض المسائل الخلافية في العقيدة مثل: رؤية الباري جلَّ وعلا، وخلود مرتكبي المعاصي في النار، والولاية والبراءة.

فمما قاله في نفي الرؤية عن الباري جل وعلا في الدنيا والآخرة:(١)

تَرى ولسْتَ تُرى دُنيا وآخرةً علام ما سترتْهُ البيضُ والسودُ

وفي موضع آخر قال:(٢)

يَرى وليس يُرى وهو السَّميعُ بلا سَمْعٍ بصيرٌ ولا طرفٌ له رَمَقا

وفي مسألة الخلود قال:(٣)

وهل أنا في نار الجحيم مخلد أأَمْ في جنان الخُلْدِ في جيرةِ الهادي

وفي موضع آخر قال:(٤)

يا شَرَّها من عُصْبةٍ بجهنم خَلَدَتْ فطال على المطالِ مِطالُها

ومن هذه القصيدة قوله:(٥)

قَدْ سُرْمِدوا فيها ولا أمَدَ لها كمقالِ مُرْجِئةٍ به أثقالُها

وفي مسألة الولاية والبراءة يقول:(٦)

عَدُوُّ ربيَ عَدوّي والنبيِّ ومَنْ والاهُما لي وَليٌّ مُذْ زكا خُلُقا

وفي موضع آخر قال:(٧)

وسبعونَ ألفاً من الحورِ تأتي لكُلِّ وليٍّ مُوالٍ مُعادِ

---

(١) الديوان ١/ ٨٢
(٢) المصدر السابق ١/ ٨٥
(٣) المصدر نفسه ١/٣٠٩
(٤، ٥) نفسه ١/٣٩٧
(٦) نفسه ١/٨٧
(٧) نفسه ١/٣١٧

- نظم في مسائل شرعية:

نظم الشاعر بعضاً من المسائل الشرعية في مقطوعات شعرية تتراوح بين البيتين وأربعة عشر بيتاً، فقد نظم في ما يسع جهله وما لا يسع؛ وهي مسائل من أصول الدين، وقد نظم في الأسئلة التي تنقسم خمسة أقسام، وشرح مسائل الوقوف الخمسة أي الوقوف عن الولاية أو البراءة، ونظم في المسائل التي يسع جهلها قبل وقتها فإذا أحضر وقتها لم يسع جهلها إلا بالأداء. وفيما يجب بالتقاء الختانين، ونظم في الستة الذين تكلموا في المهد، ونظم حديثاً عن النبي- صلى الله عليه وسلم- وكذلك نظم في عدد كتب الأنبياء، وفي مناجاة سيدنا موسى عليه السلام للباري جلا وعلا، وتدكدك الجبل وتفرقه ستة جبال، وفي الميراث بالأجناس، وفي عدد حروف القرآن العظيم وفي صفة العالم من الحيوان والهوام والجمادات والناس، وفي ما يمنع الوطء من النساء، وفي ما تجوز فيه شهادة الشهرة في الأحكام، ونظم مسائل من كتاب الضياء فيما يلزم الإنسان فيه القتل وما لا يلزم، وفي قسمة الغنيمة، ونظم في الصرف في تركيب الميمات في الآلات، كما نظم في بعض الموضوعات الطريفة التي تتصل بالصناعة، فنظم في صفة المداد وعمله. وسنأخذ نماذج من هذه الموضوعات للتمثيل عليها.

من ذلك ما قاله في الستة الذين تكلموا في المهد:(١)

تكَلَّمَ في مَهْدِ الرَّضاعةِ ستّةٌ ... فلم يُسْتَمَعْ من غيرهم نُطْقُ مولودِ
فيحيى وعيسى ثم شاهد يوسف ... وخِدْنُ جريج ثم صاحبُ أخدودِ
وماشطةٌ بنتاً لفرعون طفلُها ... تكلمَ في مهد بلفظٍ وتجويدِ

وقال في مناجاة سيدنا موسى عليه السلام ربه:(٢)

لما أتى الزيرَ موسى يسألُ الباري ... كيما يراهُ بعين رؤيةَ الصاري
تَقَسَّمَ الزيرُ أقساماً وقد قصدت ... ليلى وبعض أحاطت دار أنصارِ
أحْدٌ ورَضوى وورقانٌ فقد نزلت ... حول المدينة عنها لمح أبصارِ
أما ثَبيرُ وثورٌ والأشمُّ حرى ... أمَّ القُرى نزلتْ في خير أمصارِ
والزيرُ أصْبَحَ روضاً مابه حَجَرٌ ... لما تجَلَّى عليه الواصلُ الصاري
سبحانَهُ من عزيزٍ لا يغيِّره ... عن حالِ قدْرتِهِ تكرارُ أعصارِ

(١) الديوان ٢/ ٢١

(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٦

وفي عدد حروف القرآن العظيم قال:(١)

وهاكَ عِدادَ الذكــرِ إنْ كنْتَ مُمْعِناً   بهــا ألفُ ألفٍ ثم ســبــعــةُ آلافِ

وعــشــرون ألفــاً لا سِواها منيــرةً   أتَتْ عن رســولِ الله ســيِّدِ إيلافِ

عليــه صــلاة الله مــا اسْتَنَّ بارقٌ   يُداني العــــزالي أو همى كُلُّ وكّافِ

وقال في أسماء وفد الجن:(٢)

ألا إنَّ وفْدَ الجنِّ للطُّهْرِ ســبــعــة   فَدونَك أســـمـــــاهم إذا كنت تَفْهَمُ

حنينٌ مــبينٌ ســاحــرٌ ثم ناصــر   وإينان والأزد المســـمى وأحـــتم

وفيما يمنع وطء النساء قال:(٣)

وتُمْنَعُ كُلُّ مُوطَأةٌ بـــســـــت   فــدونكهــا على حــسب التَّقــافي

فــــإظهـــارٍ وإيلاءٍ وحَيْض   وصـــــومٍ ثمَّ حجٍ واعـــــتكافِ

ويحــرُمُ في ظِهــارٍ أو مــحــيضٍ   وبالإيلاءِ إن تكُ ذا عـــفـــافِ

وفي حج وصـــومٍ واعـــتكافِ   فــســادٌ غــيــر مــا جــرْمٍ مــوافِ

وفي صفة المداد وعمله قال:(٤)

ألا إن آلاتِ المدادِ فــتــسْعــة   إليكِ فَخــذْهُ مَعْلمــاً ليس مُبْهَمــا

فخُذْ من صحيح الماءِ ماتيٌ درهم   من الصَّمْغ خُذْ وزْناً ثلاثين دِرْهمــا

ويُجعلُ في طاسٍ وفي الشمس ساعة   لينْحَلَّ ذاك الماءُ خَلْطاً مُنَجَّمــا

وخُذْ من دقيق العفْصِ عشرين درهماً   يُدَقّ بزاجٍ فــيــه دَقّاً مُنَعَّمــا

مــن الــزاج أوزانــاً ثــلاث دراهــم   لئلا يصــيــرَ اللونُ أغــبــرَ أَقْتــمــا

وخُذْ نصفَ مــثــقــالٍ من الملح أبْيَضا   ومن زعــفــرانٍ نصف مــثــقــال بعــدمــا

تزيد عليــه نصف مــثــقــال سُكَّرٍ   نبــاتا مِنْ المصــريْ ودخــان درهمــا

ومن مــاءِ ريحــانٍ قليل يُسَطْ به   واسْقِهِ مــاءَ الصَّمْغِ سَقْيــاً كــمــثلِ مــا

---

(١) الديوان: ٢/ ٣١   (٢) المصدر السابق ٢/ ٤٣

(٣) نفسه ٢/ ٣٣   (٤) نفسه ٢/ ٤٤

بناء القصيدة

تحدث نقادنا القدامى عن نهج القصيدة العربية منذ جاهليتها، فتحدثوا عن مطلع القصيدة وتخلص الشاعر إلى موضوعاته وعن الوحدة والخاتمة في القصيدة.

فقال حازم القرطاجني: «يجب أن تكون المبادئ جزلة حسنة المسموع والمفهوم، دالة على غرض الكلام، وجيزة تامة»(١) وابن الأثير قال: (يجب أن يجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالاً على المعنى المقصود من ذلك الكلام، إن كان فتحاً ففتحاً، وإن كان هناء فهناء، وإن كان عزاء فعزاء وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني)(٢)

وقد علل ابن الأثير سبب اختيار المطالع وتحسينها فقال: (وإنما خصت الابتداءات بالاختيار؛ لأنها أول ما يطرق السمع من الكلام، فإذا كان الابتداء لائقاً بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي على استماعه)(٣).

وقال ابن حجة عن حُسن التخلص: «هو أن يستطرد الشاعر المتمكن من معنى إلى معنى آخر يتعلق بمدوحه بتخلص سهل يختلسه اختلاساً رشيقاً دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما، حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد»(٤).

أما فيما يخص وحدة القصيدة فقد قال الحاتمي: (من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون ممتزجا بما بعده من مدح أو ذم أو غيرهما، غير منفصل منه، فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أجزائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر أو باينه في صحة التركيب غادر الجسم عاهة تتخون محاسنه وتعفّي معالم جماله)(٥)

والاختتام قال عنه ابن رشيق: (وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى منها في الأسماع)(٦)

---

(١) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء ص ٣٠٥
(٢) المثل السائر ٢/ ٢٢٣
(٣) نفسه ٢/ ٢٢٤
(٤) خزانة الأدب ٢/ ٣٢٩
(٥) محمد بن الحسن الحاتمي- حلية المحاضرة. وزارة الثقافة والإعلام- العراق- بغداد. دار الرشيد ١٩٧٩ ج١/ ٢١٥
(٦) العمدة ١/ ٤١٥

وتأتي أهمية ذكر هذه النبذة الموجزة عن بناء القصيدة العربية لنرى مدى ما تحقق في بناء القصيدة في شعر ابن اللواح. وسيتناول بحث بناء القصيدة عدة نقاط تتمثل في القصيدة ذات الغرض الواحد، والأخرى ذات الأغراض المتعددة، والتخلص، ووحدة القصيدة، والمقطوعات الشعرية، والنفس الشعري.

فمن قصائده ذات الغرض الواحد قصيدته التي وجهها إلى أهل نزوى ينصحهم بها ومطلعها:(١)

دعاها كيفما صنعت دعاها ولا تلْما بها لهوى دعاها.

فقدم لها بقصيدة غزلية ثم افتخر بقومه بني خروص، وذكر بعضاً من أعلامهم البارزين، وان فضل بني خروص لا ينكره إلا الجاهل؛ لذلك يوجه إليهم النصيحة لأنه من أهل النصح والإرشاد.

ففخره بفضل بني خروص مرتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوع القصيدة إذ لا يمكن أن يوجه النصيحة إلا رجل ذو فضل ومرتبط بالفضل. وهذه القصيدة على طولها الذي بلغت فيه ثمانية وتسعين بيتاً لم تخرج عن موضوعها الرئيسي وهو النصيحة.

ومن قصائده ذات الغرض الواحد، رسالته التي وجهها إلى إباضية المغرب التي قدم لها بمقدمة وصفية، وصف فيها الرعد وحنينه، والبرق وإيماضه، والرياح وصفيرها وتنقلاتها وما تحمله من ماء، ثم سقوط الغيث، وما ينتج عنه، ثم أخذ يصف أهل تلك الديار فبدأ بمدح أهل جزيرة جربة، ثم عرج إلى أهل جبل نفوسة وذكر أعلامهم وأماكن وجودهم، وأنهاها بمدح أهل ذلكم القطر عامة، وإبلاغهم السلام من أصحاب الشاعر. وبلغ طولها مئة وعشرين بيتاً.

ومنها قصيدته التي قالها وهو بالروضة الشريفة مخاطباً الرسول صلى الله عليه وسلم ومُلِحّاً بتكرار يا رسول الله من أولها إلى آخرها مادحاً الرسول وطالباً منه الشفاعة لغفران ذنوبه وتقبل مدحته هذه. ومنها قصائد الحكمة والموعظة التي أفردها لهذا الموضوع.

ومن أمثلة القصائد متعددة الأغراض، قصيدته التي قدم لها بتوحيد الله سبحانه وتعالى واستغفره، ثم دعا واستسقى لأهل نزوى ومطلعها:(٢)

---

(١) الديوان ٢/ ٨٥
(٢) الديوان ١/ ٣٨٧

إليك صَبّتْ أفيدتُنا وِلاها أيا الله غيرك لا إلاها

ثم بعد الاستسقاء وجه نصيحته لأهل نزوى قائلاً:(١)

أعيد نصائحاً من مستشار وقد حلب الليالي وامتطاها
أطيعوا الربَّ يا أربابَ نزوى أريضو النفس لا تَرْكبْ ثآها

وبلغت هذه القصيدة ثلاثة وثمانين بيتاً. وتتعدد أمثلة القصائد ذات الأغراض المتعددة عند ابن اللواح، ومنها قصيدته التي سماها «الريحانة الفائحة والموعظة الناصحة» وفيها دخل في موضوع النصيحة دون أن يقدم لها فجاء مطلعها:(٢)

هذي ديارهم وذي أطلالها دَرَسَتْ فأين تأمَّلَتْ أهّالها

فبعد خمسة أبيات وصف السحب والرعود والبروق والأمطار والرياح معتبراً بتلك الأنواء التي تعاقبت على تلك الديار(٣)

فتبدلت بعد الأنيس بوحشةٍ وتأجّلتْ بعراصها آجالُها

ثم أخذ يصور أصحاب تلك الديار، ووطأتهم وكرمهم، وضيفانهم إلى أن نزلت بهم ريب المنون فأفناهم الدهر بكلكله، وتحدث عن حالتهم بعد موتهم وما يؤولون إليه بعد ذلك إلى شقاء أم إلى سعادة مع وصف تلك الحالتين، ثم انتقل إلى تمنيه حج بيت الحرام، وتعلقه بمكة وحجونِها، ثم أخذ يصف بعض مناسك الحج والعمرة، إلى أن انتقل إلى زيارة قبر النبي الأمين، والدعاء حياله، ومدح الرسول بما هو له أهل وطلب الشفاعة والمغفرة إلى أن ختمها بهذين البيتين:(٤)

أصْباهُ حبُّ محمد فَصَبَا لهُ وشَجَتْه مكةُ حيثُ طاف حِيالَها
لم تُصْبِهِ الدنيا ولا أموالُها والغانياتُ فما أطباه دلالُها

أي خَتَم قصيدته بما ابتدأه بها من المعنى، وبلغ طول هذه القصيدة مئة وسبعة وأربعين بيتاً. ومن قصائده متعددة الأغراض، بعض رسائله الإخوانية التي تحمل أفكاراً متعددة، منها الرد على كتاب صاحبه، ومدح صاحب الكتاب بصفات متعددة، والرد على التهنئة بقضاء الحج،

(١) نفسه ١/ ٣٩١
(٢) نفسه ١/ ٣٩٣
(٣) نفسه ١/ ٣٩٤
(٤) الديوان ١/ ٤٠١

ثم وصف مناسك الحج وتعدادها، وزيارة قبر الرسول (ص)، وهذه الأفكار تجلت في القصيدة التي بعثها لصديقه عبدالله بن عمر بن زياد البهلوي.

وفي ما يخص مقدمة القصيدة، نرى أنه يفتح قصائده بالموضوع الذي يريد أن يتحدث عنه، ففي إخوانياته مثلاً يظهر موضوع القصيدة من أول كلمة فيها، وفي العتاب يقول:(١)

عتاب على الظن لا يجملُ　　كلحم أخٍ غائبٍ يؤكلُ

وفي قصيدة أخرى يقول(٢)

أمعاتبي فلأنتَ عينُ العاتب　　فيما عتبت على جميع معاتبي

فقد ازدحم البيت الأول بلفظة العتاب وهو الموضوع الذي يريد أن يتحدث عنه في قصيدته.

أما إذا كان موضوع قصيدته رداً على كتاب جاءه، فتطالعنا لفظة كتاب في أول كلمة في البيت الأول من القصيدة كما في قوله:(٣)

كتابكم أزاح الهم عني　　فأحيى لي السرور بموت حزني

وفي مراثيه يلاحظ عليه الدقة في مطالع قصائده، فإذا كانت القصيدة عزاء، فيضع لفظة عزاء في أول كلمة في البيت الأول كما في قوله:(٤)

أعزيكمو في ميت لم يزلْ عندي　　له الحزنُ حيّاً وهو في ظلمة اللّحدِ

وكما في قوله:(٥)

عزاء فما نَفْسٌ على الموت عزّتِ　　ولا جاوزتْ عن حد وقتٍ موُقّتِ

وإذا كانت القصيدة رثاء فهو دقيق في رثائه، فإذا كان الهالك قد توفي بأسباب غرق أو قتل، فمطلع القصيدة يحمل معنى أن الموت حتم مقدر على الإنسان، وإنما أسبابه متعددة، ففي رثائه للعلامة سليمان بن محمد بن سليمان، وقد مات غرقاً في البحر عند عودته من الحج، قال في مطلعها:(٦)

---

(١) الديوان (المخطوط) ٩٣
(٢) نفسه ٩٥
(٣) نفسه ٨١
(٤) الديوان ٢/ ١٣١
(٥) الديوان ٢/ ١١٩
(٦) نفسه ٢/ ١٣٩

لا يمنعُ الموتَ حجابٌ ولا زَرَدُ ... ولا المواضي ولا العارية الجرُد
ولا الجيوش التي ضاق الفضاء بها ... ولا أخ عن أخ أو عن أب ولدُ

وفي رثائه ولده أحمد، وقد قتله ابن عمه يقول:(١)

إن المنيةَ في الورى أسباب ... والعذب منها في المذاق عذابُ
إن تسألوا كيف الشهيدُ فهذه ... صِفَةُ الشهيد فأحمد الأوابُ

أما إذا كان الميت قد مات ميتةً عادية، فيطالعنا معنى الرثاء في البيت الأول، إما حرائق في القلب وإما توجعاً وإما رزءاً، ففي رثائه ولده حمزة استهل قصيدته بقوله:(٢)

حرائق حزن في فؤادي تجددُ ... وواكفُ دمع في الخدود تخَدّدُ

وفي رثاء الشيخ جمعة بن أحمد الأزكوي استهله بقوله:(٣)

هذا هو الرزء أرزى الجن والبشرا ... وأخسف النيّرين الشمس والقمرا

وفي قصائد النصح والمواعظ والحكم كذلك، تقرأ موضوع القصيدة من البيت الأول، ففي إحدى نصائحه استهلها بقوله:(٤)

دع الخُمولَ وخلِّ المقتَ والكسلا ... والقِ النجير على الوجناء مرتحلا

واستهل نصيحة أخرى بقول:(٥)

ألا مبلغ عني بشيرَ بن جمعةٍ ... نصيحة من لا زال لله ينْصحُ

ومن مطالعه في حكمه قوله:(٦)

الصبرُ من كرم الأخلاق فاصطبر ... يا نفس لو كان طعم الصبْر كالصبَرِ

وفيما يخص حسن التخلص ، فإن ابن اللواح يكون تخلصه حسناً حيناً، ومقتضباً أحياناً.

وقد تحقق حسن تخلصه في القصيدة التي بعثها إلى أهل المغرب، فعندما أراد أن ينتقل من المقدمة قال:(٧)

وللنسيم شذى من فيح زهرتها ... كفارةٍ قذفتها الختم تاجرُها
ينضاعُ نشرُ الخزامى من تحيتنا ... وقد أذاع ثناها المحض ناشرُها
بها فَخُصّ وإن حالتْ نوى قذفٌ ... ومَهْمَهٌ ضلّ كالمعتوه جابرُها
حيًا بجربةَ هم أعلام دعوتنا ... وهُمْ قواعدُها أسًا عوامرُها

(١) نفسه ٢/ ١٠٥ (٢) نفسه ٢/ ١٣٧ (٣) نفسه ٢/ ١٥٥ (٤) نفسه ٢/ ٧٩
(٥) نفسه ٢/ ٦٥ (٦) الديوان ١/ ٣٢٩ (٧) الصحيفة ٣٩٩

فانتقل انتقالاً تدريجياً لطيفاً دون نبوة ولا اقتحام على المعنى. ولكن اقتضابه على ما يبدو أكثر من براعة تخلصه ففي إحدى معاتباته بعد أن قدم لقصيدته بوصف الطبيعة لم يحسن الدخول في موضوع العتبى وإنما قال:(١)

وفاح نُشرُ الخزامى والعرارُبه   ريح القبول فعمَّ الأرض عابقهُ

أبا المعالي أما العتبى لها أمدٌ   إلى رضاك عسى أني أسابقُهُ

فانتقل من الوصف إلى خطاب أبي المعالي دون ما مناسبة في الكلام.

وفي قصيدته التي مدح بها المناذرة، وآل الرقيش من أهل إزكى، وقدم لها بمقدمة في وصف الطبيعة. قال عند الانتهاء من تلك المقدمة:(٢)

دارٌ بها مقلتي قرّتْ وطابَ بها   قلبي ولذَّ بها في النوم تَغماضي

وما خَشيْتُ من الأيام حادثةً   ولَستُ فيها على الأعداء بالغاضي

قومٌ بها نعم قوم إن دعوتُهم   لحل مشكلة أو برم إيقاض

فقد اقتحم إلى مدح أصحابه دون انسجام بين المعنى السابق والمعنى اللاحق.

وفي قصيدته التي استسقى فيها لأهل نزوى واستغفر ودعا الله تعالى ونصح أهل نزوى ومجد الله سبحانه وتعالى وصلى على الرسول (ص) يقول:(٣)

وبعد فَقدلجأتُ إليك ربي   وبي عللٌ فَهَبْ كرماً دَواها

فكأنه يوجه رسالته وهي فعلاً رسالة استغفار من الذنوب ثم استسقاء.

وانتقل إلى نصيحة أهل نزوى دون أن يحسن الربط بين وصف نزوى وأهلها وبين نصيحته لهم فقال:(٤)

قرارُ العلم والعلماء نزْوى   وأهلُ الزُّهدِ ناديها حواها

وسادتُها الكرام بها تراها   من الأدناس طاهرة نزاها

أعيد نصائحا من مستشار   وقد حَلَبَ الليالي وامتطاها

(١) الديوان ٢/٧٦   (٢) المخطوط ١٧١
(٣) الديوان ١/٣٨٨   (٤) نفسه ١/٣٩١

فهو قد اقتحم إلى معناه الجديد دون أن يمزج بينه وبين معناه السابق.

أما فيما يخص وحدة القصيدة وترابط أجزائها، ووحدة معانيها، فقد تحقق وجود وحدة البيت في عدد من قصائد أبي حمزة مثل قصائد الحكم والمواعظ وبعضاً من قصائد المراثي. فلو أخذنا مقطعاً من موعظة له قال فيها:(١)

عجيباً ما تهد به الرواسي	وتحمله المفاصلُ العروقُ
أنا الحي الذي قَدْ متُّ حيّاً	أنا المأسور بالذنب الطليقُ
أنا السكران من صهبا ذنوب	وسكران الذنوب متى يفيقُ
يقولون الشباب به فسوق	وعند الشيب ينفسق الفُسُوقُ
أراني والمشيبُ فقد علاني	أتوّقُ للهوى من لا يتوقُ
وها أنا صرت عوداً أي عود	وأخلاقي وأطباعي حقوقُ

فهذه ستة أبيات متوالية، فلو حذفنا منها بيتاً أو بيتين أو ثلاثة أبيات متوالية أو متخالفة لما شعرنا بنبوة تخل بتماسك أفكار تلك المقطوعة.

أما قصيدته من حيث ترابط المعاني والأجزاء، فنجد كثيراً من قصائده مترابطة المعاني والأفكار، خصوصاً قصائده في ليلى الشريفة، فيقدم بمقدمة تقليدية غزلية يحن فيها إلى ليلى، وليلى عند ابن اللواح كما سبق وأن قلنا- هي مكة المكرمة.

كان يقول:(٢)

تذكرني ليلى وذو الحب لا ينسى	حبيباً به أضحى كئيباً كما أمسى
فلو أن لي نفسين نفساً جعلتها	لليلى ولي أبقيت مُدّخراً نفساً

وبعد المقدمة التقليدية ينتقل إلى ذكر الصعوبات التي يلاقيها في قطع طريقه إليها كأن يقول:(٣)

سأرتكبُ البحرَ الخِضَمَّ وتارةً	لأركب في منهاجها الدعلبَ العنسا
وألبسُ أثوابَ الدياجي إلى الثرى	وأجعلُ برد الأرض لي بالضحى لبسا
وأجعل أكوار المهارى لدى الضحى	مقيلاً وبالإمساء أجعلها ممسى

(١) نفسه ١/ ٣٦٣ (٢) الديوان ١/ ١٣٥ (٣) نفسه ١/ ١٣٥

وعندما يصل هو وأصحابه إلى تلك المقامات والأماكن يبدون فرحهم، ويأخذون في عمل مناسكهم من إحرام وزيارة كأن يقول:(١)

وعندما شارفوا ليلى وقد نظروا	تلك المنائرَ في حافاتها السمَقا
فهلل الركبُ تكبيراً ومن فرَحٍ	بكوا ويبكي أخو الأفراح مشتفقاً
وبعدما دخلوا باب السلام بها	طافوا سُبُوعاً وما جفّوا به عرَقاً

وفي المدحة النبوية، تحدثنا عن المقدمة التقليدية لها، والصعوبات التي تكتنف الطريق للوصول إلى قبر الرسول (ص)، ثم مدح الرسول (ص)، وذكر سيرته العطرة (ص) وقد ذكرنا موضوعات المدحة النبوية، فهذه أفكار ومعان مترابطة متمازجة في قصيدة أبي حمزة، وهذا الترابط مطلب يتفق مع مذهب النقاد القدامى، فقد قال ابن طباطبا (يجب أن تكون القصيدة كلها كلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها، نسجاً وحسناً وفصاحة، وجزالة ألفاظ، ودقة معان وصواب تأليف، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه إلى غيره من المعاني خروجاً لطيفاً.. حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغاً)(٢)

والحديث عن المقطوعات يتصل ببناء القصيدة، فإن المقطوعات عند أبي حمزة لم تكثر وإنما كانت قليلة، وتمثلت أكثرها في نظم المسائل الشرعية، وفي بعض قصائد الحكم والنصائح. ونفسر قلة مقطوعات ابن اللواح لطول نفسه في قصائده، فقد بلغت أطول قصيدة في إخوانياته، مائة وعشرين بيتاً، وأطول قصيدة في نصائحه ومواعظه مائة وثلاثة وأربعين بيتاً.

أما مراثيه، فقد كانت طويلة كذلك فمرثيته في الشيخ أحمد بن مداد الناعبي بلغت تسعة وثمانين بيتاً، وفي رثاء القاضي صالح بن أبي الحسن بن عبد السلام بلغت أربعة وسبعين بيتاً. وفي رثاء الشيخ أحمد بن سليمان الكندي بلغت ثمانية وستين بيتاً.

وفي رثاء أحمد بن قاسم بن كهلان، بلغت أربعة وستين بيتاً. وهكذا نرى أن أبا حمزة طويل النفس في بعض قصائده، ولكنها لم تضعف في صفاتها الفنية عن القصائد القصار.

وأما الخاتمة فقد ذكرنا سابقاً ما قاله ابن رشيق عن أهميتها، وشاعرنا يعيرها أهمية، فهو أحياناً إذا بدأ قصيدة أخوانية بالسلام، ختمها بالدعاء، وإذا بدأها بالدعاء ختمها بالسلام.

---

(١) نفسه ١/١٥٧

(٢) ابن طباطبا العلوي- عيار الشعر. دار الكتب العلمية ط١ ١٩٨٢م بيروت. لبنان

فمثلاً رسالته لمشايخ ازكى بدأها بالدعاء لإزكى فقال:(١)

منى السلام عليهم والثناء شذا كالغـيثِ فَتّقَ أكماما بأريـاض

على نزارٍ وأهل الفضل من يَمَنٍ وجمعة المرتضى والمرتضى القاضي

وفي قصيدة أخرى بدأها بالسلام فقال:(٢)

سلام كأن المسك مِيطتْ لطائمُه أو الروض لما جيد فاحت كمائمُه

واختتمها بالدعاء لإزكى فقال:(٣)

سقى الغيثُ مغيوثاً وعذبي عذابها وشف على المسقاة يفترُّ باسمُه

واسدى بسدّي حيث زكت جميعُهـا من الماء ازكي وارجحنّتْ حيازمُه

أما مراثيه فإما أن يختمها بحكمة كأن يقول:(٤)

فالموت قنطرة على ظهر الرجا عَبَرت وعابرُها الأنامُ جميعُ

أو يختمها بالصلاة على رسول البرية فيقول:(٥)

وصلى الإله على أحمـد صـلاةً مُمسكـةَ الانتشـاقِ

وأصحابه الغر والتابعين مدى ما حدا الضعن حادي النياقِ

أو بختمها بالدعاء على جدث الهالك بالسقيا فيقول:(٦)

على قبرك المكلوء يا نسل أحمد تعاقبنَ أخلافُ السحاب الحوالكُ

---

(١) الديوان (المخطوط) ١٧٠

(٢) نفسه ١٨٠

(٣) المصدر السابق ١٨١

(٤) الديوان ٢/ ١٨٧

(٥) نفسه ٢/ ١٩٦

(٦) نفسه ٢/ ١١٠

الأسلوب واللغة

«إذا كان الشعر روحاً يكمن في سليقة الشاعر حتى يتجلى قصيداً قائم البناء، فهذا الروح في الشعر العربي يبدأ عمله الأصيل مع لبنات البناء، قبل أن تنتظم منها أركان القصيد»(١)

ولبنات البناء التي يقصدها العقاد هي الكلمات سواء أكانت مفردة أو مجتمعة، وهي التي يعول عليها في نقل الأفكار من المنشيء إلى المتلقي. (ومن المستحيل أن تنقل التجربة من فكر إلى فكر بطريقة مباشرة، بل لابد من إيصالها بواسطة أداة تؤديها، وهذه الأداة في الأدب عبارة عن لمسات مفردة أو مجتمعة يُدلى بها الواحدة بعد الأخرى، ولا بد من تفهمها قطعة بعد قطعة)(٢)

والكلمات هذه هي التي يتألف منها الكلام، وبالتالي يتكون النص من مجموع تلك الكلمات و «كل قول أو نص يتمتع بخواص أسلوبية محددة، على الباحث أن يقوم بتجميعها واختيار توزيعاتها من وجهات نظر مختلفة» وتمثل الخواص الأسلوبية للنصوص الأدبية إحدى هذه الوجهات، إذ تعد مستوى قائماً بذاته، قد يسمى لدى الباحثين اللغة الشعرية»(٣).

والأسلوب عرفه القدماء والمحدثون من النقاد العرب وغيرهم، ففي تعريف نقادنا القدماء.
«الأسلوب هيأة تحصل على التأليفات المعنوية، والنظم هيأة تحصل على التأليفات اللفظية»(٤)

وعند نقادنا المحدثين «طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو الضرب من النظم والطريقة فيه»(٥)

وعلم الأسلوب في النقد العربي «هو دراسة طريقة التعبير عن الفكر من خلال اللغة، والتعبير عن الفكر -يعني بدقة- كيفية استخدام المفردات والأبنية النحوية. وهو يشمل صياغة الفكر وعرضه»(٦)

---

(١) عباس محمود العقاد. اللغة الشاعرة. منشورات المكتبة العربية- صيدا- بيروت- لبنان ص١١
(٢) لال أبر كرومبي- قواعد النقد الأدبي- ترجمة: د. محمد عوض محمد. دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد- العراق ط٢ ١٩٨٦ ص٥٢.
(٣) صلاح فضل- علم الاسلوب- مجلة فصول. المجلد الخامس، العدد الأول ١٩٨٤م ص٤٩.
(٤) حازم القرطاجني. منهاج البلغاء. دار الغرب الاسلامي. بيروت- لبنان (ط٣) ١٩٨٦ ص٣٦٤.
(٥) احمد الشايب . الأسلوب. مكتبة النهضة المصرية- القاهرة. ط٢ ١٩٩٠م ص٤٤.
(٦) صلاح فضل. علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة- مجلة فصول: المجلد الخامس، العدد الأول ١٩٨٤م ص٤٩.

وإذا أتينا لدراسة أسلوب ابن اللواح، فنبدأ بالمعجم الشعري عنده وتطالعنا أساسيات المعجم الشعري للنهج التقليدي، وهي المادة القديمة التي تشكل الأصول الرئيسية لهذا المعجم، فإن القارئ لا يكاد يمُر على قصيدة في ديوان ابن اللواح حتى يستوقفه لفظ أو صيغة أو تركيب أو نمط من أنماط الصياغة، أو أي إشارة قريبة أو بعيدة تعود به إلى بيت شعر قديم، أو آية قرآنية، أو حديث شريف أو أي قول مأثور، أو ربما إلى مصطلح من علوم الأولين من فقه وفلك وبلاغة وعروض ونحو.

وهكذا يمتد المعجم الشعري لدى شاعرنا عبر عصور أدبية تاريخية. وقد تجسدت هذه الرؤية في طغيان النزعة البدوية على لغة شاعرنا متمثلة في تذكر الصحراء واستيحاء ما يرتبط بها من طبيعة حسية، مثل قوله:(١)

وَمِصْفَنُ أفْراسٍ ومَبْرَكُ هَجْمَةٍ   وشاوٍ دواديٌّ وناد ٍومَلْعَبِ

وسنمثل على غرابة الألفاظ في حينه.

وتمثلت المادة التاريخية والسرد الإخباري التي اتسم بها شعر أبي حمزة في سيرة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وذكرما اقترن بهذه السيرة من قبائل كالأوس والخزرج وكتب بعض الأديان كالزبور، والتوراة والإنجيل والقرآن. وتمثل النظم التاريخي في رسالة شاعرنا لإباضية أهل المغرب.

ومما يرتبط بالمادة التاريخية: أسماء الأعلام التي حفل بها ديوان ابن اللواح، فمن القبائل القديمة طسم وجديس وجديلة وعبس وذبيان والأزد، ومن أعلام الطب: أرسطاطاليس وأفلاطون وهرمس وجالينوس، ومن أعلام الفقه الإمام جابر بن زيد والربيع بن حبيب وعبدالله بن إباض وعبدالله بن وهب الراسبي، ومن أعلام الشعر الأخطل والمتلمس وديك الجن وكعب وقيس ولقيط بن يعمر الأيادي وغيرهم من قدماء الأعلام الذين حفل بهم ديوان شاعرنا مثل حاتم وقس وسحبان وباقل وليلى.

وهناك مصطلحات في علوم مختلفة أوردها ابن اللواح في شعره مثل العدم والوجود والأسماء والصفات والنفس والجسم والروح والبدن والقديم والسرمدي والمحدث، والحلال والحرام والتوحيد والسجود والركوع والتهليل والتكبير والإحرام والرمي والطواف والتقصير والحلق والوداع والرفع والنصب والخفض والأمر والنهي.

---

(١) الديوان ١/ ٢١١

والنصح والإرشاد. والمفرد والجمع واللحن والسناد. والإقواء والإيطال والإكفاء والمؤسس والمطلق والخرم.

أما أسلوب أبي حمزة في شعره فقد اتسم بالوضوح والإبانة، وابتعد عن التكلف والتعقيد، واتسم بالبساطة والعذوبة آنا والبداوة والجزالة أناً آخر.

وكان ابن اللواح عذب الأسلوب رقيقاً في بعض مقدمات قصائده التقليدية من حيث ذكر الطلل ورسومه وربع المحبوبة وذكر مواضعها واصطناع أسماء المحبوبات، واتسم بأسلوب الحوار بينه وبين المحبوبات، فمن مقدماته الغزلية التي اتسمت بالعذوبة والرقة قوله:(١)

كفى البَدْرُ حُسْناً أنْ يُقالَ نَديدُها فيزهو ولكنْ عن مثالٍ يذودُها
وحسبُ غُصونِ البانِ أنَّ قوامَها يُقاسُ به ميّاسُها وميودُها

فالألفاظ «البدر وحسْناً ويزهو، غصون البان، وقوامها، ومياسها» ألفاظ رقيقة عذبة المخرج حسنة الماء إضافة إلى ما اتصفت به من وضوح وإبانة وسهولة وتناسقها مع معانيها.

أما إخوانياته في مدح أصحابه ورسائله الشعرية لهم. فأسلوبه فيها اتسم بالجزالة والفخامة والقوة في الألفاظ تارة، والعذوبة والرقة والوضوح تارة أخرى.

فمن رسائله الشعرية التي اتسمت بالجزالة، والفخامة، والقوة: أبياته التالية التي وجهه لخاطر بن غريب. يقول فيها:(٢)

اللّه أكبرُ مِنْ شَوْقٍ بُليتُ به ولا سِواكَ بهذا الشوق أبْلانا
أوْجَبْتُ وجداً إلى وجدي فَهَتَّكَهُ كالدّمْع هَتّكَ آماقاً وأجْفانا
واحمرّتِ الأرضُ في عَيْني لبُعْدِكُمُ كما يُحمّرُ منيَّ الدَّمْعُ أوْجانا
أقولُ والعينُ شكرى بالدُّموع لكمْ يا مُرْسِلَ الطِّرْس قَدْ أطمسْتَ إنسانا

فالألفاظ : وجداً، وهتك، وأماقاً، وشكرى، والطرس، فخمة جزلة قوية في معانيها، عبّر بها الشاعر عما يكنه من شوق وإخلاص لصديقه لا سيما السطر الأول من هذه الأبيات (الله أكبر من شوقٍ بُليْتُ به) فإن له وقع القوة والفخامة.

(١) الديوان ١/٢٥٣
(٢) الديوان (المخطوط) ٧٠ إلى ٧١

ومن أمثلة العذوبة والرقة في مدائحه أبياته التالية التي وجهها للسلطان محمد بن أبي العرب بن صلت في مدح أبيه:(١)

ندُ الملوم مكارمـــــاً ومَحَامداً	هيـــهـــاتَ مثلَ أبيك ملك مُحَمّدُ
إن القَوافي بالمدائحِ فـــيكُمُ	قِدَمَ الزّمـــانِ ولَفْظُهـــا يتـــجـــدّدُ
فكأنهُنّ قــــلائداً من لؤلؤٍ	وعُلاكُمْ دون المـــلـــوك مُقَلّدُ

فألفاظها رقيقة عذبة واضحة لا تحتاج إلى إبانة. واتسم أسلوبه الشعري في النصائح والحكم بالوضوح في المعاني والألفاظ والتراكيب إضافة إلى التركيز الشديد في المعاني. كما اتسمت بالطابع التعليمي التربوي.

أما أسلوبه في الرثاء. فقد اتسم بصدق العاطفة ومرارة الفجيعة خصوصاً في رثائه الخاص. وفي رثائه للعلماء، كما اتسمت تراكيبه في تأبين الميت بعمق التجربة، وتألق الخيال، ورواء الماء. كمثل الأبيات التالية في رثاء الشيخ عبدالله بن خلف الأغبري يقول:(٢)

أخي الجَفَنات الغـــرارِ الجَوابي	وربُّ القُدورِ الرَّواسي السَّمـــاقِ
تَرى الوفْدَ فـــوضى على بابِهِ	فـــهـــذا يَمـــانٍ وهذا عِراقي
شكا مـــالُه الجـــورَ منْهُ عليـــه	كـــمـــا منْهُ تشكو كـــماةُ التّلاقي
تَحنُّ يـــداهُ لِبَذْلَ الأيــــادي	على ســـائِليـــه حنين النِّيـــاقِ

ومن أمثلة صدق العاطفة عند الشاعر في رثائه الخاص قوله في رثاء ولده أحمد:(٣)

ولَدي وقُرّة مَقلتي كَبِـــدي بهـــا	لَهَبٌ عليك ومـــا عليك أهابُ
فـــلأنْتَ في كــلأ الإله ومنْعــهِ	وعليك مِنْ شيء تخافُ حجاب

ومن أمثلة صدق العاطفة وعمق التجربة ومرارة الفجيعة وجزالة الألفاظ في رثائه للعلماء، قوله في رثاء القاضي صالح بن أبي الحسين بن عبد السلام(٤)

أبكي عليك وحُقّ لي طولُ البكا	نَفِذَتْ دُمـــوعي فـــاستـــقل نجيعُ
أبكي عليك وكُلّ من وطئ الثّرى	يبكي عليك وليس عنك يروعُ
أبكي عليك وقـــد يُعظّم لوعـــتي	فـــيك البكا والحزنُ والتـــفـــجيعُ

(١) الديوان (المخطوط) ١٤١ (٢) الديوان ٢/ ١٩٤
(٣) ٢/ ١٠٦ (٤) نفسه ٢/ ١٧٧ - ١٧٨

أبكي عليك وقد بَكَتْ عندي العُلا	وجماعةٌ وجمائعٌ وجُموعُ
لو كان يَعْلَمُ غاسلوكَ بِلَوْعتي	تركوكَ لي عِوضَ المياه دُموعُ
بل ليتَ قبرك كان في عيني وفي	أحْشايَ واللحدُ المصانُ ضلوعُ
روحي فِداك أقولُ كنتَ وما دَرَتْ	رُوحي بأنّك قبلَها مَبْخُوعُ

وقد اتسم أسلوبه في الوصف بغرابة الألفاظ وحوشيتها، فهو يختار في وصفه للصحراء. وما بها من نباتات وهوام، الألفاظ الغريبة التي لا تكاد تستعمل، وكذلك في وصفه للرعد والبرق والشهب. وفي وصفه لبعض النباتات يقول:(١)

نَشْرُ التحية نشرُ الروضة الألفِ	جادَتْ عليها غوادي الدُّلَّج الوُطُفِ
من رائح غَدَقٍ أو باكر دَفِقٍ	مُهَجَّر صلقٍ مسنحفر وكفِ
ففتَّق الغيثُ أزهارَ النبات بها	ففاح منها أريج القضُّ والطُّهَفِ
محمَّلتْها رياضُ الشوقِ طاويةٌ	سرُّ الكآبة من قلب امرئٍ دَنِفِ
صبٌّ إذا هَتَفَتْ ورقاءُ شاجيةٌ	جافى السُّلُوُّ لِرَجْعِ الساجع الهتفِ
وإن هَفا البرقُ قر القلبُ حين هفا	إيماضة في دياجي الكافر السَّدَفِ

فالألفاظ (الدلج- الوطف- صلِق- مسنحفر- القض- الطهف- الكافر) ألفاظ غريبة حوشية مهجورة الإستعمال، لا يكاد يفهم معناها، حتى المتخصص، فمابالك بالقارئ المثقف، ثم إن استعماله لفظتي (القض، والطهف،)أوهمنا أنهن من النباتات العطرية بقوله (ففاح منها أريج القض والطهف)، فالقضقاض: شجر من الحمض رقيق ضعيف أصفر اللون(٢) والطهف عشب ضعيف رقاق لاورق له. ولم يذكر صاحب التاج أنهن من العطريات فما اختيار شاعرنا لهذه النباتات ألا بحكم ولعه بالألفاظ الغريبة، وكذلك اختياره لفظة الكافر للّيل أو للسحاب بحكم ولعه بالألفاظ الحوشية.

من هنا يتضح لنا أسلوب ابن اللواح أنه متباين في أغراضه الشعرية، وهو مطلب يتفق مع نقادنا القدامى مثل القاضي الجرجاني فهو يرى (أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني فلا يكون غزلك كافتخارك ولا مديحك كوعيدك، ولا هجاؤك كاستبطائك ولا هزلك بمنزلة جدك ولا تعريضك مثل تصريحك بل ترتب كلا مرتبته وتوفيه حقه، فتلطف إذا تغزلت وتفخم إذا افتخرت وتتصرف للمديح تصرف مواقعه).(٣)

(١) الديوان (المخطوط) ١٦١ (٢) ينظر تفصيله في التاج في مادة (قضض، قصص)

(٣) علي بن عبد العزيز الجرجاني- الوساطة- دار احياء الكتب العربية. (١٩٨٥) ص٢٢ وينظر أحمد الشايب- (الأسلوب من ص ٦٢-٩٢)

أما عن لغته الشعرية، فإن أسلوبه يتراوح بين المباشرة الخطابية والدلالات الإيحائية، فأحياناً نجده يتعمق في الفكرة ويختار الألفاظ التخييلية الموحية، التي تحرك المشاعر وتدغدغ الأحاسيس، وذلك في مثل قوله:(١)

شَخصْنا بأبصار إلى نحو رُسلكم ... رجاء طُروسٍ نَقْتَضيها بوصلكم

على ما عهدْنا من مَزيرة حُبّكم ... وإخلاصكم فيناً ومن حُسنِ فعلكم

فَسَرَّحْتُ ألفاظي حفاظاً لأجلكم ... فما نظرت عيني لكم أثرَ السطر

وقوله:

إذا لاح لي برق بجرعا سمائل ... أصافحه عن ناظري بأنامل

وقد اصطليه كالنياق الشواكل ... وقد قُلتُ لمّا أن أهاج بلا بلي

كفى بك يا برقُ مقال العواذل ... فهبني صبراً إنني خانني صبري

تبيتُ نجومُ الليل تسري لناظريَ ... وتغرب إلا في سماء ضمائري

وإن سمعتْ أذْنايَ ترجيعَ طائر ... على رأسِ فنُّ مورق الغُصْنِ ناظر

أجودُ بنفسٍ لم تَزَلْ في حَناجري ... تردّدُ حتى إنها شقّقتْ صدري

وأحياناً ما تكون لغته جافة خالية من الإيحاء والتخييل. والقطعة التالية ربما تبين صدق ما نقول.(٢)

فَقُمْ يا أخي في أهْبَة الزّادِ عاجِلاً ... فَقدْ فازَ مَنْ للصالحاتِ عَجولُ

ولا تَكُ عَنْ داعي المنيةِ غافلاً ... فكمْ خابَ منحوسُ الجدودِ غفولُ

فآباؤنا ماتتْ وأبناؤنا معاً ... وأتْرابُنا شُبّانُها وكهولُ

سبيلُ النجا ما عشت للخير واضحٌ ... وليس لنا بَعْدَ المماتِ سبيلُ

وفيها يقول:-

ونَتْرُكُ داراً لا زيارة بَيْنَنا ... ولا أحَدٌ بَعْدَ الصِّرام وصولُ

إلى النفخةِ الأخرى فيجمعنا بها ... لفصل قضاءِ الحشرِ وهو مهولُ

فمن فائزٍ منا فأُدْخِلَ جنةً ... ومن خاسرٍ للنارِ سيق يؤولُ

---

(١) الديوان (المخطوط) ٥٤

(٢) الديوان (المخطوط) ١٥، ١٦

إن ما يمكن أن يقال عن لغة هذه القطعة، هو أنها لغة تقريرية إنشائية، وموظفة توظيفاً معجمياً، فكل لفظة، وكل عبارة تؤدي المعنى القاموسي لها لاغير.

ومن هنا كانت أقرب إلى الكلام العادي. الذي يقصد به النصح والإرشاد منها إلى الإثارة والإمتاع، ولا نحس فيها بشاعر يحرك العواطف ويدغدغ الأحاسيس، والذي يميز هذا الكلام عن النثر، إنما هو الوزن والقافية، فلولا النغمة الموسيقية التي تشيع في الأبيات عند قراءتها، لما اعتقدنا أننا أمام قطعة شعرية، إذ أن أسلوبها أسلوب خطابي مباشر يشيع فيه أسلوب الخطبة من أمر ونهي وتقرير وتحذير، مما يجعلها جافة خالية من كل إيحاء، وإذا انعدم الإيحاء والتصوير من القصيدة فقدت روح الشعر وصارت نظماً. إلا أننا نجد ناقداً قديماً يقول أن «المراوحة بين المعاني الشعرية والمعاني الخطابية أعود براحة النفس، وأعون على تحصيل الغرض المقصود... ، والشعر المراوح بين معانيه أفضل من الشعر الذي لا مراوحة فيه»(١)

كما نجد في شعر أبي حمزة الألفاظ والمعاني النثرية التي تحط من قدر شعره وارتقائه، فالأبيات التالية هي أقرب إلى النثر منها إلى الشعر لما تحويه من ألفاظ ومعاني نثرية يقول:(٢)

أأحباب قلبي كيفَ أنتُم ودَهْرُكمُ ... عسى في سرور بالسعادة شاملِ
وهل وصَلَتْ سُفَّارُكم بَعْدَ بُعْدهم ... إلى دارِهم ذات المقر سمائلِ
وعَلّهمُ في صحّة وسلامةٍ ... وإقبالِ جدٌ بالغنائم قابلِ
فلا رتّق الباري عليهم معايشاً ... ولا كَدَّرَ الباري لكم شربَ ناهلِ
ولا بَرِحَتْ مِنّي عليكم تحيّة ... بكل عروسٍ مائل في الغلائلِ

إلى أن قال:

وقُرَّةَ عيني بلّغوهُ تحيتي ... وخُصُّوا عليّانا تحيات ناسلِ
وأبناءكم طُراً وحتى عبيدكم ... وجيرانكم أو من ضُيوفٍ وَواغلِ

ولا يخلو شعر أبي حمزة من أسلوب الحوار والمساءلة، فبعض أبياته اتسمت بهذا الأسلوب كالبيتين التاليين:(٣)

قَالوا نَراكَ غَدوتَ أحْدَبَ شايباً ... قُلتُ الفِراقُ لِمَنْ أُحِبُّ أشابني
قالوا سِواك هواكَ قبلكَ صابهم ... هيهات فوقَ مصابِ ذاكَ أصابني

(١) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء ص ٣٦١.
(٢) الديوان (المخطوط) ٣٠ (٣) الديوان ١/ ١٧٧

ومن هذا الأسلوب الأبيات التالية:(١)

أقولُ لصحبي أيْمِنوا بي على الحمى	وعُوجوا على وادي العقيق بِنا صَحْبي
يقولون لي ليلى الشريفة بينها	وبينك ما بين الركاب على الغبي
وترْجو لها وصْلاً ومن دون وَصلها	تنائفُ سهبٍ قد أُضفِنَ إلى سهْبِ
فقلتُ لهم إني إلى الله راغبٌ	وأسألُهُ وَصلاً إلى تلكُمُ الحجب

ومن أسلوبه أن يلزم نفسه ما لا يلزمُ، فينتقي قوافي صعبة المركب، بل إنه يلزم نفسه في بعض الأحيان تصريع قصيدة بأكملها، كما فعل في القصيدة الأولى من ديوانه التي جعلها مصرعة على حرف الهمزة. نختار منها الأبيات التالية: (٢)

سعادتي لَدَيْكَ أوشقائي	إنيَ مِنْ ديني ومن بنائي
تُبْتُ فَهَبْني العَفْوَ في اللِّقاءِ	واقْبَلْ إلهي المحض من ثنائي
واجْعَلْ رضاكَ في غَدٍ جزائي	صلِّ على النبيِّ بالمساءِ
وبالصباحِ أنت يا مولائي	أزكى الصلاة ثم والهناء

وهذه القصيدة واضحة التكلف، فالقافية تضطره أحياناً أن يأتي بألفاظ حشوية يقيم بها القافية، أو يهمز مالم يكن مهموزاً كهمزه لفظة (مولاي) فقال (مولائي)، كزيادة لفظة الهناء في نفس البيت الأخير بما لا يتفق مع سياق المعنى، إذ ينبغي أن يكون المعنى، أزكى الصلاة والسلام. فجاء بالهناء لتكملة القافية.

ومن القوافي الصعبة التي استعملها في ديوانه قافية الزاى والشين والثاء والذال مما تضطره إلى اللجوء إلى كلمات غريبة جداً لم أجد لها معنى في المعجم. وركب قافية الياء المشددة، نأخذ هذين البيتين:(٣)

سلوتُ بزورتي لك أهلَ وُدِّي	ولكن بالوداع أنا الشجيُّ
ولولا عسيلةُ وعليٌّ عَولٌ	لَهُمْ عندي بهمْ هَمٌّ نجيُّ

والشاعر في بعض مقطوعاته يختار حروفاً منسجمة ومتوائمة مع الموضوع والفكرة التي يود الحديث عنها. كالأبيات التالية:(٤)

---

(١) نفسه ١/ ١٠٣

(٢) نفسه ١/ ٧٦

(٣) الديوان ٢/ ١٠٧

(٤) نفسه ١/ ٢٦٥

ألا فـــانظُروني بـعين الصـــفـــا ... فـهـيـهـات مـثـلي خليـلٌ صَفَـا
إذا مـــا الخـليـلُ أضـــاعَ الخليـلَ ... وعـــاصـــاهُ في الحــال مـــا أنْصَفَا
رأيْتُ قـلـوبَ رجـــالِ الزمـــانِ ... صـــارتْ صـــلاداً لِصُمِّ الصـــفـــا
فَمَنْ لـي بـخـلٌّ أراه إذا مـــــا ... صَفَـــيتُ الوداد له لي صـــفـــا
أبيتُ أصـــافي ســـوى مَنْ صـــفـــا ... وأنْصفُ إلا فـــتى منصـــفـــا

فالفكرة الرئيسية في هذه المقطوعة هي طلب المصافاة وفعلها (صفا) وحروفه صاد وفاء وألف.

والشاعر أكثر في هذه الأبيات من حروف الصاد والفاء والألف وجعلها تكتظ بها.

ففي البيت الأول، تكررت لفظة (الصفا) مرتين، وفي الثاني جاء حرف الصاد والألف والفاء في (عاصاه وأنصفا)، وفي الثالث ازدحم الشطر الثاني بالصادات، ولم تخل منه لفظة الصفا، وفي الرابع جاء الفعل صفا مرتين، والخامس اكتظ بحروف الصاد والفاء والألف في الألفاظ التالية (أصافي، صفا، أنصف، منصفا) فالملوحيُّ ركز على الحروف التي تشتق منها الفكرة الرئيسية لتعطي المقطوعة توا ساً وانسجاماً وجرسا.

والمثال الثاني على حسن اختيار الشاعر حروفاً تتناسب والموضوع الرئيسي للقصيدة، اختياره حرف العين قافية لموضوع الوداع وتكرار حروف الدال والعين والألف في القصيدة التالية:(١)

نـودعـكـم أحـــبّتـنا وداعـــــا ... قُصـارى ســتـةٍ لكُمُ ارتجـاعـا
نودعـكم وفي الأحـــشـــاء منا ... أجـيج الشـوق يلتـذع التـذاعـا
نـودعـكـم وفـي الـوجـنـات هـامٍ ... أبيُّ الدّمـع منحـــــدراً تداعـى
نراعـــيكم على قـــربٍ وبُعْدٍ ... ومـــــثلكم أحقُّ بأن يُراعـى
أراع الله قـلبـــاً غـــيـــر راعٍ ... حِفـــاظكم ولا بـكم أراعـــا
نـودعـكم أحـــبّتـنا ونرجـــو ... على إثر الوداع نرى اجـتـمـاعـا

فتكرير لفظ (نودعكم) تنويه بالوداع، وإشادة بذكره وتفخيم الوداع في قلوب المودّعين والمودّعين وفي أسماعهم(٢)، لإحداث أثر التعاطف بينهما. وإنما فعل ابن غسان ذلك التكرير تأكيداً له وتشبيداً من أمره وللدلالة على العناية بذلك التوديع(٣).

---

(١) الديوان ١/ ١٤٦

(٢) ابن رشيق القيرواني- العمدة. دار المعرفة- بيروت. لبنان. ط الأولى ١٩٨٨م ٢/ ٦٨٤

(٣) ضياء الدين بن الأثير. المثل السائر. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت- لبنان ١٩٩٠م ٢/ ١٨٤

وتزاحم العينات في القصيدة يعطيها جرساً موسيقياً كما يوحي بصدق عاطفة هذا التوديع من قبل المسافر. وتعاطف المقيم مع المسافر تعاطفاً يجعله متعلقاً به حتى أوبته سيما والشاعر يقول:(١)

سنذكركم بمكة في المساعي ... فتوسعكم مواقيتاً وساعا
ونطلب ربنا لكم رضاهُ ... ونطلب أحمداً لكم الشفاعا
ونطلب منكمُ الدعواتِ كيما ... لها في القصد نتنفع انتفاعا

مما يجعل المقيم راجياً وطامعاً في أن يذكر في تلك الأماكن المقدسة.

والتكرار كأنه ضياء يسلطه أبو حمزة على وجوه المعاني التي نسقت في الأبيات؛ لتبدو أكثر وضوحاً. قال ابن قتيبة «إن القرآن نزل بلسان القوم وعلى مذهبهم، ومن مذاهبهم التكرار إرادة التوكيد والإفهام»(٢)

وقال ابن فارس: «ومن سنن العرب التكرير والإعادة. إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر»(٣)

وقد كثر التكرار في ديوان ابن اللواح بين أبيات بأكملها أو بأشطرها، وبين معان وألفاظ وحروف؛ لذلك سأضرب أمثلة على الأنماط التالية للتكرار وهي:

١- تكرار أبيات كاملة
٢- تكرار أشطر كاملة
٣- تكرار معاني
٤- تكرار ألفاظ
٥- تكرار حروف

١- كرر أبو حمزة أبيات كاملة مثل قوله:(٤)

تَناشدُوا شِعْرَ ليلى كلما انتبهوا ... ما كانَ في الشِّعرِ مَخْرُوماً ومَفْروقا

---

(١) الديوان ١/ ١٤٦
(٢) ابن قتيبة الدينوري. تأويل مشكل القرآن. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة. مصر.(ب.ت) ص١٨٢-١٨٣
(٣) أحمد بن فارس. الصاحبي: المكتبة السلفية بالقاهرة. مطبعة المؤيد ١٩١٠م ص١٧٧
(٤) الديوان ١/ ١٦٦
(٥) نفسه ١/ ١٥٦

فكرر هذا البيت بهذه الصيغة فقال:(١)

تناشدُوا الشّعرَ في ليلى لمجْلِسِها ما كان في الشّعْرِ مَقْبوضاً ومُنْطَلِقا

وكرر البيتين التاليين فقال:(٢)

بالمشعر الصّبْحِ هم صلُّوا وقد قَصَدوا رَمْيَ الجمار قُبَيْلَ الدم ما ريقا

وقال في تكراره بجميع ألفاظه تقريباً:(٣)

بالمشعر الصّبْحِ هم صلُّوا وقد قَصَدوا رَمْيَ الجمار قُبَيْلَ الشّعْرِ ما حُلِقا

(٢) كرر أبو حمزة أشطراً في بعض قصائده فمن ذلك قوله:(٤)

إذا لاحَ لي بَرْقٌ بجرعا سَمَائلِ أصافحهُ عن ناظري بأناملي

قال في تكرار الشطر الأول:(٥)

إذا لاحَ لي بَرْقٌ بجرعا سَمَائلِ يَظَل له طَرْفي وقَلبي يَبْرُق

وكرر الشطر الأول في البيتين التاليين فقال:(٦)

أخاطرُ يا ابْنَ سيِّدنا غريبٍ وأنتم خير من أمَّ الصفوفا

وقال في البيت الآخر:(٧)

أخاطرُ يا ابْن سيِّدنا غريبٍ أبَيْنٌ عن وصالي واغتراب

(٣) تكرار المعاني:- من الأبيات التي كرر معانيها قوله مخاطباً ليلى الشريفة:(٨)

ركبتُ إليكِ في البحر الجواري وفي البيداء أكوار النِّياقِ

وكرر الشطر الأول في البيت التالي فقال:(٩)

ركبتُ إليكِ في البحر الجوارى وجُزْتُ مهالكاً فيها قَذُوفة

---

(١) نفسه ١/ ١٥٦

(٢) نفسه ١/ ١٦٧ (٣) الصحيفة ٢/ ٣٧٧

(٤) الديوان (المخطوط) ٥٤

(٥) نفسه ٥٢

(٦) الديوان (المخطوط) ٦٣

(٧) نفسه ٥٦

(٨) الديوان ١/ ١٥٣

(٩) نفسه ١/ ١٤٩

الاقتباس :يبدو أثر الثقافة واضحاً في شعر أبي حمزة، فيكثر في شعره الاقتباس من القرآن الكريم.

فمن اقتباساته من القرآن الكريم قوله حكاية عن المؤمن يوم القيامة:(١)

يُزَفُّ إلى جنّةٍ عرضُها   كَعَرْضِ السماءِ وعرض البلادِ

مشيراً إلى قوله تعالى: «وسارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبّكُمْ وَجَنّةٍ عَرْضُها السمواتُ والأرض أُعِدّتْ للمتّقين»(٢)

ومن اقتباساته أيضاً قوله:(٣)

وفيها الزَّرابيُّ مبثوثةٌ   وفيها الحريرُ بطيب المهادِ

اقتبسها من قوله تعالى فيما أعده للمؤمنين في الجنة (وزرابيُّ مَبْثُوثَة)(٤)

ومن اقتباساته من القرآن الكريم كذلك قوله:(٥)

وسيق إلى النار سوق الجنيب   فيا شَرَّهُ من مُساق مقاد

مشيراً إلى قوله تعالى: (وسيقَ الّذين كَفَرُوا إلى جَهَنّمَ زُمَراً... الخ) (٦)

التضمين :

يبدو تأثر أبي حمزة بمن سبقه من الشعراء القدامى واضحاً، وذلك في تضمينه معاني من أشعارهم، وأحياناً أنصاف أبيات، وأولئك الشعراء أمثال طرفة بن العبد وزهير بن أبي سلمى والإمام الشافعي وأبي الطيب المتنبي وغيرهم، فمن تضميناته قوله:(٧)

ومن لم يزن عقلَه نطقُهُ   أخفُّ لدى الناسِ ميزانُه

ضمنهُ بيت زهير بن أبي سلمى الذي قال فيه:(٨)

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُهُ   فَلَمْ يبقَ إلا صورةُ اللحم والدمِ

كما تأثر بطرفة بن العبد، فما أحسب بيت ابن اللواح التالي:(٩)

---

(١) الديوان ٣١٧/١
(٢) آل عمران آية (٣٣)
(٣) الديوان ٣١٧/١
(٤) الغاشية آية (١٦)
(٥) الديوان ٣١٨/١
(٦) الزمر آية (٧١)
(٧) الديوان ٤٠٥/١
(٨) ديوان زهير. دار صادر ص٨٩
(٩) الديوان ٣٦٧/١

وأعلم أنّ الموتَ ضربةَ لازم   علامٌ وما منّا تُقامُ اللوازمُ

إلا تضميناً لمعنى بيت طرفة التالي(١)

لعمرُك إنّ الموتَ ما أخطأ الفتى   لكا لطّوَلِ المرخى وثِنياهُ باليد

وكذلك بيت ابن اللواح التالي:(٢)

أنا الرجلُ الضربُ المهذّبُ قلبُهُ   وأنى امرؤٌ مثلي يُقال لهُ الضَّرْبُ

ضمن فيه شيئاً من معنى بيت طرفة التالي:(٣)

أنا الرجلُ الضرب الذي تعرفونَهُ   خِشاشٌ كرأس الحيّةِ المُتَوَقِّدِ

وكذلك تأثر ابن اللواح بشعر الامام الشافعي فبيت ابن اللواح التالي:(٤)

ترجو النجاة ولم تسلكْ لها طُرُقاً   لا تنزلُ الشمس في برج من الحمل

شطره الأول أخذه كله بعباراته من بيت الإمام الشافعي التالي:(٥)

تَبْغي النجاة ولم تسلك طريقتها   إن السفينة لا تجري على اليبسِ

وتأثر كذلك أبو حمزة بأبي الطيب المتنبي، فضمن شعره كثيراً من أشعار أبي الطيب، فما بيت ابن اللواح التالي:(٦)

فلا يَسْلَمُ المَجْدُ الأثيلُ من الأذى   إذا لم تُرَقْ من حولِ أقطارِهِ الدّما

إلا سلخ لبيت أبي الطيب التالي:(٧)

لا يسلَمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى   حتى يراقَ على جوانبِهِ الدمُ

وبيت أبي حمزة التالي:(٨)

خفيتُ عن الرائي فلولا مخاطبي   كأنّي لمامٌ أو خيالُ لمامي

تضمين لمعنى بيت أبي الطيب التالي:(٩)

كفى بجسمي نحولاً أنني بشرٌ   لولا مُخاطبتي إياك لم تَرَنِ

---

(١) ديوان طرفة بن العبد. طبعه مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٥ ص٣٧

(٢) الديوان ١/٢٠٢ (٣) ديوان طرفة بن العبد ص٤٢

(٤) الديوان ١/٣٣٠ (٥) ديوان محمد بن إدريس الشافعي ص١٠٩

(٦) الديوان (المخطوط) ١٢٠ (٧) ديوان أبي الطيب المتنبي ٤/٢٥٢

(٨) الديوان (المخطوط) ٧٨ (٩) ديوان المتنبي ٤/٣٠١

وضمن ابن اللواح البيتين التاليين من شعر ابن الفارض قال ابن اللواح:(١)

إذا ذُكِـرتْ ليلى فكُلّيَ ألسُنٌ وهُنَّ لهـا والذكـرُ باقٍ مـوادحُ
وإن حـدثوا عنهـا فكلي مـسامعٌ إلى طيب ذكـراها الشـهيِّ مـواتحُ

وقال ابن الفارض:(٢)

فإن حدّثوا عنها فكلّي مسامعٌ وكلّيَ إن حدثتُهم ألسنٌ تتلو

ومن تضمينه قوله متأثراً ببشار بن برد:(٣)

إذا كنت تبغي في الزمان صديقاً فكن غاضباً عما تراه طروقا
فمن لك بالخلّ الذي لستَ عاتباً عليه وتلقاه عليك شفيقاً

فهذان البيتان تضميناً لأبيات بشار بن برد التالية:(٤)

إذا كنتَ في كُلِّ الأمورِ معاتباً صديقَك لم تلق الذي لا تُعاتبُه
وإنْ أنتَ لم تشربْ مِراراً على القذى ظمئْتَ وأيُّ الناس تصفو مشاربُه

المآخذ اللغوية والضرورات الشعرية:

لقد وقع أبو حمزة في بعض المآخذ اللغوية مثل لغة (أكلوني البراغيث) التي انتشرت في ديوانه، كما أخذت عليه مآخذ في أحكام الفعل المضارع من حيث جزمه ونصبه ورفعه، وتمثلت بعض المآخذ الأخرى في قصر الممدود، ومد المقصور، وحذف ياء المنقوص، المنصوب. ونمثل على هذه المآخذ بالتالي:

لُغة البراغيث :

يجعل الشاعر للفعل فاعلين، مثال ذلك قوله:

إذا ما طال عمرُ المرءِ فيها قَصُرْ(نَ) لطولها (الهِمِمُ) الكبارُ(٥)

بل في بيت واحد يتكرر ذلك مرتين فيقول:(٦)

لقد أحرقْنَ قلبي (مويقاتٌ) ومنها سلْ(نَ) (أدمُعيَ) الغزارُ

---

(١) الديوان ١/١١٦ (٢) ديوان ابن الفارض ص١٣٨
(٣) الديوان ١/٣٦١
(٤) ديوان بشار بن برد ١/٣٢٦
(٥) الديوان (المخطوط) ٧٣ (٦) نفسه (٧٣)

شرائعاً عذبت طعماً مواردُها وقد حُمِد(ـنَ) على العُقبى (مصادرُها)(١)

تهدّمْنَ (أضراسُه) وانحنى وماتت على رأسه الشعرات(٢)

رَقَصْـ(نَ) بنا (الأيانقُ) نحو ليلى وقد نظرتْ نواظرهنّ حجبا(٣)

أقلِّبُ خَدي فوق تربة قبره وقد ساعد(ا)ني (الدمْعُ) فانهل و(القلبُ)(٤)

صلاةٌ من الرحمن تغشاك كلما جَزَعْـ(ـنَ) الفلا (كومُ) الركابِ وفودُها(٥)

ليس العتابُ بجلابِ الودادِ وإن طالَ العتابُ به زلـْ(ـنَ) (الموداتُ)

نجد اللهيب على متونِ خدودنا عند الوداعِ وهُنّ سِلْنَ (دُموعُ)(٦)

أحكام الفعل المضارع :-

جزم الفعل المضارع التالي من غير جازم فقال:(٧)

والله يكلأكم من كل نائبةٍ (تحاذِروُها) ولا ساءَتْ بكم دُوَلُ

وعدم إعمال أداة الجزم (لم) في الفعل المضارع (ترضى) فقال:(٨)

أُصالحُ أيامي إذا ما ارتضيتها وإن لم بها ترضى فليس صلوحُ

جزم الفعل المضارع (تبعثوه) من غير جازم فقال:(٩)

لعل كتاباً (تبعثوهُ) لعله لعقدِ النوى والوجد يصبح ناقضا

لم يجزم فعل الشرط (يبلى) وإنما جزم جوابه (يعش) فقال:(١٠)

متى عاقلٌ يبلى بصحبة جاهل يعشْ جاهلاً لو كان معقل عاقل

جزم الفعل المضارع (يعفو) (بلام كي) وكان حقه النصب (ليعفو) فقال:(١١)

إذا لم تعفُ عني من إليه ألوذُ ليعفُ عن هذي المخازي

عدم إعمال أداة الجزم (لم) في الفعل المضارع (تؤوب) فقال:(١٢)

نزلتْ بهم ريبُ المنون فأقفلوا عنها لدار لم تؤبُ تفالُها

لم يُعْمل (كي) الناصبة للفعل المضارع فقال:(١٣)

(١) الصحيفة ٢/ ٣٩٩ (٢) الديوان ١/ ٢٨٧ (٣) نفسه ١/ ١٠٢ (٤) نفسه ١/ ٢٠٤
(٥) نفسه ١/ ٢٥٧ (٦) نفسه ١/ ٣٥١ (٧) الديوان (المخطوط) ١٨
(٨) الديوان (المخطوط)١٩ (٩) نفسه ٢٣ (١٠) نفسه١/ ٢٩
(١١) الديوان ١/ ١٣١ (١٢) نفسه ١/ ٣٩٥ (١٣) الديوان (المخطوط) ٨٤

قصدتَ الحج كي تمحو ذنوباً وأنّى يا غريب لك الذنوبُ

جزم الفعل المضارع بلا النافية فقال:(١)

ولا تَجدْ أحداً إلا عليه لهُ من علمهِ أو هُداه أو نداهُ يدُ

جزم الفعل المضارع (يزوروا) من غير جازم فقال:(٢)

وهل جيرانكم أهلُ القبور يزوروا أم أسارى للنُّشُور

لم يجزم الفعل المضارع (تقربان): (الأول) بلا الناهية بل جزم الثاني فقال:(٣)

وإياكما الغِيبات لا تقربانها ولا تقربا تجسيسها والمهامزا

جزم الفعل المضارع (اقنع) من غير أن يسبقه جازم فقال:(٤)

اقنعْ بما أنا فيه منك أقاسي يا دهر أحداثا بغير قياسِ

---

(١) الديوان ٢/ ١٤٢

(٢) نفسه ١/ ٣٣٣

(٣) نفسه ١/ ٣٣٨

(٤) نفسه ١/ ٣٤٢

مد المقصور وقصر الممدود:

قصر الممدود في لفظ (أضاءت) فجعلها أضت في البيت التالي:(١)

ما ولولتْ ريحٌ ولا شمسٌ أضت   إلا وإني ناشدٌ عن حاله

وقد مد لفظ (الهدى) وهي مقصورة في البيت التالي فقال:(٢)

لقد كنا بدَهْيا مُدْلهم   وهابِكُمُ فقد وضح الهُداءُ

ومد لفظة (المنى) وهي مقصورة فقال(٣)

وغاية السؤال في المناء   أرجوه حفظاً منك في قراء

ومد لفظة (ليلى) وهي مقصورة فقال:(٤)

فصبري عنك (ياليلاءُ) هذا   وسلواني يُعَدُّ إلى مهازي

ومدها في بيت واحد مرتين فقال:(٥)

فَبْري عنك يا ليلاءُ فانٍ   وحبّي فيك يا ليلاءُ باقِ

ومد لفظة نُهى وهي مقصورة فقال:(٦)

إذا اقتدتِ الرجالُ بذى نُهاءٍ   تدلُّ على التكامل في نُهاها

حذف ياء المنقوص المنصوب(٧)

حتى غدا الشَّرْكُ المشقشق جلُّهُ   واهٍ ولم يخطُر على هلباتِهِ

ويحذف ياء المنقوص المنصوب علماً بأن حقها الإثبات، وذلك في مثل قوله:(٨)

ومن ذا لائمي إن رحت ماش   لليلى والنعال ولَوْ خُدودي

وقوله في نفس القصيدة:(٩)

وإنْ تَكُ أمُّكَ الخدراءُ (عاص)   فلستَ لها بعاصٍ أو عنيدِ

وكذلك قوله:(١٠)

يذكرني إليك ولستُ ناس   ولكن طارفاً فوق التليد

---

(١) الديوان (المخطوط) ٢١ (٢) نفسه ٣٢ (٣) الديوان ١/ ٥ (٤) نفسه ١/ ١٢٩
(٥) نفسه ١/ ١٥٣ (٦) نفسه ١/ ٣٩١ (٧) نفسه ١/ ٢٤٩ (٨) نفسه ١/ ١٦٢
(٨) نفسه ١/ ١٢٥ (٩) نفسه ١/ ١٢٦ (١٠) نفسه ١/ ١٢٦

ومن أمثلة حذف ياء المنقوص المنصوب قوله:(١)

إذا لجأ المسيءُ بجنبِ لاجٍ عفا عنه وإنْ يكُ فيه (خاز)

التصغير :

صغر ليلات إلى لييلات فقال:(٢)

لُييلات الشبابِ سلبْنَ مني وعَوّضني البقا شَيبَ القُرونِ

وصغر قيس وليلى فقال:(٣)

وعشتُ وفي هواها عاش دوني قُيَيْس في لُييلى العامريّة

أما عن الضرورات الشعرية: فقد وقع أبو حمزة في بعض هذه الضرورات مثل الإيطاء والإقواء والسناد.

الإيطاء

الإيطاء هو: «إعادة القافية في الشعر، وأقبح الإيطاء ما تقارب، مثل أن يكون البيتان متجاورين أو بينهما بيت أو اثنان أ و ثلاثة على قدر ذلك»(٤)

ومنه مثل قول شاعرنا(٥)

وَقَدْ شَغَلَتْ أهلَ هذا الزمانِ وحاشا القليلُ بما يُسْتراب

أطاعوا اللعينَ أبا مُرَّةٍ بقولٍ وفعلٍ وما يُستراب

فقد كرر لفظة (يستراب) في بيتين متتاليين وبمعنى واحد وقوله:(٦)

فَبِتُّ ألثمُ خَدّيْها والزمُها وأرشفُ الشَنَبَ المعسولَ مُعْتَنِقا

ألقيْتُ وضواضها عنها وحُلّتها وبتُّ منْها مكانَ العقدِ مُعْتَنِقا

فتكررت لفظة (معتنقا) في بيتين متتاليين بمعنى واحد.

ومن الإيطاء(٧)

إذا أرتجتْ أبوابُ خلقك خالقي فبابك مفتوحٌ وما ليس مُرْتَجى

إذا لم أرَجّي منك عفواً ونائلاً فمن ذا سواك اللهُ مولايَ مُرْتَجى

(١) نفسه/ ١/ ١٣١ (٢) الديوان ١/ ٣٨٢ (٣) نفسه ١/ ١٩٧

(٤) أبو يعلى التنوخي- القوافي ص١٢٥ (٤) الديوان ١/ ٢٧٢ (٥) نفسه ١/ ١٥٥

(٦) نفسه ١/ ١١٤

فكرر لفظة (مرتجى) في بيتين متجاورين بمعنى واحد.

ومن الإيطاء قوله:(١)

تركت قلبي كريش النسرِ مُنْتَفِضاً والحزنُ من ذكر قلبي غيرُ مُنْتَفضِ

غادرتَ جرح الأسى في القلب مُنْتَفِضاً يبلى وبنيانُ حُزْني غيرُ مُنْتَفضِ

ومن إيطاءاته بعد بيتين قوله:(٢)

إذا لم تعفُ عنّي من إليه ألوذُ ليعفُ عن هذي المخازي

فقد أمسى إلهي منك خوفي وحسنُ رجايَ في شأوٍ لزازِ

فإن عني عفوتَ فمنكَ مَنٌّ وإن عذّبتني فَعَلى ارتيازى

فإنّك محسنٌ وأنا مسيءٌ ولا يحكى المجازي بالمخازي

الإقواء

الأقواء هو «اختلاف إعراب القوافي، مثل أن يأتي الشاعر بالضم مع الكسر، أو بالكسر مع الضم»(٣)

وقد أتى أبو حمزة في بعض قوافيه بالكسر مع الضم فقال:(٤)

أثار لنا التوديعُ وسْطَ قلوبنا غداةَ افترقنا لوعةَ الزّفراتِ

فكسر تاء (الزفرات) والقصيدة مضمومة التاء.

وفي موضع آخر جاء بالفتح مع الضم فقال:(٥)

وياليلةً نِلْنا مُنى القلبِ من مِنى وطابَ مقيلاً عنده وبياتا

وحق (بياتا) أن ترفع لأن القصيدة مضمومة التاء.

ومن هذا النوع من الإقواء قوله:(٦)

اللّهُ أنتَ المالكُ القُدُّوسُ والـ جبّارُ والحقُّ المبين المحسنا

فنصب (المحسن) ضرورة لأجل أن تتمشى مع قافية القصيدة مع أن حقها الرفع(٧)

---

(١) نفسه ١٦٣ (٢) نفسه ١/ ١٣١ (٣) أبو يعلى التنوخي - القوافي ص١١٧

(٤) الديوان ١/ ١٠٩ (٥) نفسه ١/ ١١٠

(٦) نفسه ١/ ١٧٥ (٧) ينظر الإقواء في الديوان ١/ ٢٠٤، ٢٣٣

السناد : -

السناد «هو اختلاف ما يراعى قبل الرّويّ من الحركات والحروف، فإذا أسند الشاعر بيتا وترك بيتاً سمى سِناد التأسيس، ومنه الردف وهو ردف بيت وترك بيت»(١)

ومن السناد «ماليس بمكروه، وهو تعاقب الواو المضموم ماقبلها، والياء المكسور ما بعدها في ردف القصيدة الواحدة، وذلك مجمع على استعماله ولا يحاط به لكثرته»(٢)

وقد جاء هذا النوع من السناد في شعر ابن غسان بل جاء في قصيدة واحدة سبع مرات ومن ذلك قوله:(٣)

فـردٌ تعـاليتَ لا نِدٌ ولا وَزَرٌ كَلاً ولا والدٌ تُدْعـى ومـولودُ
عن أين أو كـيف أو حـتى تجلّ وعَنْ تَبَعُّضٍ أو مـتى مـا فـيك تحـديدُ

فالحرف الذي قبل الرويّ في البيت الأول واو في لفظة (مولود) بينما في البيت الثاني في لفظة (تحديد) ياء. وقد جاء في نفس القصيدة قوله:(٤)

أقـيلُ في كُورِها كـالصَّقْرِ مـرتقـياً بـه أبـيـتُ وجـنْحُ الـلّيـلِ ممـدودُ
فـكلّمـا جُبْتُ بِيـداً بَعْدَها عَرَضَتْ أمـثـالُهـا وعلى أضْعـافـهـا بِيـد(٥)

التضمين : التضمين هو (أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها)(٦) وقد عابه قوم من النقاد القدامى، ولم يعبه ابن الأثير(٧)

وقد جاء هذا النوع في شعر أبي حمزة من ذلك قوله:(٨)

---

(١) محمد سعيد اسبر وبلال جنيدي- الشامل- دار العودة- بيروت ١٩٨١م ص٥٣١
(٢) القوافي ص١٣٠
(٣) الديوان ١/ ٨٢
(٤) الديوان ١/ ٨٢
(٥) ورد السناد أيضاً في ١/ ٩٥ أبيات رقم: ٦، ٨، ١٠، ١١، ١٤، ١٨، ١٩، ٢٣، ٢٩، ٣٠، ٣٧)
(٦) ابن رشيق- العمدة ١/ ٣٢٢
(٧) ينظر المثل السائر ٢/ ٣٢٤
(٨) الديوان ١/ ٢٠٩

ثم الضجيعين أهل المجد والشرفِ   وآلك الغر ثم التابعين ففي
آثارهم وطءُ عزٍّ غيرُ منهدفِ   هُمْ خيرُ ماضٍ أولوا الإسناد في العقبِ

فقد تعلق البيت الأول بالثاني

ومن التضمين قوله أيضاً:(١)

ولو كنتُ كلي ألسُناً وبديهةً   وعُمِّرتُ تعميرَ الزمان فلم أقوى
لما رُمتُ أحصي عُشْرَ معشار فضله   ولا عشر عشر العشر منه ولم أقوى

فتعلق جواب (لو) الشرطية بالبيت الثاني. وورد التضمين عند ابن اللواح في غير هذه المواضع.(٢)

أما عن المحسنات البديعية فقد استخدم ابن اللواح عدداً من هذه الفنون في شعره. وكان ملماً بها واعياً بأنواعها وأقسامها وقد أحسن في بعض المواضع في استخدام خامات صنعته، فيعرف متى يستخدم الجناس وأين يكون الطباق، وكيف ترتد الأعجاز على صدورها(٣). وسأتتبع من هذه الفنون ما وسعني تتبعه وكان بارزاً في شعر ابن اللواح.

رد الأعجاز على الصدور:

انتشر رد الأعجاز على صدورها في ديوان ابن اللواح، وكأنه مولع به. وقد جاء استخدامه في بعض أبياته حسناً لا يبدو عليها التكلف والصنعة، ولكن استخدامه في بعضها ظهر عليه التكلف والصنعة.

فمن أبياته التي أحسن فيها هذه الصنعة قوله:(٤)

إياك والهلعُ المشلي عليك به   حزناً فإنّ هلاكَ النفسِ في الهَلَعِ

وقوله:(٥)

كم ناعسٍ بهموم العُسْرِ مُنْضجعاً   فقامَ واليُسرُ عنه غير مُنْضَجِعِ

وقوله:(٦)

نَزَحْتُمْ فَنَزَحْتُ الدمعَ من مُقَلٍ   شوقاً لكُمْ ودُموعُ الشوقِ ما نَزَحَتْ

---

(١) الديوان ٢/ ٢٦١   (٢) ينظر مثلاً ١/ ٢٦٥ ٢٦٩، ٢/ ٢٠٦

(٣) د: شكري بركات. البديع في شعر اللواح. فعاليات ومناشط المنتدى الأدبي في سلطنة عمان. ديسمبر ١٩٩٣م ص ٣١٩

(٤) الديوان (المخطوط) ٢٣   (٥) المصدر السابق ٢٤

(٦) نفسه ٣٥

أما التي لم يحسن فيها استخدام هذا المحسن البديعي، فهناك قصيدتان أنشأهما، حاول فيهن أن يرد الأعجاز على صدورها، وظهر في تينك القصيدتين الصنعة والتكلف. فمن أبياته في القصيدة الأولى:(١)

ملامي على نفسي لفرقِ أحبّتي ... وليس على حُكْمِ المشيحِ ملامي
مصامي على أسواءِ رأيٍ رأيتُهُ ... وليس على حُكْمِ القضاء مصامي
مصامي لنَفح من نسيم جنابكم ... ولولا هواكُمْ ما أطلّتْ مصامي
مطامي خِضَمُّ النظمِ ما غبَّ مَدُّهُ ... لنا منكُمُ حتى أجاش مطامي

فالصنعة والتكلف واضحة على هذه الأبيات، من حيث مفرداتها المعقدة وتركيبها.

ومن أبياته في القصيدة الأخرى قوله:(٢)

علامَ الهجرُ يَنْهلني ... وأشربُ صدكم عللا
غلا شوقي بكم لكم ... فثار الحزن حيث غلا
غللتُ بذكركم حزني ... فلم يترك به غللا
فلا لي عنكم صبرٌ ... وإن قالَ الزمانُ فلا
فللتُ جيوشَ أحزاني ... بذكركم غدتْ فللا
قلا أحشايَ جمر هوى ... وحبات الفؤاد قلا

فالصنعة والتكلف واضحة على هذه الأبيات، من حيث مفرداتها المعقدة وتركيبها.

ومن أبياته في القصيدة الأخرى قوله:(٢)

ومن التكلف في هذه القصيدة أن جعل أوائل أبياتها مرتبة على حروف الهجاء، وزاد في التكلف بجعل بيتين لكل حرف، فمثلاً من هذه المقطوعة جعل لحرف (غ) البيتين، الذين أولهما (غلا، غللت) ولحرف الفاء (فلا وفللت).

ومثلاً هذا النوع من رد الأعجاز على صدورها معاب عند النقاد، قال حازم: (وأشدها إغراقاً في التكليف مابُني أكثر البيت على أوله ثم استؤنف بعد ذلك النظر في القافية)(٣)

وتتناثر الأبيات في الديوان التي رد فيها شاعرنا الأعجاز على صدورها، وكأنه مولع بهذه الصنعة البديعية، وحسبي أمثلة الأبيات التي أوردتها.

---

(١) المصدر نفسه ٨٧ (٢) الديوان (المخطوط) ١٠٤

(٣) حازم القرطاجني. منهاج البلغاء ص٢٨٢

الجناس :-

انتشر الجناس في ديوان أبي حمزة انتشاراً ملحوظاً، التام وغير التام بأقسامه المختلفة، إلا أن الجناس التام عنده أقل من الجناس غير التام. ومع هذا فلم يحسن استخدام الجناس التام في بعض المواضع، وجاءت بعض أبياته التي استخدم فيها الجناس التام معقدة المعنى، من ذلك قوله:(١)

الحمدلله رب اللّوح واللّوح   والريح والروح والريحان والروح

فالبيت يزدحم بالجناس ولكن معناه يحتاج إلى كدّ الذهن، بل يعسر أحياناً على المتخصّص فهمه (فاللوح) كل صفيحة عريضة، واللوح الكتف إذا كتب عليها، واللوح؛ الهواء بين السماء والأرض، فهذه معان تحتاج إلى بحث المتخصص حتى يدرك فهمها؛ لذلك صح ما قُلناه أن بعض أبياته في الجناس التام معقدة المعنى.

وبعض أبياته التي استخدم فيها الجناس التام سهلة المأخذ وهي قليلة، من ذلك قوله مخاطباً غريب بن خاطر(٢)

كتابُك يا ذخري غريب بن خاطر   أتاني ومن حُبّي له سَرَّ خاطري

فقد جانس بين خاطر الأولى وهي اسم علم، وبين الثانية، والتي معناها (ضميري). وقد وهم الدكتور شكري بركات عندما مثل على الجناس التام المتماثل بالبيت التالي:(٣)

ليلي إلى ليلى أحنُّ وإن بَدا   فلقُ الصباح لفيحها أتأنَّسُ

فلفظة (ليلي) تختلف عن (ليلى) في الخط وفي الحركة؛ فالأولى آخرها (ياء) والثانية ألف مقصورة، وكذلك في الحركة وبالتالي فيكون هذا البيت من الجناس غير التام.

وكذلك في قوله معلقاً على البيت التالي:(٤)

ألا فانظروني بعين الصفا   فهيهات مثلي خليلٌ صفا

علق على لفظة (الصفا) الأولى بقوله (مكان بعينه)(٥). والشاعر لا يريد أن يعين مكاناً بعينه في هذه اللفظة، وإنما يريد أن يقول انظروا إليَّ بعين الود والمصافاة، فهو يتحدث في

---

(١) الديوان ١/٧٩   (٢) الديوان (المخطوط) ٣٠

(٣) الديوان ١/١٣٧   (٤) نفسه ١/١٤٨

(٥) ينظر د: شكري بركات. البديع في شعر اللواح الخروصي. ص٣٢١

الأبيات الأولى من هذه القصيدة عن المصافاة والود.

وسها أيضاً الدكتور شكري عندما مثل على الجناس التام المستوفى بالبيت التالي:(١)

قَدْ قَدَّ غيظُك أضلاعي فقلقلني ... ومنه رأسي فقد شابتْ مفارقُهُ

فـ (قَدْ) تختلف عن (قَدَّ) في تركيبها وحروفها وحركتها؛ فالأولى مركبة من حرفين القاف والدال والثانية من ثلاثة أحرف القاف، ودالين، لأنها مشددة الدال والمشدد يضعف.

لذلك لا يعتبر هذا البيت من الجناس المستوفى، بل يكون جناساً ناقصاً وهو الذي يختلف فيه اللفظان في أعداد الحروف بزيادة حرف واحد في أحدهما. والبيتان التاليان:(٢)

تقلقلها المعازف والملاهي ... وكل نهيمة سحبت رداها

وما بلد يحلُّ النكر فيها ... إذاً إلا وياريها رداها

تكررت قافيتهما وهي لفظة (رداها) ويسمى هذا تجنيس القوافي:(٣) وهو الذي يشبه الإيطاء. وليس هذان البيتان جناساً مستوفى كما اعتبرهن الدكتور شكري بركات.

ومن أمثلة جناس القوافي عند ابن اللواح قوله:(٤)

من العجائب شوقي منكم لكم ... وأنتمُ في فؤادي رأيَ أعياني

أبغي الطبيب لدائي كي يمرضني ... مما أقاسيه من وجدي فأعياني

فتكررت القافية مرتين فالأولى بمعنى ناظري والثانية بمعنى أتعبني.

ومن تجنيس القوافي عنده أيضاً قوله:(٥)

بهَ اعْتَنَّ لي من سُؤْلِهِ فأخذته ... فسالتْ دموعي قبل ما طيّهُ (فضا)

ولما قرأتُ الأسطر اللاء ضمنت ... مرادي به عنّي الأسى والضنى (فضا)

فـ (فضا) الأولى بمعنى فك خاتم الكتاب. والثانية بمعنى انتشر وتفرق.

---

(١) الديوان ٢/ ٧٦

(٢) الديوان ٢/ ٨٩

(٣) ينظر أحمد مطلوب. معجم المصطلحات البلاغية. ١/ ٧٥

(٤) الديوان (المخطوط) ٣٥

(٥) المصدر السابق ٩

أما الجناس غير التام بأنواعه، فكثير في ديوان أبي حمزة. وحسبي أن أضرب ثلاثة أمثلة عليه كقوله:(١)

وقيتُ ببُرْدي ظهر جلدي عن البَرْدِ ولم أقِ بالأعمالِ عن سقر جلدي

جانس بين (بُرْد) و (بَرْد)

ومنه قوله:(٢)

حرائق حزن في فؤادي تَجَدّدُ وواكفُ دمعٍ في الخدودِ تَخَدّدُ

جانس بين (تجدد- وتخدد)

ومنه قوله:(٣)

بألفاظٍ قواض في المعاني مواضٍ لانُبوَّ ولا تأنيَّ

فجانس بين (قواض- ومواض)

الطباق

من الطباق الذي ورد في شعر ابن اللواح المطابقة بين فعل وفعل، وبين اسم واسم، وبين فعل واسم، فمن طباقه بين الفعل والفعل قوله:(٤)

وجدِّك إنّ الحبَّ رزقَ مقسّمٌ يحرِّمُه زيد ويُرْزَقُه عَمْرُ

(فطابق بين يحرم ويرزق)

ومن مطابقته بين فعلين قوله:(٥)

ليعلموا أنني لم أنْسَهم أبداً دنتْ ديارُهم سيان أو نَزَحَتْ

فطابق بين (دنت) و (نزحت)

وطابق في بيت واحد. بين فعل وفعل وبين اسم واسم فقال:(٦)

يزينُ بكم نظمي ونثري وغيركم يشينُ عليه نظميَ الدرُّ والنثرُ

فطابق (يزين) و(يشين) وهما فعلان وبين نظم و (نثر) وهما اسمان. ومن مطابقته بين اسم

(١) الديوان ١/ ٣٢١ (٢) الديوان ٢/ ١٣٧
(٣) الديوان (المخطوط) ٨١ (٤) الديوان (المخطوط) ١٩
(٥) المصدر السابق ٢٧
(٦) نفسه ١٩

واسم قوله:(١)

يُطوِّحْنَ أعلامٌ أشَبْنَ مفارقي وما خلتُ أن العزّ في طيِّه ذُلُّ

طابق بين (عز) و (ذل) وهما اسمان

وطابق بين فعل واسم، من ذلك قوله:(٢)

لئنْ غبتَ عني كُنَّ حسناك حُضَّراً وحبُّك حتى ما يُفارقُ مَشْهدي

ومن مقابلاته قوله:(٣)

فمماتُهُ في هجرِكم وحياتُه في وَصْلكم إنْ عِيقَ عَزْمٌ وصالهِ

فقابل بين (الممات والهجر) وبين (الحياة والوصل)

ومن طباقه الذي أراد به المقابلة ولكنه لم يوفق إليها. قوله مخاطباً عبدالله بن أسد وولده إثر كتاب جاء منهما:(٤)

فأجْمعَ ما بيني وبين غضارتي وفَرَّقَ ما بيني وما بين إخواني

وعادى لعمري بين قلبي ولوعتي وصالح ما بيني وما بين أحزاني

فإنْ هَدَّ أركانا من العُمْرِ شُيِّدتْ فقد شاد لما جاد بالزور أركاني

فقد طابق بين (أجمع) و(فرق) ولم يوفق في المطابقة بين الغضارة التي هي رغد العيش وبين الإخوان، كما طابق بين (عادى) و (صالح) ولم يوفق في المطابقة بين اللوعة والأحزان.

التصريع :

التصريع في الشعر تقفية الصراع الأول، وللتصريح في أوائل القصائد طلاوة وموقعاً من النفس لاستدلالها على قافية القصيدة قبل الإنتهاء إليها(٥):

وإنما يذهب الشعراء المطبوعون المجيدون إلى ذلك لأن بنية الشعر إنما هي التسجيع والتقفية، فكلما كان الشعر أكثر اشتمالاً عليه كان أدخل له في باب الشعر وأخرج له عن مذهب النثر:(٦)

وقلما توجد قصيدة في ديوان ابن اللواح غير مصرعة، فهو يعمد دائماً أن يصرع أوائل قصائده. فمن قصائده التي صرع في مطلعها قوله:(٧)

(١) نفسه ٣٧ (٢) نفسه ٢٢ (٣) نفسه ٢٠ (٤) نفسه ١١٢

(٥) حازم القرطاجني- منهاج البلغاء ص٢٨٣

(٦) قدامة بن جعفر- نقد الشعر. دار الكتب العلمية- لبنان- بيروت٠٠ مطابع يوسف بيضون. ص٩٠

(٧) الديوان (المخطوط) ١٠٧

كتابُك أيُّها الثقةُ الرضيُّ أتى وعتابُك الحلو الشهيُّ

ومن قصائده التي نسي أن يصرع في البيت الأول فيها قوله:(١)

ألا مبلغ مني أبا الشبل حمزة نصائح لا تلقى بهنَّ نصائحا

إلا أنه استدرك بعد بيتين وصرع في البيت الرابع فقال:(٢)

ولستُ أباً لابن إذا متُّ فاضحاً ولا الابن لي ماعشتُ أو عشتُ فاضحا

ويلاحظ في هذا البيت أيضاً رد العجز على الصدر.

وقد يصرع بعد تسعة عشر بيتاً من القصيدة في بيتين متتاليين من ذلك قوله:(٣)

ولما نزلنا واجتمعنا بجمعـنا لجمع الحصى السبعين عداً لرمينا

وبالمشعر الزاكي الحرامِ فكلنا نُصـلـي صـلاة الفجـر لما تَبَيَّنا

وقد يصرع بعد بيت واحد من مطلع القصيدة من ذلك قوله:(٤)

يَلْتاعُ إن هبّتْ رياحُ شمالهِ وحياتُه بمهبِّ ريحِ شمالهِ

التقسيم :-

التقسيم لون من ألوان البديع يستخدمه الشعراء في تحسين قصائدهم لما فيه من نغمة موسيقية تجتذب المتلقي، واستخدمه ابن اللواح في شعره استخداماً حسناً من ذلك قوله:(٥)

ولقـــد بكتك منـائرٌ ومنـابرٌ ودفـــاترٌ ومـــحـــابرٌ والمرفعُ

ومـــدارسٌ ومـــغـــارسٌ وغـــرائسٌ ونفـــائسٌ في المكْرُمـــاتِ وأربُعُ

ومـــآثرٌ ومـــفـــاخـــرٌ وعـــمـــائرٌ عـــمـــرتُهـــا وعـــشـــائرٌ بكَ رُوّعُوا

ومن تقسيمه قوله:(٦)

شفايَ أن تصلوا أن رُمْتُمُ فصلوا أولا فكتبُكُمُ إنْ تُشْغَلوا فصلوا

ومن تقسيماته الحسنة:(٧)

رزين السجايا سنيُّ العطايا كشوف البلايا عن المستضاقِ

ومنها قوله:(٨) متزاوجٌ متمازجٌ متدارجٌ متناسجٌ متماشجٌ يا سالبِ

(١) المصدر السابق ١٢٩ (٢) نفسه ١٢٩ (٣) الديوان ١/١٠٨ (٤) الديوان (المخطوط) ٢٠
(٥) الديوان ٢/ ١٧٠ (٦) الديوان (المخطوط) ١٨ (٧) الديوان ٢/ ١٩٤ (٨) الديوان (المخطوط) ١٦٠

المعارضات

«المعارضة في الشعر أن يقول شاعر قصيدة في موضوع ما من أي بحر وقافية، فيأتي شاعر آخر فيعجب بهذه القصيدة لجانبها الفني وصياغتها الممتازة، فيقول من بحر الأولى وقافيتها، وفي موضوعها أو مع انحراف عنه يسير أو كثير».

«فالمعارض يقف من صاحبه موقف المقلد المعجب، أو المعترف ببراعته على كل حال، ومناط المعارضة هو الجانب الفني وحسن الأداء»(١)

وتأثر أبو حمزة بمن سبقه من شعراء العربية الكبار، فإن قصائد كثيرة في ديوانه لا نحسب أنه نظمها إلا وأمامه نظائرها من قصائد الشعراء المشهورين سواء أكانت أمامه في الوعي أو في مخزونه اللاواعي.

وحاولت أن اقتنص قصيدتين عارض بهما ابن اللواح شاعرين كبيرين من شعراء العربية، أحدهما في العصر الجاهلي، والآخر في العصر الاسلامي، ألا وهما أبو ذؤيب ا لهذلي والثاني أبو الطيب المتنبي.

أولاً: معارضته أبا ذؤيب: عارض ابن غسان أبا ذؤيب الهذلي في عينيته التي رثى بها أولاده الخمسة الذين ماتوا من أثر مرض الطاعون، فمطلع قصيدة أبي ذؤيب هو:(٢)

أمِنَ المنونِ وريْبها تتوجّعُ　　　والدهر ليس بمعْتبٍ من يجزعُ

ومطلع قصيدة ابن غسان(٣)

حُزنٌ يفورُ ومهجةٌ تتقطعُ　　　وأسىً يجيشُ وعَبْرَةٌ تتريعُ

فوزن القصيدتين واحد وهو بحر الكامل، ورويُّهما واحد وهو العين المضمومة، والغرض واحد وهو الرثاء. إلا أنهما يختلفان في المرثي، فأبو ذؤيب يرثي أولاده الخمسة؛ أي أنه رثاء خاص، بينما يرثي ابن غسّان القاضي أبا عبدالله محمد بن سعيد بن محمد بن عبد السلام النخلي، فهو إذن رثاء عام.

---

(١) أحمد الشايب- تاريخ النقائض في الشعر العربي. نشر وطبع مكتبة النهضة المصرية.. القاهرة. مصر ط٣- ١٩٦٦م.

(٢) ديوان الهذليين- الدار القومية للطباعة والنشر- القاهرة ١٩٦٥م نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب. ص١

(٣) الديوان ٢/١٦٩

وكل من الشاعرين يعتريه ألم وحزن وتفجع شديد. وبعد المطلع يكشف أبو ذؤيب عن مأساته وحزنه في صورة حوار يديره بينه وبين امرأة يسميها أميمة. فيقول:(١)

قالتْ أميمةُ ما لجسمِكَ شاحباً   مُنْذُ ابتُذِلْتَ ومثلُ مالِكَ ينفعُ
أم ما لجنبكَ لا يلائمُ مَضْجَعاً   إلاّ أقضَّ عليكَ ذاك المضجعُ
فأجَبْتُها أما لجسمي إنّه   أودى بنيَّ من البلاد فودعوا
أودى بنيَّ وأعقبوني غُصَّةً   بعد الرقادِ وعبرةً لاتُقلعُ

وأراد أبو حمزة أن يحدثنا عن توجعه وتصعّد أنفاسه بين شهيق وزفير، وتأوهه الذي يردده وكادت تتقطع لأجله الحشا. فيقول:(٢)

وتأسُّفٌ متردّدٌ وتلهفٌ   متصعّدٌ وتأوّهٌ وتوجُّعُ
وزفيرُ أنفاسٍ يردِّدُها الأسى   كادتْ تُقَدُّ بِها الحشا والأضلُع

وفي حين ذكر أبو ذؤيب تفاصيل مصيبته بقوله (أودى بني)، ذكر أبو حمزة كذلك تفاصيل المصيبة التي أفجعته بقوله:(٣)

لمصيبةٌ كلُّ المصائبِ عندها   هانَتْ ووَقْعُ منيّةٍ لا تُدْفَعُ
هي ثُلمةٌ وقعتْ ولا جَبْرَ لها   أبداً وشنْعُ مكارمٍ لا يُرْقَعُ

إلى أن قال:

كادتْ لِمَصْرعِهِ السمواتُ العُلا   فوقَ البسيطةِ من علاها تَصْدَعُ

وفي تفصيل أبي حمزة لذكر ألمه في قوله «ووقع منية لا تدفع» نراه أخذ هذا المعنى من تفصيل أبي ذؤيب في تحسره على أولاده بقوله:(٤)

ولقد حرصتُ بأنْ أدافعَ عنهمُ   فإذا المنيّةُ أقبلتْ لا تُدْفَعُ

وقد وصف أبو ذؤيب تجلده وصلابته على الدهر وعلى الشامتين بقوله:(٥)

وتجلدي للشامتين أريهمُ   أني لريب الدّهرِ لا أتَضَعْضَعُ

بينما وصف أبو حمزة ضعضعة أركان المذهب الإباضي بعد وفاة هذا الشيخ

---

(١) ديوان الهذليين ص٢   (٢) الديوان ٢/١٦٩
(٣) نفسه ٢/١٦٩   (٤، ٥) ديوان الهذليين ص٣

إذ هو ركن من أركانه فقال:(١)

ضَعْضعتَ أركان الإباضي والرجا   بك قد أشيدَ وكان لا يَتضَعْضعُ

فاستعار أبو حمزة قافية أبي ذويب.

وقد وصف أبو ذؤيب حمار الوحش والأُتُن التي يقودها لورود الماء والكلأ فقال:(٢)

ذكر الورودَ بها وشاقى أمْرَهُ   شُؤمٌ وأقْبَلَ حَيْنه يَتَتَبعُ

فَـا فْتَنَهُنَّ من السَّواء وماؤه   بَثْرٌ وعانَدَهُ طريقٌ مَهْيَعُ

فكأنّها بالجِزْع بين ينابعٍ   وأولاتِ ذي العَرْجاء نَهْبٌ مُجْمَعُ

وكأنهنَّ ربابةٌ وكأنه   يَسَرٌ يَفيضُ على القِداحِ ويَصدع

وكأنما هو مِدْوَسٌ مُتَقَلّبٌ   في الكفّ إلا أنّه هو أضْلعُ

فَوَرَدْنَ والعيّوقُ مَقْعَد رابيء   الضُّرباء فوق النَّظْمِ لا يَتَتَلَّعُ

بينما وصف أبو حمزة الميّت بقوله:(٣)

ذو فطنة في كشْفِ كل خَفيّةٍ   وذكاؤه يُدني له ما يشْسعُ

قاض يرى بفؤاده ما لا يرى   بعيونه الفطن النّبيهُ الأصمعُ

فكأنما الخُصَماءُ في نظراته   نبل العدو لمقلتيه تتبع

ففؤادُه أصْلُ الأصولِ وذهنُهُ   فرعُ الأصولِ به الفروعُ تفرَّعُ

وكل من الشاعرين استخدما في وصفهما أداة الشبه (كأن)، وجاء استخدام كل منهما (لكأن) في أوائل أبياتهما، وبعد أن استخدما (كأن) بدأ كل منهما بيته (بالفاء) ثم يأتي أبو حمزة في خطابه للهالك فيستعير قافية أبي ذؤيب وهي لفظة (مهيع) في الأبيات السابقة فيقول أبو حمزة:(٤)

إنْ كانَ ضاقَ بكَ الزمانُ عنِ البقا   فَحميدُ صُنْعِكَ يا محمدُ مَهْيَعُ

وقد ذكر كل من الشاعرين الملك «تُبّع» ولكن كل له أسلوبه في ذلك، فقال أبو ذؤيب في وصفه صورة الفارس في ساحة الوغى:(٥)

---

(١) الديوان ٢/ ١٧١   (٢) ديوان الهذلي ص٥، ٦

(٣) الديوان ٢/ ١٧٠

(٤) نفسه ٢/ ١٧٠

(٥) ديوان الهذلين ص١٩

وعليهما مسْرودتانِ قضاهما   داودُ أو صَنَعُ السَّوابغِ تُبَّعُ

وقال أبو حمزة:(١)

اليوم قد مات الذي فَخَرتْ به   عوفٌ وإبنا تُبَّعٍ ومُرقّعُ

ثانياً: معارضته للمتنبي :

وعارض أبو حمزة أبا الطيب المتنبي، فاتفق معه في البحر والرويّ وحسن صياغة القصيدة والمقدمة الغزلية، واختلف عنه في الغرض. فغرض قصيدة أبي الطيب المدح. بينما غرض قصيدة أبي حمزة النصح والحماس، والذي قاد أبا حمزة للمعارضة هو إعجابه بأبي الطيب المتنبي وولعه بالتقليد واقتفاء آثار شعراء العربية «فقد تكون المعارضات نتيجة إعجاب شاعر متأخر بقصيدة لشاعر متقدم عليه في الزمان، أو وقت نظمها ونشرها، وهذا الإعجاب قد يكون بها كلها أو ببعض جوانبها الفنية، كالنغمة الموسيقية أو غرضها أو طريقة نظمها أو حسن صياغتها، فيترجم هذا الإعجاب بقصيدة مشابهة لها مقتفياً آثاره فيها قدر الإمكان.»(٢)

ومطلع قصيدة أبي الطيب هو:(٣)

بكائي شاءَ ليسَ هُمُ ارتحالا   وحُسْنَ الصبرِ زمُّوا لا الجمالا

ومطلع قصيدة أبي حمزة هو:(٤)

أرى بَدْراً فصارَ بهِ هلالا   نحيلاً بعدما نظرَ الكمالا

فالمقدمة الغزلية عند أبي الطيب سبعة عشر بيتاً، وعند أبي حمزة خمسة عشر بيتاً، بينما تساوى طول القصيدتين عند الشاعرين وهو ثلاثة وأربعون بيتاً.

وجاءت ألفاظ أبي حمزة في مقدمته الغزلية رقيقة رشيقة حسنة الأسلوب عذبة الماء كقوله:(٥)

وحينَ رأى الجمالَ مطوّحاتٍ   وقد أوْدِعْنَ في الكللِ الجَمالا

---

(١) الديوان ٢/١٦٩

(٢) د. محمد محمود قاسم نوفل- تاريخ المعارضات في الشعر العربي- نشر دار الفرقان. طبع مؤسسة الرسالة ط١ ١٩٨٣ ص١٤

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي. دار الكتاب- بيروت- مطبعة العلوم لبنان ١٩٨٦م ج٣/٣٣٧

(٤) الديوان ٢/٢١٩

(٥) نفسه ٢/٢١٩

بكى أسفاً وغودرَ في ديارٍ خلال منازلٍ يحكى الخلالا
رمى اللهُ الغوانيَ مارمتني وجنّبني وجنبها الملالا

واتفق الشاعران في رحيل المحبوبة وبقاء كل منهما، إلا أن أحبة أبي الطيب ذهبوا عنه بغتة دون توديع كما يقول:(١)

تولوا بغتةً فكأن بَيْناً تهيّبني ففاجأني اغتيالا

بينما أحبة أبي حمزة أعدوا عدة مسبقة للرحيل، فودعوا أهل الحي جميعاً، وكان أبو حمزة من ضمن المودعين، وزاد عليهم بأن لَحَظَهُ محبوبه بطرفه خلسة، ثم لاصق خده بخده غيلة حتى سال الدر من نرجس عينيه على ورد خديه فقال:(٢)

وأقبل يوم جَدّ البَيْنُ بُذري سموطَ الدُرّ من دَمْعٍ تلالا
وخاضَ الحيُّ للتوديعِ حتى كأنَ مَطيَّهم شكتِ الرحالا
فرامق طَرْفُهُ طَرْفي اختلاساً ولاصقَ خَدُّهُ خدّي اغتيالا
وسالَ الدرُّ مَنْثوراً نفيساً على الخدين ينهمل انهمالا

ولذلك فاز أبو حمزة بوداع محبوبه، ولم يفز أبو الطيب. وأخذ أبو حمزة معنى بيت أبي الطيب التالي:(٣)

بَدَتْ قَمَراً ومالتْ خوطَ بانٍ وفاحَتْ عَنْبَراً ورنتْ غزالا

فقال أبو حمزة:(٤)

بَدا بَدْراً وَأدْبَرَ حقفَ رَمْلٍ وغصناً ماسَ ثم رنا غزالا

وشبّه قوة الرجال المجتمعين على كل كلمة واحدة كالسهم المنطلق من الريش واستعار لفظتي الريش والنصال من بيت أبي الطيب التالي:(٥)

فما تقفُ السهامُ على قرارٍ كأن الريشَ يطّلِبُ النّصالا

فقال أبو حمزة:(٦)

بأن الناس ما اجتمعوا رجالا ونسناساً إذا افترقوا حثالا

---

(١) ديوان أبي الطيب ٣/ ٣٣٨ (٢) الديوان ٢/ ٢١٩
(٣) ديوان أبي الطيب ٣/ ٣٤٠ (٤) الديوان ٢/ ٢١٩
(٥) ديوان أبي الطيب ٣/ ٣٤٧ (٦) الديوان ٢/ ٢٢٠

وأن النبل إلا النصلَ منه　　ولكن يُسعِدُ الريشُ النصالا

أي أنه استعار الصورة من أبي الطيب فوظفها في موضوعه.

المسَمَّطات:

«المسَمّط كمُعظّم» من الشعر: أبيات تجمعها قافية واحدة مخالفة لقوافي الأبيات(١).

وقيل المسمط «ما قُفِّيَ أرباعُ بيوته وسُمِّط في قافية واحدة»(٢)

ومن أقسام المسمطات المربع والمخمس والمسدس، وقد سلك أبو حمزة طريق المسمطات المسدس والمربع منها. فكتب خمس مسمطات، إحداهن مسدسة وعلى البحر الطويل، وبلغ عدد أبياتها تسعة وثلاثين بيتاً وموضوعها في العتاب والمدح لصديقه خاطر بن غريب، قال في أولها(٣):

أمِنْ عَدَمِ القرطاس أمْ عدم الحبرِ	أأمْ عزّت الأقلامُ باللفظِ أنْ تَجرِ
أأمْ قدْ كسبْنا فيكمْ أعظمَ الوزرِ	أم الجدُّ قد أبدى لناقلّةِ القدرِ
بَخِلْتُمْ علينا بالتّحيّةِ في السَّطرِ	ولم تَذْكُرونا في نظامٍ ولا نشرِ
فإنْ كان من ذَنْبٍ فها نَحْنُ قد تُبْنا	إليكم وللإخلاص يا سادتي أبْنا
وحُسْنُ الرجا فيكمْ يخبّرنا أنّا	إذا نحنُ تُبْنا إنكم تقبلوا منّا
ونرجعُ في الحال الذي عندكم كنا	وإن كان إغفالاً فَنَقْنَعُ بالعُذْرِ

وبقية القصائد الأربع مربعات الأبيات أحداهن عتابا ونصحا من بحر الهزج، وبلغ عدد أبياتها خمسين بيتا، والثلاث الأخيرات في الرثاء إحداهن في رثاء أمه من البحر الوافر وعدد أبياتها أربعة وأربعون بيتاً مطلعها:(٤)

نُيوبُ النائباتِ البائناتِ	قطعْن حشايَ قطعَ المرهفاتِ
وشيّبْنَ العوارضَ والسواتِ	وأملأنَ الأسى مني جهاتِ
أذوبُ أسى ولوعاتٍ ووجدا	وأعْلنُ بالزفير ثني وفردا
وألطمُ باليدين الآن خداً	إذا ما سُخْتُ صوتَ النائحاتِ

(١) تاج العروس (سمط)

(٢) د. احمد مطلوب. معجم النقد العربي القديم ٢/ ٢٨٦ وينظر العمدة ١/ ٣٣٢

(٣) الديوان (المخطوط) ص٥٣

(٤) الديوان ٢/ ١٠٩

وثنتان في التعازي؛ إحداهما من بحر الوافر وعدد أبياتها اثنان وعشرون بيتاً، والأخيرة من بحر الهزج وعدد أبياتها ثمانية وثلاثون بيتاً.

أما من حيث بنية هذه المسمطات، فهذه لا تختلف عن بنية القصيدة عند ابن اللواح.

ففي مُسَمَّطته لصديقه محمد بن أبي العرب العفيفي يبيّن أن هذا الشخص يسكن في سعال نزوى، كما يثبت اسمه في قصيدته هذه، فمطلعها:(١)

أطـــاوى الـــسبْسَبِ الـــتَّهِبِ	بـأيـدي الـداغــــــري الـنَّغـبِ
كــــطــــيّ الــــبُرْدِ والأتَبِ	أنِخْ بِسُعــــال واحــــتــــسبِ
وسَلْ عــن مــنــزل الــرجــل الـــ	كــــــريم المبـلـغ الأمـل
فــــحــــســبي مطلبي لجل	مــــحــــمــــد ابن بالعــــربِ
زكـــا أمًا ســـمــــا وأبا	وأعــمـــامـــاً سَمْتْ نـسـبـــا
عــفــيــفيٌ إذا انتـــســبـــا	كـــــريمُ الـطـبـع والحَسَبِ

وفي عتابه له يقول:(٢)

فـــإن كـــانت نـصـيـحــتُنا	لكم صـــارتْ فـضـيـحــتُنا
فـــقـــد زلّت قـــريحـــتُنا	بِلا عُذْرٍ ولا ســــــــــببِ
فـــفي طبـــعي ومن خُلُقي	بـــلا مـــــــذع ولا مَلَق
ودادي غـــيـــر مـــا مـــذِق	وبـــالـــشـــنـــآن لـــم أشـــبِ
صـــديـقي لا أغـــبّيـــه	وعـنـي لا أوَ بِّيــــــــــه
فــمــثلي من مــحــبِّيــه	عـلى الأخـــلاق والـغـــضبِ

---

(١) الديوان ٢/ ٥١

(٢) نفسه ٢/ ٥١، ٥٢

الصورة الشعرية

الصورة طريقة للتعبير يلجأ إليها الشاعر، فمهما يبلغ من «الجودة والبراعة في اختيار ألفاظه والملاءمة بينها وبين معانيه، فإنه يشعر بأن تعبيره لا يزال قاصراً؛ لذلك يلجأ إلى وسيلة تعبيرية أخرى، وهي رسم الصور المتخيلة التي تساعد على إبراز معالم ما يريده الشاعر بوضوح تام»(١)

ووظيفة الصورة توضيح المعنى وإبرازه في قالب تخييلي، والصورة «إما أن تقرر الفكرة بالشرح والتوكيد والتوضيح، أو تزينها بالتزويق والتحلية والزركشة»(٢)

وللصورة عنصران: ظاهري؛ وهو أن يكون من العالم المحسوس كاللمس والذوق والشم والبصر... الخ. وباطني؛ وهو أفكار الشاعر ونفسيته التي هزتها تجربة عميقة.

ومن خلال دراستي لشعر أبي حمزة، وتتبع صوره الشعرية، اتضح لي أن صوره استمدها من مصادر أهمها:

١- حياته الخاصة التي صور فيها أوضاعه النفسية والاجتماعية، فاتخذ منها مصدر إلهام استوحى منهُ بعض صوره.

٢- المجتمع الذي عاش فيه الشاعر بكل ما فيه من عناء وشدة، إذ شهد عصره صراعات كثيرة- كما بينا ذلك في التمهيد- فعايش تلك الصراعات وتأثر بها في شعره، فكانت مصدراً لصوره الشعرية.

(٣) الطبيعة وما تحويه من مظاهر كالزمان والمكان والطقس والأجرام السماوية.

(٤) الثقافة سواء بالإطلاع على التراث السالف أم بالاستعارة من الحياة أم من تجاربه الخاصة.

من صوره لحياته الخاصة وأوضاعه النفسية والاجتماعية، صورته التالية لأبناء زمانه؛

---

(١) د: عبد الجليل عبد المهدي. أبو فراس الحمداني، حياته وشعره- مكتبة الأقصى- عمان- الأردن ١٩٨١م ص٣٧٧.

(٢) د: نعيم اليافي. تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث. منشورات اتحاد الكتاب العرب. غير مؤرخ الطبع ولا المطبعة. ص١٦.

فكلامهم كالعسل وفعلهم كالأسل كما يقول:(١)

تَمَرّسْتُ أبنـاءَ هـذا الزمـــــانِ	فـأكل هُمُ لي وهُمْ لي شـــرابُ
فـشـــهـــدٌ مـــقـــالُهُمُ دونهُ	وأفـعـالُهُمْ فـهـو في الطعم صـابُ

فتلك صورتهم المجملة أما صورتهم التفصيلية فيقول فيهم:(٢)

يعـــيـــبـــون كـل كـــريم وَفيٍّ	وهم لو دروا بالمعـــابِ المُعـــابُ
تخـــالهم في شـــبـــاحِ الرجـــال	رجـــالاً وهم في الطبـــاع الكلابُ
ذئابٌ عليـــهـــا مـــلاحُ الثـــيـــابِ	وشـــرُّ الذئاب عليـــهـــا الثـــيـــابُ
عـــبـــيـــدُ المطامع إحـــســـانهم	أســـاةٌ وحَمْدُهم فـــالسِّـــبـــابُ
يدينون بـالعـــيـــبِ عِرضَ الكرام	ولو تـلمس الفـــضـل منهم لذابوا
فـــأمـــوالُهم في المحلِّ المصـــان	وأعـــراضُهم في النوادي نـهـــاب
يصـــمُّون سَمْعـــاً عن المكرُمـــاتِ	وإن تَدعُهم للمـــخـــازي أجـــابوا

ومن صوره لأوضاعه النفسية أنه يبكي على مضي شبابه، ويتمنى لو يعود إليه شبابه الغض النضر فيقول:(٣)

هلْ لي إلى عـــصـــرِ الشـــبـــابْ	بـعـــد التـــفـــرق من إيابْ
ويعـــود عـــودي مـــورقـــاً	ويؤول نـابي غـــيـــر نـابْ
هـيـــهـــات أوبـةُ لـذةٍ	ولّتْ بـأيـام الـشـــبـــابْ
حـــقاً على المتـــجـــاوزِ الـ	خـــمـــسين يبكي بانتـــحـــابْ

وهو يتعظ بشيبه، والذنوب تقلقه وتقض مضجعه:(٤)

كـــفـــاني الشّيبُ مـــوعـظةً	وكـــشـفُ الغـــائبِ المغـــبي
تُذكـــرني الذنوبُ كـــتـــا	بة المكتـــوبِ في كـــتـــبي

(١) الديوان ١/ ٢٧١

(٢) نفسه ١/ ٢٧١

(٣) نفسه ١/ ٢٨١

(٤) نفسه ١/ ٢٨٤

ويقول:(١)

ومـــا الشـــيبُ إلا دليلُ الردى   فـــأكـــرمْ به من دليلٍ وهاد

لأنه يتذكر الموت صباح مساء. بل إن كل عرق ينبض في جسمه يذكره بالموت فيقول:(٢)

المـوتُ فـي نَفَسـي أغْدو بـه وأجـي   وكُلُّ عرق بجسمي فهو مختلجي

مـــا نمتُ إلا وحـــاديهِ يؤرقُني   داعٍ إلى مَصْرعي أو قُمْت فـهـونجِ

وهموم شيخوخته أوهنت قواه وأعشت بصره وأسقطت أسنانه فيقول:(٣)

بلغتُ في العُمر غاياتٍ وما برحتْ   نفسي بحالِ عمايات وغَيـاتِ

يا للعجـائبِ من شيخٍ ثوى هَرَمـاً   ولم يزلْ وهو في غيِّ الصِّبـاواتِ

سَمْعٌ أسِكٌ وأضراسٌ قد انْهَدمتْ   والضعفُ في بصرٍ أقوى الشهادات

وفي تصويره شعوره بالاغتراب يقول:(٤)

أنا الغـريبُ غـدتْ لي جُدةٌ وطناً   كـأنها اللّحدُ مالي عنه مُلْتَحدُ

كـأنني يونسٌ لي جُدَّةٌ جـعلتْ   حـوتاً فلستُ بهـا أبْدي ولا أعدُ

ويؤرقه هاجس السفر وهمه، فيصور حنينه إلى الأحبة ويقول:(٥)

فؤادي خصيبُ الدارِ من ماطرِ الهوى   ومن مَطرِ السُّلوانِ غيـرَ خصيبِ

أوَدُّ مع الأطيـارِ طِرْتُ إليكمـا   إذا لم يؤدِّبني نسـيمُ هبـوبِ

أسـائلُ عنكم مُقْلةَ الشمسِ كلَّما   بدتْ مطلعـاً أو آذنتْ بغـروب

وأبو حمزة يَبُثُّ في صوره النشاط والحركة والحيوية، كما في رثاء الشيخ سليمان بن محمد وهو يصور وفود القرى في قوله:(٦)

لَمَّا مَرَرْتُ بدارٍ كـان سـاكنهـا   وحوض نُعمـاه فيـه والورى يردُ

والخلقُ فوضى كطيـرِ الجوِّ من ظمأ   إليـه لم تدرِ من تنوي وتقـتـصدِ

(١) الديوان ١/ ٣١٦
(٢) المصدر السابق ١/ ٣٠٣
(٣) نفسه ١/ ٢٩١
(٤) نفسه ١/ ١١٩
(٥) نفسه ١/ ١٠٦
(٦) نفسه ٢/ ١٤٠

وقَدْ تمازجت الأصـــواتُ من حَزَنٍ ... هـــذا يَحِنُّ وذا بـــاكٍ وذا غَرِدُ
سَدَّ الشجى نَفَسي حتّى غصصْتُ به ... وكـــان لولاه مـــا بالمحنق السـددُ

واتسمت بعض صوره بالتفصيل، وكأنه يريد من صورته هذه أن تكون تركيبيّة، إلا أنه لم يحسن إحكامها. وهذه صورة حالته النفسية يوم حمل نعش زوجته إلى رمسها فيقول:(١)

ولما نعى الناعي بهـــا فكأنني ... لكعب بن سلمى وهي في الفقد أيردُ
فـمـا أمُّ خشفٍ أودعتـه خميلةٌ ... وظلّتْ بروضِ الرنْدِ ترعى وتوردُ
إلى أن لعابُ الشمس رقرق دونهُ ... وحـان لهـا وقتُ الرضـاع المعـربدُ
خَطَتْ دونُه تســتنشقُ الزهرَ دونهُ ... وتـنـظـر مــن هُنَا وهُنَا تـلـددُ
فلمـــا أتتْ دون الكناسِ تلفّتَتْ ... إلى قـانصٍ للخلف يدنو ويخلدُ
ومـــا راعـــهـــا إلا ترشّح دمِّه ... وقـد نُزعَتْ منه الحـوايا وأكـبُدُ
فـمـا برحت تلتـاعُ حـول كناسه ... وترفع رأسـاً للسـمـاءِ وتصْمُدُ
ولما أتاها الليلُ باتتْ تَقـصُّه ... تغـورُ له طوراً وطوراً فـتنجدُ
بأوجـــد مني يوم ســـارتْ جنازةٌ ... إلى لحْدِ قـبـرٍ بالذروبِ يُمَهّدُ

أما عن الطبيعة وصوره المتعلقة بها، فقد اتخذ الشاعر من الزمان والمكان مادة حية لصوره الطبيعية،هذه الطبيعة تتمثل في الأماكن والنبات والحيوان والطيور وظواهر طبيعية أخرى، والمرتكزات المكانية عند أبي حمزة (الأسماء)، إذ زخرت قصائده بأسماء الأمكنة، فصور أمكنة أصحابه في رسائله الشعرية. ناهيك برسالته لأهل المغرب، وصور أمكنة من رثاهم. كما صور الصحراء الواسعة والأمطار والرياح والرعد والبرق.

اتخذ أبو حمزة الزمن مصدراً استلهم مه صوره فـ (للزمن صور متعددة أهمها الدهر والحياة) «فالدهر أكثر الزمان تردداً في خيال الشاعر»(٢)

واستلهم أيضاً صوره من الليل والنهار والأجرام السماوية كالشمس والقمر والجوزاء، وبنات نعش والسماكين... وغير ذلك.

صور أبو حمزة نفسه في أيام شبابه قائداً للدهر، بينما في مشيبه وضعف قواه أضحَت

(١) الديوان ٢/ ١٤٤، ١٤٥

(٢) الصورة الفنية. د. عبدالإله الصائغ- دار الشؤون الثقافية- بغداد ط١ ١٩٨٧م.ص٢١٣

عصاه تقوده:(١)

وبالأمسِ إني كنتُ للدهر قائداً   فأمست عصايَ وهي من بعض قُوادي

ويصور العباد الذين لا يدخرون لآخرتهم شيئاً ولا يخشون ربهم كخشيتهم للعباد بأنهم حيارى في هذا الدهر فيقول:(٢)

فلو كان خوفُك باري العباد   كمعشارِ خوفك خوف العبادِ

لما عِشْتَ في الدهر ذا حَيْرةٍ   تـروحُ وتغـدو بغـير فـؤادِ

والحياة التي تعقبها سكرات الموت. يصورها أبو حمزة كالبُر الرطب الذي اختلط به السوس، فهو يعكر صفو ذلك البُر كما يقول:(٣)

حياةٌ عندها سكراتُ موتٍ   كرطْبِ الحبِّ مختلط بسوسِ

وفي تصويره لزمانه وأهله يرى أنهم هم الذين يعيشون الفساد في الأرض فيقول:(٤)

عاثَ الزمانُ ومن فيهِ فقد عاثا   حتى غدوا كُلُّهم في الحال أغلاثا

لأنك:(٥)

إذا زرعتَ جميلَ الصُّنْعَ بينهمُ   حَصَدْتَ من بذركَ الريحانَ جَنْجانا

ويسأل ربه أن يبغض له الدنيا فيقول:(٦)

وبَغِّضْ لي الدنيا بحبيك إنها   حبالةُ سوءٍ تقبضُ الروحَ بالفردِ

ويسأل ربه أن يلقي في قلبه حب الصالحين في هذه الدنيا فلعله يحشر معهم:(٧)

قد قِيلَ من حبَّ في الدُّنيا ولو حجراً   إلا ويُحشرُ من حبَّ مع الحجرِ.

---

(١) الديوان ١/ ٣٠٨
(٢) نفسه ١/ ٣١٥
(٣) نفسه ١/ ٣٤٤
(٤) المخطوط (٩)
(٥) نفسه (١٠)
(٦) الديوان ١/ ٣٢٢
(٧) نفسه ١/ ٣٣٥

واستمد صورة إكرام الضيف من ليلة الشتاء فقال:(١)

ويبكي عليك الدهرُ والوفدُ والقرى إذ الليلةُ المشتاةُ أثلجها القطرُ

وصور الدنيا طريقاً إلى الأخرى فيقول:(٢)

ها نحنُ والدنيا كركبٍ أيْغلتْ في منهج منها إلى الأخراءِ

واتخذ من الكواكب مصدراً استلهم منها بعض صوره. من ذلك قوله:(٣)

والشُّهُبُ في لُججِ الجرْياءِ تَحْسبُها نحو المغيب نفيسَ الدُّرِّ منشرا

تشولُ كالشولِ بعد الحشر رَوَّعها سُهَيْلُ وهولُها فَحْلٌ وقد جفرا

ومن النجوم التي استلهم منها صوره؛ الثريا والسماكين والوزن كما في قوله:(٤)

ويا دافنيهِ في الثرى إن قبرهُ مقرُّ الثُريَّا والسماكين والوزنِ

ومنها الشمس والقمر والجوزاء كمثل قوله:(٥)

ففي كبد الجوزاءِ منه حرائقٌ وكادتْ به أن تخسفَ الشمسُ والبدرُ

ومنها بنات نعش كما في قوله:(٦)

عجباً لحامل نَعْشِهِ ولَنَعْشُهُ لبناتِ نَعْشٍ في سُمُوِّ سماءِ

واتخذ ابن المَلوح المكان مصدراً استلهم منه بعض صوره، فذكر بعض الأماكن في الجزيرة العربية التي ترددت في أشعار القدماء مثل الحجون وتهامة ونجد والحجاز وحزوى والنقا كمثل قوله:(٧)

أعد نظراً في السرب بالرمل من حزوى وجالِسْ إذا كرَّرْتَ للرشأ الأحوى

ومن جبال الجزيرة التي ذكرها ثبير ورضوى وأحد، وثهلان وحرا، من ذلك قوله:(٨)

ورضٌ عظامي رَزْمُ رَعْدٍ بسُحْبِكمْ ولو كان جسمي مثل ثهلان يرتضُّ

واستمد من الصحراء الواسعة المقفرة بعض صوره كمثل قوله:(٩)

---

(١) الديوان ٢/ ٦٩ (٢) نفسه ٢/ ١٠٠
(٣) نفسه ١/ ٣٢٦ (٤) نفسه ٢/ ٢٦٥
(٥) نفسه ٢/ ٦٨ (٦) نفسه ٢/ ١٠١
(٧) نفسه ١/ ٢٥٩ (٨) المخطوط ٥٧
(٩) الديوان ١/ ٢٦٠، ٢٦١

ومجهولة الأعلام طامسةِ الصُّوى   بأجوازها ضلّت وقد حدت الحدوى
مُتيهةِ الساري من السُّحبِ إنْ سَرى   تخيله يغتاب في قمة السروى

واستمد بعض صوره من نباتات الصحراء مثل الرند، والقيصوم والشيح والبان والأراك كمثل قوله:(١)

فالرندُ منتصبٌ والنفضُ منخفضٌ   والشيحُ ترفعهُ عنها صنابرُها

وصوّر ما يضطرب في تلك الصحراء من حيوانات كالفرس والبعير والغزال والذئب والأسد- الذي يختار له من أسمائه الغريبة الطيثار- كقوله مخاطباً ولده:(٢)

وقد تحقق ظنٌّ صادقٌ أبداً   بأنك الشِّبْلُ للطَّيْثارِ تَنْتَسبُ

وصور ما يجول في تلك الصحراء من طيور وحيات كمثل قوله:(٣)

وأتيتُ والسيدان تعوي حولنا   والأسْدُ تُعْلِنُ بالزئيرِ وتفرسُ
وعلى ردايانا ابنُ دايةَ حائمٌ   وابن العميثل وابن حثل الأفطسُ
ولكم وَرَدْنا طامسَ الأرجاءِ لم   يرد الحمام به المعزى الأطمسُ
ريش القشاعمِ حوله فكأنما   نُثِرَتْ حرابٌ للصياقل طُمَّسُ
ومساحبُ الحياتِ في أرجائهِ   فكأنما سحبتْ رماح دُعَّسُ

ومن الحيوانات التي اتخذها مادة لصوره الوعل واليربوع كمثل قوله:(٤)

قَبَضَ الردى الأوعالَ من قلل الحمى   ومضى به في جُحرهِ اليُربوعُ

ومن الطيور القطا، ومن الحيوانات أيضاً الضب كمثل قوله:(٥)

خَرِبَتُها قد ضل فيها والقطا   والضَّبُّ أضلل مكنه مذ أمكنا

ومن العطور التي اتخذها مادة لصوره المسك والزنبق والينجوج كمثل قوله:(٦)

---

(١) الصحيفة ٢/ ٣٩٩
(٢) الديوان ٢/ ٤٩
(٣) نفسه ١/ ١٣٨
(٤) نفسه ٢/ ١٧٥
(٥) نفسه ١/ ١٧٣
(٦) نفسه ١/ ٢١٦

يضمخ في الفردوسِ مسكاً وزنبقاً   يُعانقُ حورَ الخلدِ في سُنْدُسٍ خضرِ

وفي بيت آخر:(١)

نبي في علاه ينشدُ الحمدَ والثنا   فمن دونه الينجوجُ والمسكُ ضائعُ

وثقافته التي اتكأ عليها في إبراز صوره الشعرية متعددة منها: ثقافة دينية وتاريخية، ومنها تجاربه الخاصة في حياته وقد تحدثت عن معالم ثقافته المتعددة في حديثي عن ثقافة الشاعر، وألمحت عن تجاربه في علاقاته وفي موضوع الحكم والنصائح، وحسبي في هذا المقام أن أورد نماذج قليلة للتمثيل.

فمن صوره الشعرية التي استمدها من ثقافته الدينية قوله:(٢)

وكل امرىءٍ عاداك في جُرُفٍ هار   وأنت غداً توقى العذابَ من النارِ
وتحظى بجناتٍ نَشَتْ بين أنهار   فمن عَسَلٍ صافٍ ورسل ومن خمر

ومن صوره الشعرية التي أبرز فيها حكمه ونصائحه واستمدها من حياته، هذه الأبيات:(٣)

لا يُدْرِكُ المجدَ من لا يركب السَّببا   جُرْدَ المذاكي وسُمْرَ الخَطِّ والقُضُبا
ولا ينامُ قريرَ العينِ غيرُ فتىً   إذا رأى مَرْكباً من كايدٍ ركِبا
ولا يروّي غليل القلب من ضَغَنٍ   ويشربُ الدَّمَ من أعدائه شربا
مَنْ لايرى الحزمَ عَضَّ الكفَّ من نَدَمٍ   وفاته سابقاً إدراك ما طلبا

اعتمد أبو حمزة على ضروب علم البيان لرسم صوره الشعرية مثل التشبيه والاستعارة والكناية.

ففي رسالته لخاطر بن غريب يبث فيها شوقه ويصور فرقة الزمن بينهما، وبكاءه الحار على ذلك الفراق، كما يصور خفقان قلبه وشحوب جسمه فيقول:(٤)

---

(١) الديوان ١/ ٢١٦
(٢) المخطوط (٥٥)
(٣) نفسه ١/ ٢٦٩
(٤) الديوان (المخطوط) ٥٨

كأن فرقتنا عن عهد والدنا | نوحُ النبي وإن قربت عن إرمِ
كأنما مقلتي من فيض أدمعها | عروبة متحت مهتوكة الوذمِ
كأن قلبي جناحا خافق أبداً | ومن حرارته يقلا على ضرمِ
كأن جسمي على شحط النوى بكم | وقد ذكرتكم لحم على وضمِ

وفي تصويره للسحب والرعود والبروق يشبه السحبَ بالبرك الرازمات، والرعود بالإبل الولاه، والبروق بأسياف عبس وذبيان فيقول:(١)

كأن السحبَ بركٌ رازماتٌ | برأس خميلةٍ نفضت ذراها
كأن رعودَها إبلٌ ولاهٌ | وقد لاقتْ مشا كيلا ولاها
كأن بروقَها أسيافُ عبسٍ | بذبيانٍ تحكمُ في طلاها

وفي تصوير العداوة في قلوب القساة يصورها مثل ضوء النار ووهجها في الجمر الخامد. فيقول:(٢)

إن العداوةَ لم تزلْ | في قلبِ من فيه القساوه
كالنارِ يكمُنُ ضوؤها | في الجمر إكمانَ العداوه
فتثيرُ هذى جزلها | وتثيرُ هاتيك الشناوه

ومن أدوات التشبيه التي استخدمها (أمثال) وذلك في تصويره الحيات التي تنهش الكفرة يوم القيامة فقال:(٣)

ونواهشُ الحيّاتِ أمـ | ـثال النخيل الساميه.

ويصور عقارب يوم القيامة التي تلسع الكفرة الجاحدين بالبغال في أحجامها، وبالنسور في انقضاضها، وبهذا يجعل عنصرين للمشبه به في بيت واحد وأداتين للتشبيه هما (مثل) و (الكاف) وذلك في قوله:(٤)

وعقاربٌ مثل البغا | لِ وكالنسور الهاويه

ومن نكت المبالغة في التشبيه جريانه مجرى تجاهل العارف «وهو سؤال المتكلم عما يعلم سؤال من لا يعلم، ليوهم أن شدة التشبيه الواقع بين المتناسبين أحدثت عنده التباس المشبه

---

(١) الديوان ١/٣٨٩ (٢) نفسه ١/٤٠٩
(٣) نفسه ١/٤١٦ (٤) الديوان ١/٤١٦

بالمشبه به، وفائدته المبالغة في المعنى».(١)

وقد ورد من هذا النوع في شعر أبي حمزة من ذلك قوله:(٢)

أمــن عَدَمَ الــقِرطــاس أمْ عَدِم الحِبْرِ ... أَأَمْ عــزّت الأقــلامُ باللفظِ أنْ تَجْري

أَأَمْ قــد كــسبْنا فــيكُمُ أعظمَ الوِزْرِ ... أم الجِدُّ قـــد أبدى لَناقلَةَ القـــدرِ

بَخلتُمْ علينا بالتــحــيــة في السّطْرِ ... ولـم تذكـــــرونـا فـي نـظـام ولا نثر

واستخدم ابن اللواح الاستعارة في رسم صوره الشعرية، والغرض من الاستعارة كما ذهب إليه أبو هلال العسكري «إما أن يكون لشرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو بحسن المعرض الذي يبرز فيه»(٣)

ومن صور أبي حمزة التي استخدم فيها الاستعارة، تصويره الحب بأن له رياحا، وتصويره نفسه بالسفينة التي لها شراع فتهب عليها رياح الحب فتسيرها حسب اتجاهها فيقول:(٤)

رياحُ الحُبِّ لم تبرحْ قليلاً ... تَهُبُّ فيمتلي منها شراعي

ويستعير الإبراق لقلبه وطرفه إذا ما رأى بارقاً مُيَمِّماً نحو سمائل؛ بلدة أصدقائه، فيقول:(٥)

إذا لاحَ لي برقٌ بجر عا سمائلٍ ... يظلُّ له طرفي وقلبيَ يبرِ

ويشخص الأزهار فيستنطقها ويجعلها تشدو قائلاً:(٦)

سلامٌ عليكم كالرياضِ شَذَى بها ... عرارٌ وأزهارُ الخزامى وزنبقُ

ويشخص قصائده ذات الرويّ المطلق والمقيد فيستعير لها الثناء لأصحابه منه. فيقول:(٧)

ومحضُ ثنى مني عليكمْ به جرى ... مقيدُ مقبوضِ الرويِّ ومطلقُ

وأما الكناية فقد استخدمها أبو حمزة في رسم صوره وكنى عن الغنى بالإبل والذهب، وعن

---

(١) ابن حجة الحموي، خزانة الأدب/ شرح عصام شعيتو/ ط٢/ نشر وطبع مكتبة الهلال- بيروت/ لبنان ١٩٩١م. ١/ ٢٧٤

(٢) الديوان (المخطوط) ٥٣

(٣) أبو هلال العسكري-الصناعتين / تحقيق مفيد قميحة/ ط١/ دار الكتب العلمية لبنان/ ١٩٩١. ص٢٩٥

(٤) الديوان (المخطوط) ٥٠

(٥) نفسه ص٥٢

(٦) الديوان (المخطوط) ٥٣

(٧) نفسه ص٥٣

الجود بقيادة الخيل للوفود، وعن الحلم والمقدرة بالعفو فقال:(١)

الخيلُ هم قُوّادُها لوفودِهـا والإبْلُ والذهَبُ النّضار نوالُهـا

والعفو من عاداتهم عن كفْوةٍ والأُسْدُ في قلب الوغى جُدالها

وكنّى عن غنى أولئك القوم بأن جواريهم يجررن أذيالهن خلفهن فيقول:(٢)

وإلى الضيوفِ تجرُ كل مليحةٍ أذيالُها من خلفها ثقالها

وكنّى عن عزتهم بصيانة الخيل فقال:(٣)

كانت لهم خيْل تصانُ صوافنا والحرُ والمشتا يُصان جلالُها

وكنّى عن غضب صديقه عليه بالرعد فقال:(٤)

ورضٌ عظامي رزْمُ رَعْدٍ بِسُحبكم ولو كان جسمي مثل ثهلان يرتضُ

(١، ٢، ٣) الديوان ١/ ٣٩٥

(٤) الديوان (المخطوط) ٥٧

الخاتمة

خرجت هذه الدراسة بنتائج متعددة أهمها:

وجود أحداث في عصر الشاعر منها سياسية ومنها اجتماعية، فالسياسية دخول البرتغاليين عُمان، وضعف الحكم فيها، فكان الحكام النباهنة متفرقين في أجزاء عُمان، كل نصّب نفسه ملكاً على منطقة معينة، وكان الأخوة وأبناء العم يقتتلون. وكانت الإمامة أيضاً ضعيفة آنذاك، إذ لم يتألق نجم ملوك بني نبهان إلا بعد ما خفت نور الإمامة. ومن الأحداث الاجتماعية انتشار بيع الخيار والربا.

وتبين لي وجود حياة اجتماعية حضرية تمثلت في مدن عُمان المهمة مثل نَزْوى وصُحار وبُهلى وصور. من تلك المظاهر الحضرية وجود الزراعة والصناعة والتجارة.

كما تبين لي وجود حياة علمية زاخرة بعلماء الفقه والطب والأدب فكانت بيوت توارثت العلم كابراً عن كابر من آباء إلى أبناء إلى أحفاد من مثل بيت آل مداد، وآل مفرّح، وآل بني عبد السلام، وآل المعدّ البُهلويين وآل الطبيب بن هاشم العينيّ الرستاقي وغيرهم.

وكان حكام ذلك العصر يحبون الشعراء ويقربونهم ويغدقون عليهم الهبات والعطايا. وقد ظهر شعراء قصروا شعرهم على مدح أولئك الحكام من مثل الشاعر موسى بن حسين بن شوال الحسيني المحلياتي الكيذاوي، كما ظهر شعراء من ملوك تلك الفترة من مثل الشاعر والملك سليمان بن سليمان النبهاني.

وتبين لي أن الشاعر ابن غسان من قبيلة عريقة في النسب، معروفة بالعلم والتقوى، فهو من قبيلة بني خروص التي تنتمي إلى الأزد، وهو يعتز بنسبه هذا ويفتخر به، وتبين لي أن زوجته ماتت قبله ورثاها، وله من الأولاد غريب وحمزة الذي تكنى به، وكذلك له أحمد ودرويش.

ومن النتائج التي توصلتْ إليها الدراسة أن الشاعر ابن اللواح لم يولد سنة ٨٦٢ ولم يتوفَ سنة ٩٢٠هـ- كما ذكر محقق الديوان- وإنما قربت ولادته إلى سنة ٨٩٥هـ، وقدّرت وفاته كذلك بعد سنة ٩٨١هـ.

وتبين لي أنه تنقل في مدن عُمان لطلب العلم وغيره، ونتج عن تنقله هذا وجود علاقات اجتماعية بينه وبين علماء عصره فخلد ذكرهم بقصائده من مدح ورثاء وعتاب.

وقد تبين لي أن أبا حمزة واسع الثقافة والمعرفة، وكان ذلك نتيجة لتعدد مصادره التي كان

ينهل منها، فقد عرفته فقيهاً وأصولياً وتاريخياً، كما ألفته نحوياً وعروضياً ومحتذياً.

ومن النتائج المهمة التي خرجت بها هذه الدراسة، وجود جزء كبير من ديوان الشاعر يربو عدد أبياته على ألف وخمس مئة بيت غير مطبوع؛ ربما اشتبه فيه المحقق. وقد أثبتُّ أنه له ، وأرجو أن يوفقني الله لتحقيقه ونشره.

كما خرج البحث بالكشف عن قصيدة هائية طويلة تربو على مئة بيت وجهها الشاعر تحية إلى إباضية أهل المغرب، ثم بعد ذلك عثرت على شرح لهذه القصيدة.

وتوصل البحث إلى كثرة تصحيف وتحريف في نصوص الديوان المطبوع، وإلى وجود أخطاء منهجية في التحقيق أثبت الباحث الأهم منها وناقشها بالتفصيل.

وتوصل الباحث إلى أن الشاعر طرق فنوناً مختلفة في شعره منها ما هو تقليدي، ومنها ما ظهرت عليه الجدة. فمن فنون شعره التقليدي الرثاء، وقد وجدت الرثاء عنده خاصاً وعاماً، ففي شعره الخاص رثى أمه وزوجته وأبناءه، كما رثى جزءاً من جسمه وهي أضراسه التي تساقطت.

أما رثاؤه العام فهو متعدد، فقد رثى العلماء والأمراء والسلاطين والشعراء والأصدقاء الآخرين والأطباء، وللمرأة مكان في رثائه أيضاً.

ومن فنونه الشعرية التقليدية الفخر والعتاب والوصف والغزل والهجاء.

ومن فنونه؛ الاتجاه الاجتماعي؛ مثل المكاتبات الإخوانية وبعض القضايا الاجتماعية والتشوق والمدح والاستعطاف والتهاني، وله أيضاً مواعظ وحكم ونصائح اشتملت على جزء كبير في ديوانه.

ومن فنونه في الاتجاه الديني؛ مدائح المولى جلّ وعلا، ومدائح ليلى الشريفة وتوديعها وتوديع مقاماتها، ويقصد أبو حمزة بليلى الشريفة، الكعبة المشرفة. وهذا الموضوع لم يكن معروفاً في صدر الاسلام الأول وإنما يعتبر من الفنون التي استحدثت فيما بعد. ثم المدائح النبوية لشهر رمضان، والمذهب الإباضي له مكانة في شعر ابن اللواح، وكذلك بعض المسائل الشرعية.

وفي بنية قصيدة ابن اللواح وجدت منها ذات الغرض الواحد ومنها ذات الأغراض المتعددة، ووجدته دقيقاً في مطالع قصائده، فإذا كانت القصيدة تعزية، تكون لفظة تعزية في أول كلمة في البيت وإذا كانت نصيحة أو عتابا فإننا نقرأ عنوانها من أول بيت فيها. وتخلصه من

موضوع إلى آخر يكون حسناً حيناً ومقتضباً حيناً أخر، وقد تبين لي أن قصيدته ذات وحدة متماسكة وأفكار مترابطة، ومعان متناسقة، كما تبين لي أنه ذو نفس طويل في غالبية قصائده، سواء أكانت القصائد الإخوانية أو المراثي أو المدحة النبوية وهذا الطول لم يضعفها، أو يخل في تركيبها الفني.

وقد تبين لي أن ابن اللواح كان مقلداً ومحتذياً طريق الشعراء القدامى في معجمه الشعري. فقارىء ديوانه لا يكاد يمر على قصيدة حتى يستوقفه لفظ أو تركيب أو صيغة أو نمط من أنماط الصياغة، أو أي إشارة قريبة أو بعيدة تعود به إلى بيت شعر قديم أو آية قرآنية أو حديث شريف أو أي قول مأثور، أو ربما إلى مصطلح من علوم الأولين من فقه، وفلك، وبلاغة، وعروض، ونحو.

ووجدته يلزم نفسه ما لا يلزم فينتقي قوافي صعبة المركب مثل قافية الزاي والشين والثاء والذال والياء المشددة مما يضطره إلى اللجوء إلى كلمات غريبة جداً.

وقد تباين أسلوبه في شعره فقد اتسم بالوضوح والإبانة، وابتعد عن التكلف والتعقيد، واتسم بالبساطة والعذوبة آناً، وبالبداوة والتعقيد والجزالة آناً آخر. ولغته الشعرية تراوحت بين المباشرة الخطابية والدلالات الايحائية وبين أن تكون خالية من الإيحاء والتخييل؛ كل لفظة موظفة توظيفاً معجمياً وتؤدي المعنى القاموسي لها لا غير. ولا يخلو شعر أبي حمزة من الألفاظ والمعاني النثرية التي تقلل من قيمته الشعرية. ولم نعدم أسلوب الحوار والمساءلة في شعر أبي حمزة، فقد اتسمت بعض مقطوعاته بالحوار والمساءلة. وتمثلت المادة التاريخية، والسرد الإخباري في شعر أبي حمزة في سيرة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، وكذلك تمثلت المادة التاريخية في رسالة الشاعر إلى إباضية أهل المغرب وفي أسماء الأعلام التي حفل بها الديوان.

ووجدت التكرار عنده متنوعاً؛ فأحياناً يكرر أبياتاً كاملة، وأحياناً أشطرا وأحياناً معاني وأحياناً يكرر ألفاظاً وأحياناً حروفا.

واتضح الاقتباس جلياً عنده من القرآن الكريم، كما ظهر التضمين كذلك بكثرة لعدد من الشعراء القدامى من أمثال أبي الطيب المتنبي، وابن الفارض، وطرفة بن العبد وزهير بن أبي سلمى وغيرهم، كما ضمن شعره كثيراً من الحكم والأقوال المأثورة والأمثال.

ولا بد لشاعر مكثر من أمثال أبي حمزة أن تؤخذ عليه مآخذ لغوية وضرورات شعرية،

فانتشرت في ديوانه لغة «أكلوني البراغيث»، وأخذت عليه مآخذ في أحكام الفعل المضارع.

فأحياناً لم يُعْمِلْ أداة الجزم في الفعل، وأحياناً يجزم الفعل من غير أداة سبقته، ومن المآخذ التي وقع فيها حذف ياء المنقوص المنصوب .والضرورات الشعرية التي وقع فيها هي الإيطاء والإقواء والسناد والتضمين.

أما المحسنات البديعية التي كان يزين بها شعره، فأكثرها انتشاراً في شعره؛ رد الأعجاز على الصدور، حتى إني رصدت عليه قصيدتين، أفسدت الصنعة والتكلف معناهما وعقّدتْ تراكيبهما. كما انتشر عنده الجناس بأنواعه، والطباق والتصريع والتقسيم.

وقد تبين لي أنه عارض شاعرين كبيرين من شعراء العربية؛ أحدهما أبو ذؤيب الهذلي والثاني أبو الطيب المتنبي.

وتبين لي أنه استمد صوره الشعرية من مصادر أهمها؛ حياته الخاصة التي صور فيها أوضاعه النفسية والاجتماعية. والمجتمع الذي عايشه الشاعر بكل ما فيه من عناء وشدة، كما استمد صوره من الطبيعة وما تحويه من مظاهر كالزمان والمكان والطقس والأجرام السماوية. واستمد صوره من ثقافته الواسعة سواء بالاطلاع على التراث السالف أم بالاستفادة من الحياة وتجاربه الخاصة.

قائمة المصادر والمراجع

المخطوطات

ابن رزيق (حميد بن محمد بن رزيق)

- الصحيفة القحطانية. مكتبة أوكسفورد. بريطانيا ٢٥٦١، S3 (مخطوط)

البُهلوي (عبدالله بن عمر بن زياد البُهلوي)

- شرحه على قصيدة ابن اللواح لأهل المغرب، مكتبة الشيخ مبارك ابن عبدالله الراشدي- سلطنة عُمان- سناو (مخطوط)

اللواح (سالم بن غسان اللواح الخروصي)

- ديوانه. دار المخطوطات والوثائق في وزارة التراث القومي بسلطنة عُمان الرقم العام:٣٤٦٩ الخاص ٩٦ ز (مخطوط)

الكندي (محمد بن ابراهيم الكندي)

المطبوعات:

ابن الأثير (ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم)

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية- صيدا- لبنان ١٩٩٠م

ابن بطوطة

- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار. شرحه وكتب هوامشه. طلال حرب. ط١ دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان ١٩٨٧م.

ابن حجة الحموي(تقي الدين أبي بكر بن علي)

- خزانة الأدب وغاية الأرب . شرح عصام شعيتو. ط٢ نشر وطبع مكتبة الهلال- بيروت- لبنان ١٩٩١م.

ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد)

- الاشتقاق؛ تحقيق وشرح عبد السلام هارون ط٢- مكتبة المثنى- بغداد- العراق- ١٩٧٩م.

ابن رزيق (حميد بن محمد)

- الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين. تحقيق عبد المنعم عامر . وزارة التراث القومي في سلطنة عُمان ١٩٨٠م.

ابن رشيق (الحسن بن رشيق القيرواني)

- العُمدة في محاسن الشعر وآدابه. تحقيق الدكتور محمد قرقزان ط١- دار المعرفة- بيروت- لبنان- ١٩٨٨م.

ابن سيده (أبو الحسن علي بن اسماعيل)

- المخصص. دار الفكر- بيروت- لبنان- من دون تاريخ

ابن طباطبا (محمد أحمد بن طباطبا العلوي)

- عيار الشعر. شرح وتحقيق عباس عبد الستار (ط١) دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ١٩٨٢م.

ابن قتيبة (عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري)

- الشعر والشعراء، أو طبقات الشعراء. تحقيق وضبط الدكتور مفيد قميحة ط٢- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان ١٩٨٥م.

- تأويل مشكل القرآن. شرح وتحقيق السيد أحمد صقر. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة- مصر من غير تاريخ.

ابن الكلبي (هشام بن محمد بن السائب الكلبي)

- نسب معدّ واليمن الكبير. تحقيق الدكتور ناجي حسن. ط١ عالم الكتب. مكتبة النهضة العربية ١٩٨٨م.

ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور)

- لسان العرب. دار صادر- بيروت- لبنان

أبو علي (عبد الباقي بن المحسّن التنوخي)

- القوافي. تقديم وتحقيق. عمر الأسعد. ومحي الدين رمضان ط١

دار الإرشاد- بيروت- لبنان ١٩٧٠م.

أبو هلال (الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري)

-الصناعتين؛ الكتابة والشعر.حققه وضبط نصه الدكتور مفيد قميحة. ط١ دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ١٩٨١

أحمد الشايب

- تاريخ النقائض في الشعر العربي. ط٣. طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة- مصر ١٩٦٦م.

- الأسلوب . ط٨. طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية- القاهرة ١٩٩٠

أحمد بن فارس

- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها.نشر المكتبة السلفية بالقاهرة. طبع مطبعة المؤيد. سنة ١٩١٠م.

الأخطل

- ديوانه: تحقيق فخر الدين قباوة. ط١. دار الأصمعي بحلب سوريا ١٩٧١م.

الأزكوي (سرحان بن سعيد الأزكوي)

- تاريخ عُمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة. تحقيق عبد المجيد القيسي. وزارة التراث القومي في سلطنة عمان ط٢. مطابع سجل العرب بالقاهرة. ١٩٨٦م.

اسبر (محمد سعيد) وبلال جنيدي

-الشامل: معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها. ط١ دار العودة- بيروت- لبنان ١٩٨١م.

أطفيس (محمد بن يوسف)

- الجُنّة في وصف الجَنّة. وزارة التراث القومي في سلطنة عمان- مطبعة أمون- القاهرة. ١٩٨٣م.

أعوشت (بكير بن سعيد)

- دراسات في الأصول الإباضية. ط٤، ١٤٠٩هـ

بدوي (السعيد محمد بدوي ومحمود فهمي حجازي وغيرهم)

- دليل أعلام عُمان.موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب ط(١) مكتبة لبنان، المطابع العالمية. مسقط. سلطنة عُمان ١٩٩١م.

بشار بن برد

- ديوانه. جمع وشرح محمد الطاهر بن عاشور. الشركة التونسية والشركة الوطنية للنشر والتوزيع ١٩٧٦م.

البطاشي (سيف بن حمود)

- إتحاف الأعيان في تاريخ بعض عُلماء عُمان. ط (١). مطابع النهضة رُوي- سلطنة عُمان- الجزء الأول ١٩٩٢، والثاني ١٩٩٤م.

الجرجاني (علي بن عبد العزيز الجرجاني)

- الوساطة بين المتنبي وخصومه. تحقيق هاشم الشاذلي. دار إحياء الكتب العربية ١٩٨٥م.

الحاتمي (علي بن الحسن بن المظفر الحاتمي)

- حلية المحاضرة في صناعة الشعر.تحقيق الدكتور جعفر الكتاني. وزارة الثقافة والأعلام- العراق- بغداد- دار الرشيد ١٩٧٩م

الحارثي (عبدالله بن ناصر الحارثي)

- بنو نبهان في عمان والأوضاع الاقتصادية في عصرهم، رسالة ماجستير- جامعة القاهرة- مصر ١٩٩٠م.

- حصاد ندوة الدراسات العُمانية. البحوث والدراسات التي قدمت في الندوة. نوفمبر ١٩٨٠م. وزارة التراث القومي في سلطنة عُمان

الحميري (محمد بن عبد المنعم الحميري)

- الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق الدكتور إحسان عباس ط٢ مكتبة لبنان. مطابع هيدلبرغ- بيروت- لبنان ١٩٨٤م

حوّر (د: محمد ابراهيم حور)

- رثاء الأم في الشعر العربي. مكتبة المكتبة. أبو ظبي- العين ١٩٨١

الخصيبي (محمد بن راشد الخصيبي)

- شقائق النعمان على سموط الجُمان في أسماء شعراء عُمان. ط٢ وزارة التراث القومي في سلطنة عُمان- المطبعة الوطنية. رُوي- ١٩٨٩م

الدرجيني (أبو العباس محمد بن سعيد)

- طبقات المشايخ بالمغرب. مطبعة البعث- قسطنطينة الجزائر. (دون تاريخ)

الزاوي (الطاهر أحمد الزاوي)

- ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة.

نشر دار الكتب العلمية. طبع دار المعرفة- بيروت- لبنان ١٩٧٩م.

الزبيدي (السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي)

- تاج العروس من جواهر القاموس. إصدار وزارة الإعلام في الكويت ط٢. مطبعة حكومة الكويت. ١٩٨٦م.

الزركلي (خير الدين الزركلي)

- الأعلام. ط٦ دار العلم للملايين ١٩٨٤م

(زهير بن أبي سلمى)

- ديوانه. دار صادر. لبنان- توزيع دار صعب. من غير تاريخ

السالمي (عبدالله بن حميد)

- تحفة الأعيان. مطبعة الإمام بمصر. من غير تاريخ.

السالمي (محمد بن عبدالله بن حميد)

- نهضة الأعيان بحرية عُمان. مطابع دار الكتاب العربي- القاهرة- مصر. من دون تاريخ.

- عُمان تاريخ يتكلم. المطبعة العمومية. دمشق- سوريا. من دون تاريخ.

السيابي (سالم بن حمود)

- إسعاف الأعيان في أنساب أهل عُمان. المكتب الاسلامي في بيروت ١٣٨٤هـ

- عُمان عبر التاريخ. ط٢ وزارة التراث القومي في سلطنة عُمان- مطابع سجل العرب بالقاهرة ١٩٨٦م.

الشافعي (محمد بن إدريس)

- ديوانه. جمع وتحقيق وتعليق: زهدي يكن. دار الثقافة بيروت- لبنان، مطابع دار الريحاني- بيروت ١٩٦٢م.

الصائغ (الدكتور عبد الإله الصائغ)

- الصورة الفنية معياراً نقدياً. طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد- العراق- ١٩٨٧م.

طرفة بن العبد

- ديوانه. شرح الأعلم الشنتمري. تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال.

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٥م.

العقاد (عباس محمود)

- اللغة الشاعرة. المكتبة العصرية- صيدا- لبنان. من دون تاريخ.

(د: علي عبد الخالق علي)

- الشعر العُماني مقوماته واتجاهاته وخصائصه الفنية. دار المعارف- القاهرة- مصر

١٩٨٤م.
العوتبي (سلمة بن مسلم)
- الأنساب . ط٣ وزارة التراث القومي في سلطنة عُمان. طبع المطبعة الشرقية ومكتبتها ١٩٩٢م.
عويس (محمد)
- الحكمة في الشعر العربي. مكتبة الطليعة. أسيوط. مصر. دار نافع للطباعة ١٩٧٩م.
الفارض (أبو حفص عمر بن الفارض)
- ديوانه. دار الفكر- عمّان- الأردن ١٩٨٥م
-فصول. مجلة النقد الأدبي . مـ٥ ع١ ١٩٨٤م.
قدامة (قدامة بن جعفر)
- نقد الشعر. تحقيق وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان- مطابع يوسف بيضون. من دون تاريخ
القرطاجني (أبو الحسن حازم)
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ط٣، دار العرب الاسلامي- بيروت- لبنان ١٩٨٦م.
كرومبي (لال ابر كرومبي)
- قواعد النقد الأدبي. ترجمة د: محمد عوض، ط٢. دار الشؤون الثقافية. بغداد- العراق ١٩٨٦م.
الكندي (أحمد بن عبدالله بن موسى)
- المصنف . وزارة التراث القومي في سلطنة عُمان. مطبعة البابي الحلبي ١٩٨٣م
كولونيل (لفتنانت)
- تاريخ الخليج. وزارة التراث القومي في سلطنة عُمان ط٣. ترجمة محمد أمين عبدالله. مطبعة الألوان الحديثة ١٩٨٨م.
الكيذاوي (موسى بن حسين بن شوال)
- ديوانه، وزارة التراث القومي في سلطنة عُمان. ١٩٨٥م.
البوسعيدي (حمد بن سيف البوسعيدي)
- قلائد الجُمان في أسماء بعض شعراء عُمان. مطبعة عمان ومكتبتها- مسقط ١٩٩٣م.

اللواح (سالم بن غسان)

- ديوانه. ط١. تحقيق محمد علي الصليبي، وزارة التراث القومي في عمان. طبع في جريدة عُمان رُوي ١٩٨٩م.

المبرد (محمد بن يزيد)

- التعازي والمراثي. تحقيق محمد الديباجي. مطبعة زيد بن ثابت- دمشق- سوريا- ١٩٧٦م.

المتنبي (أبو الطيب أحمد بن الحسين)

- ديوانه. شرح عبد الرحمن البرقوقي. دار الكتاب. بيروت- لبنان- مطبعة العلوم ١٩٨٦م.

(مخيمر صالح موسى)

- رثاء الأبناء في الشعر العربي إلى نهاية القرن الخامس. ط١. مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن. من غير تاريخ.

مطلوب (الدكتور: أحمد مطلوب)

- معجم النقد العربي القديم. ط١. دار الشؤون الثقافية- بغداد- العراق- ١٩٨٩م.

- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. المجمع العلمي العراقي ١٩٨٣م.

المعولي (أبو سليمان بن محمد بن عامر بن راشد)

- قصص وأخبار جرت في عُمان. تحقيق عبد المنعم عامر. ط٢. وزارة التراث القومي في عُمان. مطابع سجل العرب ١٩٨٣م.

- فعاليات ومناشط المنتدى الأدبي في سلطنة عُمان. وزارة التراث القومي. إصدار ١٩٩١م، ١٩٩٣م.

المهدي (الدكتور: عبد الجليل عبد المهدي)

- أبو فراس الحمداني. حياته وشعره. مكتبة الأقصى. عمّان- الأردن- ١٩٨١م.

الميداني (أحمد بن محمد الميداني)

- مجمع الأمثال. تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. ط٢. دار الجيل- بيروت ١٩٨٧م.

النبهاني (سليمان بن سليمان)

- ديوانه. وزارة التراث القومي في سلطنة عُمان.

نوفل (د: محمد محمود قاسم نوفل)

- تاريخ المعارضات في الشعر العربي. ط١ دار الفرقان. طبع مؤسسة الرسالة ١٩٨٣م.

وزارة الداخلية في سلطنة عُمان.

- المرشد العام للولايات والقبائل ١٩٨٢م.

ولكنسون (أف. سي. ولكنسون)

- عمان تاريخاً وعلماء. ترجمة محمد أمين عبدالله. وزارة التراث القومي في عُمان. مطابع سجل العرب، ١٩٨٠م.

هارون (عبد السلام هارون)

- تحقيق النصوص ونشرها. ط٢. مؤسسة الحلبي. مطبعة المدني. القاهرة، ١٩٦٥م.

الهذليون

- ديوانهم. الدار القومية للطباعة والنشر. نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب- القاهرة. ١٩٦٥م.

يافي (د. نعيم اليافي)

- تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث. اتحاد الكتاب العرب. غير مؤرخ.

AL-Lawah al- Kharousi's

Biography and Poetry

M. A. Thesis

Presented by

Rashid bin Hamad al-Husseini

Supervisor

Professor: Abdul Jalil Abdul Muhdi

Abstract

This study deals with an Omani poet called Salim Ibn Ghassan Al-Lawah Al-Kharousi, who lived in the ninth century A. H. and died in the eighth decade of the tenth century A. H.

The study contains three chapters and an epilogue plus an introduction which gives an idea about the political life under the Imama and under Bani Nabhan. It also discusses the social and cultural life during this period.

The first chapter concentrates on the biography of the poet and his connections with the others. In the second chapter I discussed the diwan of the poet and its verification and showed the mistakes there- in. In addition I discussed the subjects of the poetry- the traditional and the new- and pointed out their characteristic traits.

In the third and last chapters, I discussed the artistic traits of the poetry and its different forms.

In the conclusion I showed the urban life in Oman with its cultural aspects in the different sciences and disciplines.

Among the findings, I pointed out that the poet was not born in 862 A. H., and did not die in 920 A. H., as written by the verifier of his diwan. Actually he was born in 895 A. H. and I estimated his death to be in 981 A. H. I also discovered that 1500 lines of poetry were not included in his printed diwan. In addition, I found that a poem including more than 100 lines was sent to the Ibadites of North Africa, and later I found an elucidation of this poem.